شرح المنظومة الميمية

في الآداب الشرعية

للعلامة حافظ حكمي

ⓒ دار طيبة الخضراء، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخضير، عبد الكريم بن عبد الله بن عبدالرحمن
شرح الميمية في الآداب الشرعية. / عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير. - مكة المكرمة، ١٤٤١هـ
١٨١ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٠-٩٠-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨
١. الآداب الإسلامية ٢. الأخلاق الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١٢ ١٤٤١/٧٥٢٣

رقم الإيداع: ١٤٤١/٧٥٢٣
ردمك: ٠-٩٠-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى (١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)

يمكنكم طلب الكتب عبر
متجرنا الإلكتروني

حيثما كنت يصلك طلبك

معالم السنن

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

dar.taibagreen123
dar.taiba
@dar_tg
dar_tg
dartaibagreen@gmail.com
yyy.01@hotmail.com
0125562986
0550428992
مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

شرح المنظومة الميمية

في الآداب الشرعية

للعلامة حافظ حكمي

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

معالم السنن

بسم الله الرحمن الرحيم
كتبه محمد الجيزاوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن هذا الكتاب دروس ألقيت
على الطلاب وسجلت ثم قام المكتب العلمي
- معالي السنة - بعناية معالي أمين العام الشيخ
الدكتور إبراهيم بن محمد الغوزان - بتفريغ المادة
العلمية وراجعتها من قبل كبار الطلاب المختصين
ولم يقصد التأليف والنشر من الأصل الذي
تكون فيه المادة محررة من المصادر بحرفها بل
المراجعة النهائية تكون بعد صدوره وحصر الملحوظات
عليه وتلافي ذلك والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم
على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
١٤٣٦/٩/٢٣ هـ

تقديم

معالي الشيخ

عبد الكريم الخضير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ أصل هذا الكتاب دروس ألقيت علىٰ الطلاب وسجِّلت، ثم قام المكتب العلمي - معالم السُّنن - بعناية من أمينه العام الشيخ الدكتور إبراهيم بن محمد الفوزان بتفريغ المادة العلمية ومراجعتها من قِبَل كبار الطلاب المختصِّين، ولم يُقصد التأليف والنشر من الأصل الذي تكون فيه المادة محررةً من المصادر بحروفها، ولعل المراجعة النهائية تكون بعد صدوره وحصر الملحوظات عليه وتلافيها، والله وليُّ التوفيق، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عفا الله عنه

كلمة

مؤسَّسة معالم السنن

الحمد لله الذي رفع بالعلم أهله واجتباهم، وأورثهم علم الكتاب وبه اصطفاهم، وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبِّينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه من مبدئهم إلىٰ منتهاهم، وعلىٰ التابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين واقتفاهم.

أما بعد:

فإن ممَّا لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ ما للعلماء من منزلة عليَّة، ومكانة سنيَّة، فهم ورثة الأنبياء، ونجوم السَّماء، وزينة الدُّنيا، وبِهم قوام الدِّين، روىٰ أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لَتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتىٰ الحيتان في الماء، وإن فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ**».

ومن العلماء الذين بذلوا وقتهم في تعليم العلم ونشْرِه فضيلةُ الشيخ العلامة عبد الكريم بن عبد الله الخضير - حفظه الله ومتَّع به-، والذي عرفه

أهل العلم وطلبته بالتفنن والاتساع، وجودة التحقيق، وسعة الاطلاع.

وقد وفَّق اللهُ الشيخَ منذ زمن طويل للتصدي لشرح كتب أهل العلم في مختلف الفنون والتعليق عليها، فشرحها بشروح جامعة نافعة، أثراها سعة اطلاع الشيخ ومعرفته بمكنونات الكتب - لا سيما المطولات منها -، واختلاف طبعاتها؛ مما جعل لهذه الشروح رواجًا بين طلاب العلم، على اختلاف مستوياتهم.

كما هيَّأ الله مؤسسةَ «معالم السنن» لخدمة علم الشيخ ونشره منذ تأسيسها عام ١٤٣٣؛ بشتى الطرق المتاحة، وها هي - بفضل الله - تبشِّر طلاب العلم ومحبِّيه بطباعة كتاب: «**شرح المنظومة الميمية في الآداب الشرعية للعلامة حافظ حكمي**».

ومما يحسن التَّنبيه عليه أن هذا الكتاب هو في الأصل شرحٌ صوتيٌّ، تمَّ تفريغه، وترتيبه، وخدمته خدمة علميَّة بعد إذن الشيخ بذلك؛ ونظرًا للصعوبة البالغة في تحويل النتاج الصوتيِّ إلى قالَب الكتب المطبوعة؛ ولاستشعار المؤسسة المسؤوليةَ المنوطةَ بها؛ وطلبًا للإتقان دون تكلُّفٍ، رسمت المؤسَّسة لنفسها خطة مجوَّدة - أقرها الشيخ حفظه الله -؛ لتخرج كتبُهُ بجودةٍ عاليةٍ، تُرضي - بإذن الله - طلَّاب العلم ومحبيه، وقد كانت مراحلُ العمل على كتب الشَّيخ وفق الآتي:

الأولى: صفُّ المفرَّغ من التسجيل الصوتي ومطابقتُه.

الثانيةُ: العملُ علىٰ ترتيب المادة بما يتناسب مع الكتاب، مع عدم التصرف في كلام الشَّيخ، وعند وجود ما يشكل من المسائل يتم عرضُه علىٰ الشيخ حفظه الله.

الثالثةُ: تخريجُ الأحاديث والآثار، وعزوُ الأقوال والمذاهب إلىٰ أصحابها، والخدمة العلمية للكتاب.

الرابعةُ: المراجعةُ اللغوية للكتاب، والتأكُّدُ من سلامة النص من الأخطاء النحوية والإملائية التي قد تحدث أثناء العمل.

الخامسةُ: مراجعةُ الكتاب من قبل متخصص في الفن المشروح؛ للتَّأكُّد من سلامة المادة العلميَّة بعد العمل عليها من قبل الباحثين.

السادسة: إجازةُ الكتاب للطِّباعة من قبل مستشاري المؤسَّسة العلميين.

وفي هذا المقام البهيج لطباعة هذا الكتاب، نشكر الشَّيخ - حفظه الله - علىٰ ما قدَّمه، ولا يزال يقدِّمه لطلاب العلم، أعظم الله له المثوبة والأجر، وبارك في علمه وعمله وعمره، ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

ونثنِّي بالشكر لفريق العمل في مؤسسة «معالم السنن» علىٰ الجهد الكبير الذي بذلوه لإخراج الكتاب.

ونثلِّث بشكر المستشارين العلميين في المؤسَّسة، والمراجعين المختصِّين، وكلِّ مَنْ ساهم وشارك في إخراج الكتاب، فجزاهم الله خيرًا، وبارك في أعمالهم.

ونسأل الله تعالىٰ التَّوفيق والسداد، وندعو كافَّة أهل العلم وطلَّابَه حيثما كانوا إلىٰ مدِّ يد النَّصيحة، والمسارعة بإبداء الملاحظات والاقتراحات علىٰ ما قد يقع من أخطاء فيما طُبِع ويُطبَع من شروح الشَّيخ؛ فالمرء كثير بإخوانه، واللهُ المسؤولُ أن يباركَ في الجهود ويتقبَّلها.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله، نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

قال العلامة حافظ حكمي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمـــد لله ربِّ العـــالمين علـــىٰ (١) آلائـــه وهـــو أهـــلُ الحمـــدِ والـــنعمِ

ذي الملْكِ والملكوتِ الواحدِ الصَّمدِ الـ (٢) ـبرِّ المهيمنِ مُبدي الخلقِ من عدمِ

من علَّم النـاس مـا لا يعلَمـون وبالـ (٣) ـــبيانِ أنطَقهـــم والخـــطِّ بـــالقلمِ

ثـم الصَّـلاة علـىٰ المختـارِ أكـرمِ مبـ (٤) ـعوثٍ بخيـرِ هُـدًىٰ في أفضـلِ الأمـمِ

والآلِ والصـــحبِ والأتبـــاعِ قاطبـــةً (٥) والتـــابعين بإحســـانٍ لـــنهجِهم

ما لاح نجمٌ وما شمسُ الضُّحىٰ طلَعتْ (٦) وعـدَّ أنفـاسِ مـا في الكـونِ مـن نَسَـمِ

وبعـــدُ مَـــنْ يُـــردِ الله العظـــيمُ بـــه (٧) خيـــرًا يُفقِّهْـــه في دينِـــه القِـــيَمِ

---

(١) هو: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب من علماء جيزان، وُلد في قرية السلام التابعة لمدينة المضايا جنوبي جيزان، ونشأ بدويًّا يرعىٰ الغنم، ثم قرأ القرآن، ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم، ثم تفرَّغ للدراسة، فظهر فضلُه. توفي سنة ١٣٧٧هـ في مكة المكرمة ودُفن بها. له تصانيف منها: «الجوهرة الفريدة في العقيدة»، و«اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون»، و«النور الفائض في علم الفرائض»، و«منظومة السبل السوية». ينظر: الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٩، ومقدمة الأفنان الندية شرح منظومة السبل السوية للشيخ زيد المدخلي.

وحثَّ ربي وحضَّ المؤمنين علىٰ (٨) تفقُّه الدين مَعْ إنذارِ قومِهِمِ

وامتنَّ ربي علىٰ كلِّ العبادِ وكلْـ (٩) ـلِّ الرُّسل بالعلمِ؛ فاذكرْ أكبرَ النِّعمِ

يكفيك في ذاك أُولىٰ سورةٍ نزَلت (١٠) علىٰ نبيِّك أعني سورةَ القلمِ

كذاك في عَدِّه الآلاءَ قدَّمه (١١) ذكرًا وقدَّمه في سورةِ النَّعَمِ

وميَّز الله حتىٰ في الجوارحِ ما (١٢) منها يُعلَّم عن باغٍ ومُغْتشِمِ

وذمَّ ربي تعالىٰ الجاهلين به (١٣) أشدَّ ذمٍّ فهم أدنىٰ من البَهَمِ

وليس غِبطةٌ الا في اثنتين هما الـ (١٤) إحسانُ في المالِ أو في العلمِ والحكمِ

ومن صفاتِ أولي الإيمانِ نَهْمَتُهم (١٥) في العلم حتىٰ اللِّقىٰ أغبِط بذي النَّهَمِ

العلمُ أعلىٰ وأحلىٰ ما له استَمَعتْ (١٦) أذْنٌ وأعرَب عنه ناطقٌ بفمِ

العلم غايتُه القصوىٰ ورتبتُه الـ (١٧) ـعَلياءُ؛ فاسعَوا إليه يا أولي الهِمَمِ

العلمُ أشرفُ مطلوبٍ وطالبُه (١٨) لله أكرمُ من يمشي علىٰ قدمِ

العلمُ نورٌ مبينٌ يستضيء به (١٩) أهلُ السعادةِ والجهَّالُ في الظُّلَمِ

العلمُ أعلىٰ حياةٍ للعباد كما (٢٠) أهلُ الجهالَة أمواتٌ بجَهلِهِمِ

لا سمعَ لا عقلَ بل لا يُبصرون وفي السْـ (٢١) ـسَعير معْتَرف كلٌّ بذَنبهمِ

فالجهلُ أصلُ ضلالِ الخلقِ قاطبةً (٢٢) وأصلُ شِقْوتهم طرًّا وظُلْمهمِ

والعلمُ أصلُ هداهم مَعْ سعادَتهم (٢٣) فلا يضلُّ ولا يَشقىٰ ذوو الحِكَمِ

والخوفُ بالجهلِ والحزنُ الطويلُ به (٢٤) وعن أولي العلم مَنفيَّانِ فاعتصمِ

العلمُ والله ميراثُ النبوَّة لا (٢٥) ميراثَ يُشبِهه طوبىٰ لمقتَسمِ

لأنه إرثُ حقٍّ دائمٍ أبدًا (٢٦) وما سواه إلىٰ الإفناءِ والعدمِ

ومنه إرثُ سليمانَ النبوَّةَ والـ (٢٧) ـفضلَ المبينَ فما أَوْلاه بالنِّعمِ

كذا دعا زكريَّا ربَّه بوليّ (٢٨) الآلِ خوفَ الموالي مِن ورائهمِ

العلمُ ميزانُ شرع الله حيثُ به (٢٩) قِوامُه، وبدونِ العلمِ لم يقُمِ

وكلما ذُكر السلطانُ في حججٍ (٣٠) فالعلمُ، لا سلطةُ الأيدي لمُحْتكمِ

فسلطةُ اليدِ بالأبدانِ قاصرةٌ (٣١) تكون بالعدلِ أو بالظلمِ والغَشمِ

وسلطةُ العلمِ تنقاد القلوبُ لها (٣٢) إلىٰ الهدىٰ وإلىٰ مَرضاة ربِّهمِ

ويذهب الدِّين والدُّنيا إذا ذهب الـ (٣٣) ـعلمُ الذي فيه مَنجاةٌ لمعتَصمِ

العلمُ يا صاحِ يستَغفرْ لصاحبِه (٣٤) أهلُ السَّماوات والأرضين من لَمَمِ

كذاك تستَغفرُ الحيتانُ في لُججٍ (٣٥) من البحارِ له في الضوءِ والظلَمِ

وخارجٌ في طِلاب العلمِ محتسبًا (٣٦) مجاهدٌ في سبيلِ الله أيُّ كَمِي

وإنَّ أجنِحةَ الأملاكِ تبسُطها (٣٧) لطالبيه رضًا منهم بصُنعهمِ

والسَّالكون طريقَ العلمِ يُسْلِكُهُمْ (٣٨) إلىٰ الجنان طريقًا بارئُ النَّسمِ

والسَّامعُ العلمَ والواعي ليَحفظه (٣٩) مؤديًا ناشرًا إيَّاه في الأممِ

فيا نضارَته إذ كان متَّصفًا (٤٠) بذا؛ بدعوةِ خيرِ الخلقِ كلِّهمِ

كفَاك في فَضلِ أهلِ العلمِ أن رُفعوا (٤١) من أجلِه درجاتٍ فوق غيرِهمِ

وكان فضلُ أبينا في القديمِ علىٰ الـ (٤٢) أملاكِ بالعلمِ من تعليمِ ربِّهمِ

كذاك يوسفُ لم تظهَر فضيلتُه (٤٣) للعالمين بغيرِ العلمِ والحكَمِ

وما اتِّباع كليمِ الله للخَضِر الـ (٤٤) ـمعروفِ إلا لعلمٍ عنه مُنْبهمِ

مَعْ فضلِه برسالاتِ الإله له (٤٥) وموعدٍ وسماعٍ منه للكَلمِ

وقدَّم المصطفىٰ بالعلمِ حامِلَه (٤٦) أَعْظِمْ بذلك تقديمًا لذي قدمِ

كفاهمو أن غدَوا للوحي أوعيةً (٤٧) وأضحَتِ الآيُ منه في صدورهمِ

وأن غدَوا وُكلاءَ في القيامِ به (٤٨) قولًا وفعلًا وتعليمًا لغيرهمِ

وخصَّهم ربُّنا قصرًا بخشيَته (٤٩) وعَقل أمثالِه في أصدقِ الكلمِ

ومعْ شهادَته جاءت شهادَتهم (٥٠) حيث استجابوا وأهلُ الجهلِ في صَمَمِ

ويشهدون علىٰ أهلِ الجهالةِ بالـ (٥١) ـمولىٰ إذا اجتَمعوا في يومِ حشرِهم

والعالِمون علىٰ العبّادِ فَضلُهمُ (٥٢) كالبدر فضلًا علىٰ الدُّرِّيِّ؛ فاغتنمِ

وعالم من أولي التَّقوىٰ أشدُّ علىٰ الـ (٥٣) ـشَّيطان من ألفِ عبَّاد بجمعهمِ

وموتُ قومٍ كثيري العدِّ أيسرُ مِنْ (٥٤) حَبرٍ يموت مُصابٌ واسعُ الألمِ

كما منافِعُه في العالم اتَّسعت (٥٥) وللشَّياطين أفراحٌ بمَوتهمِ

تالله لو عَلموا شيئًا لما فرِحوا (٥٦) لأنَّ ذلك من أعلامِ حتفِهمِ

هم الرُّجوم بحقٍّ كلَّ مُسترقٍ (٥٧) سمعًا كشُهب السَّما أَعْظِمْ بشُهبهمِ

لأنها لكلا الجِنسين صائبةٌ (٥٨) شيطانَ إنسٍ وجنٍّ دون بَعضهمِ

هم الهُداة إلىٰ أهدىٰ السَّبيل وأهـ (٥٩) ـلُ الجهلِ عن هديهم ضلُّوا؛ لجَهلهمِ

وفضلُهم جاء في نصِّ الكتابِ وفي الـ (٦٠) حديثِ أشهَر من نارٍ علىٰ علمِ

نبذة في وصية طالب العلم

يا طالبَ العلمِ لا تبغي به بدلًا (٦١) فقد ظَفِرتَ وربِّ اللَّوح والقلمِ

وقدِّسِ العلمَ واعرِفْ قدرَ حرمَتِهِ (٦٢) في القولِ والفعلِ والآداب؛ فالتَزِمِ

واجهَدْ بعزمٍ قويٍّ لا انثِناءَ لهُ (٦٣) لو يعلَمُ المرءُ قدرَ العلمِ لم ينَمِ

والنُّصح فابذُله للطُّلَّابِ محتسبًا (٦٤) في السِّرِّ والجهرِ، والأستاذَ فاحترمِ

ومرحبًا قُل لمن يأتيك يطلُبه (٦٥) وفيهم احفَظ وصايا المصطفىٰ بهمِ

والنيَّةَ اجعَلْ لوجه الله خالصةً (٦٦) إنَّ البناءَ بدون الأصلِ لم يقُمِ

ومن يكن ليقولَ النَّاسُ يطلُبه (٦٧) أخسِرْ بصفقَته في موقفِ النَّدمِ

ومَن به يَبتغي الدُّنيا فليس له (٦٨) يومَ القيامةِ من حظٍّ ولا قسَمِ

كفىٰ بـ﴿مَن كَانَ﴾ في شُورىٰ وهودٍ وفي الـ (٦٩) إسراءِ مَوعظة للحاذقِ الفَهِمِ

إيَّاك واحذَر مماراةَ السَّفيه به (٧٠) كذا مُباهاة أهلِ العلمِ لا تَرُمِ

فإن أبغضَ كلِّ الخلقِ أجمعهم (٧١) إلىٰ الإله ألدُّ الناس في الخِصَمِ

والعُجبَ فاحذَره إن العجبَ مُجتَرِفٌ (٧٢) أعمالَ صاحبِه في سيلِه العَرِمِ

وبالمهمِّ المهمِّ ابدأ لتُدركَه (٧٣) وقدِّمِ النصَّ، والآراءَ فاتَّهِمِ

قدِّم وجوبًا علومَ الدِّين إنَّ بها (٧٤) يَبين نهجُ الهدىٰ من موجِب النِّقَمِ

وكلُّ كسرِ الفتىٰ فالدِّين جابرُه (٧٥) والكسرُ في الدِّين صعبٌ غير مُلتئِمِ

دع عنك ما قالَه العصريُّ منتحلًا (٧٦) وبالعتيقِ تمسَّكْ قطُّ واعتصِمِ

ما العلمُ إلا كتابُ الله، أو أثرٌ (٧٧) يجلو بنورِ هُداه كلَّ مُنبهِمِ

ما ثَم علمٌ سوىٰ الوَحي المبينِ وما (٧٨) منه استُمدَّ، ألا طوبىٰ لمُغتنمِ

والكتمَ للعلمِ فاحذَرْ إنَّ كاتمَه (٧٩) في لعنةِ الله والأقوامِ كلِّهمِ

ومن عُقوبته أنْ في المَعادِ له (٨٠) من الجحيمِ لجامًا ليس كاللُّجُمِ

وصائنُ العلمِ عمَّن ليس يحملُه (٨١) ما ذا بكتمانِ، بل صونٌ؛ فلا تَلُمِ

وإنما الكتمُ منعُ العلمِ طالبَه (٨٢) من مستحقٍّ له؛ فافهَم ولا تَهِمِ

وأتبِعِ العلمَ بالأعمالِ وادعُ إلىٰ (٨٣) سبيلِ ربِّك بالتِّبيانِ والحِكَمِ

واصبر علىٰ لاحقٍ من فتنةٍ وأذىٰ (٨٤) فيه وفي الرُّسل ذكرىٰ؛ فاقْتَدِه بهمِ

لَواحِدٌ بك يهديه الإلهُ لَذا (٨٥) خيرٌ غدًا لك من حُمْرٍ من النَّعَمِ

واسلُك سواءَ الصِّراط المستقيمِ، ولا (٨٦) تعدِلْ وقل: ربيَ الرَّحمنُ واستَقِمِ

الوصية بكتاب الله ﷻ

وبالتدبُّر والترتيلِ فاتلُ كتا (٨٧) ب الله لا سيما في حِنْدِسِ الظلَمِ

حكِّم براهينَه واعمَل بمُحكمِه (٨٨) حِلًّا وحظرًا وما قد حَدَّه أقِمِ

واطلب معانيه بالنقلِ الصَّريحِ، ولا (٨٩) تخُض برأيك واحذَر بطشَ منتَقِمِ

فما علِمت بمحضِ النقلِ منه فقل (٩٠) وكِلْ إلىٰ الله معنىٰ كلِّ مُنبَهِمِ

ثم المِرا فيه كفرٌ؛ فاحذَرَنْه ولا (٩١) يستهوينَّك أقوامٌ بزَيغهم

وعن مناهيه كُن يا صاح منزجرًا (٩٢) والأمرُ منه بلا تَردادَ فالتَزِمِ

وما تشابَه فوِّض للإله ولا (٩٣) تخُض، فخوضُك فيه موجبُ النِّقمِ

ولا تُطع قولَ ذي زَيغ يُزخرفه (٩٤) من كلِّ مبتدعٍ في الدِّين متَّهمِ

حَيرانَ ضلَّ عن الحقِّ المبينِ فلا (٩٥) ينفكُّ منحرفًا مُعوجَّ لم يَقُمِ

هو الكتابُ الذي من قامَ يقرَؤه (٩٦) كأنما خاطَب الرَّحمنَ بالكلمِ

هو الصِّراط هو الحبلُ المتينُ هو الـ (٩٧) ميزانُ والعروةُ الوُثقىٰ لمعتَصمِ

هو البيانُ هو الذِّكر الحكيم هو التْـ (٩٨) تَفصيلُ؛ فاقْنَع به في كلِّ مُنبهمِ

هو البصائرُ والذِّكرىٰ لمدَّكر (٩٩) هو المواعظُ والبُشرىٰ لغير عَمي

هو المنزَّل نورًا بينًا وهدًىٰ (١٠٠) وهو الشِّفاء لما في القلبِ من سَقَمِ

لكنَّه لأولي الإيمانِ إذْ عمِلوا (١٠١) بما أتىٰ فيه من علمٍ ومن حِكَمِ

أما علىٰ مَن تولَّىٰ عنه فهو عمًىٰ (١٠٢) لكونه عن هُداه المستنيرِ عَمِي

فمَن يُقِمْه يكن يومَ المَعاد له (١٠٣) خيرَ الإمامِ إلىٰ الفِردوسِ والنِّعمِ

كما يَسوق أولي الإعراضِ عنه إلىٰ (١٠٤) دارِ المقامعِ والأنكالِ والألمِ

وقد أتىٰ النصُّ في الطُّولَين أنهما (١٠٥) ظلٌّ لتاليهما في موقفِ الغَمَمِ

وأنَّه في غدٍ يأتي لصاحِبه (١٠٦) مبشرًا وحَجيجًا عنه إن يَقُم

والملكَ والخلدَ يُعطيه ويُلبسه (١٠٧) تاجَ الوقارِ الإلهُ الحقُّ ذو الكرمِ

يقال: اقرأ ورتِّل وارقَ في غرفِ الـ (١٠٨) جنَّات؛ كي تنتهي للمَنزلِ النَّعِمِ

وحلَّتان من الفردوسِ قد كُسيت (١٠٩) لوالدَيه لها الأكوانُ لم تَقُمِ

قالا: بماذا كُسيناها؟ فقيل: بما (١١٠) أقرأتما ابنكما؛ فاشكُر لذي النِّعَمِ

كفىٰ وحسبُك بالقرآنِ معجزةً (١١١) دامت لدينا دوامًا غيرَ مُنصرمِ

لم يَعْترِهْ قطُّ تبديلٌ ولا غِيَرٌ (١١٢) وجلَّ في كثرةِ التَّرددِ عن سأمِ

مهيمنًا عربيًّا غيرَ ذي عوجٍ (١١٣) مصدقًا جاء في التَّنزيل في القِدَمِ

فيه التَّفاصيل للأحكامِ مَعْ نبأ (١١٤) عما سيأتي وعن ماضٍ من الأممِ

فانظُر قوارعَ آياتِ المعادِ به (١١٥) وانظر لما قصَّ عن عادٍ وعن إرَمِ

وانظر به شرحَ أحكامِ الشريعةِ هل (١١٦) ترىٰ بها من عويصٍ غيرِ مُنفصمِ

أم من صلاحٍ ولم يهدِ الأنامَ له (١١٧) أم باب هُلك ولم يزجُر ولم يَلُمِ

أم كان يُغني نقيرًا عن هِدايته (١١٨) جميع ما عند أهلِ الأرضِ من نُظُمِ؟

أخبارُه عظةٌ، أمثالُه عِبرٌ (١١٩) وكلُّه عجبٌ، سحقًا لذي صمَمِ

لم تلبَث الجنُّ إذ أصغَت لتسمَعَه (١٢٠) أن بادروا نُذُرًا منهم لقومِهمِ

الله أكبرُ، ما قد حازَ من عبرٍ (١٢١) ومن بيانٍ وإعجازٍ ومن حكمِ

والله أكبرُ، إذ أعْيَتْ بلاغتُه (١٢٢) وحسنُ تركيبِه لِلْعُرْبِ والعجمِ

كم ملحدٍ رام أن يُبدي معارضةً (١٢٣) فعاد بالذلِّ والخسرانِ والرَّغَمِ

هيهات ! بُعْدًا لما راموا وما قصَدوا (١٢٤) وما تمنَّوا، لقد باءوا بذُلهمِ

خابَتْ أمانيهمُ شاهَتْ وجوهُهمُ (١٢٥) زاغَتْ قلوبُهم عن هَديه القِيَمِ

كم قد تحدَّىٰ قريشًا في القديمِ وهم (١٢٦) أهلُ البلاغة بين الخلقِ كلِّهمِ

بمثلـــه وبعَـــشرٍ ثـــم واحـــدةٍ (١٢٧) فلـم يرُومـوه؛ إذْ ذَا الأمـرُ لـم يُـرَمِ

الجنُّ والإنسُ لـم يـأتوا لـو اجتَمعوا (١٢٨) بمثلـــه ولـــو انضـــمُّوا لمـــثلِهم

أنَّـىٰ وكيـف وربُّ العـرشِ قائلُـه (١٢٩) سبحانه جـلَّ عـن شِبْهٍ لـه وسَـمِي

مـا كـان خلقًـا ولا فيضًـا تصـوَّرَه (١٣٠) نبيُّنـــا، لا ولا تَعبيـــر ذي نَسَـــمِ

بـــل قالـــه ربُّنـــا قـــولًا وأنزَلـــه (١٣١) وحيًـا علـىٰ قلبِـه المسـتيقظِ الفَهِـمِ

واللهُ يشـــهَدُ والأمـــلاكُ شـــاهدةٌ (١٣٢) والرُّسْلُ مع مُؤمني العُربان والعجمِ

الوصية بالسنة

اِروِ الحـديثَ ولازِمْ أهلَـه فهـمُ النْـ (١٣٣) ـنَاجون نصًّـا صـريحًا للرسـول نُمـي

سـامِتْ منـابرَهم واحمِـلْ محـابرَهم (١٣٤) والـزَم أكـابرَهم في كـلِّ مـزدَحَم

أُسـلك منـارَهمو، والـزَم شِـعارَهمُ (١٣٥) واحطُـط رِحالـك إن تنـزِل بسُـوحِهم

همُ العدولُ لحملِ العلمِ كيف وهـمْ (١٣٦) أولـو المكـارمِ والأخـلاقِ والشِّـيَمِ

هـمُ الأفاضـلُ حـازوا خيـرَ مَنقبـةٍ (١٣٧) همُ الأُولىٰ بهم الدِّينُ الحنيفُ حُمي

هـمُ الجهابِـذةُ الأعـلامُ تعـرِفهم (١٣٨) بـين الأنـام بسـيماهم ووَسْـمهمِ

هـمْ ناصـرو الـدِّين والحـامون حَوزتَـه (١٣٩) مـن العـدوِّ بجـيشٍ غيـرِ مُنهـزِمِ

هـمُ البـدورُ ولكـن لا أُقـولَ لهـم (١٤٠) بـل الشُّـموسُ وقـد فـاقوا بنـورِهم

لـم يبـق للشَّـمس مـن نـورٍ إذا أفلَـت (١٤١) ونـورُهمْ مـشرقٌ مـن بعـد رَمْسِـهمِ

لهم مقامٌ رفيعٌ ليس يُدركه (١٤٢) من العباد سوىٰ السَّاعي كسَعيهمِ

أبْلِغْ بحجَّتهم أرجِحْ بكِفَّتهم (١٤٣) في الفضلِ إن قِستَهم وزنًا بغَيرهمِ

كفاهُمو شرفًا أن أصبَحوا خلفًا (١٤٤) لسيِّد الحُنَفَا في دينِه القِيَمِ

يحيون سنَّته من بعده، فلهُم (١٤٥) أولىٰ به من جميعِ الخلقِ كلِّهمِ

يروون عنه أحاديثَ الشريعةِ لا (١٤٦) يألون حفظًا لها بالصدرِ والقلمِ

ينفون عنها انتحالَ المبطِلين وتحـ (١٤٧) ـريفَ الغلاةِ وتأويلَ الغَويْ اللَّئِمِ

أدَّوا مقالَتَه نُصحًا لأمَّتِه (١٤٨) صانوا رِوايتها عن كلِّ متَّهمِ

لم يُلههم قطُّ من مالٍ ولا خَولٍ (١٤٩) ولا ابتياعٍ ولا حرثٍ ولا نعَمِ

هذا هو المجدُ لا ملكٌ ولا نسَبٌ (١٥٠) كلا ولا الجمعُ للأموالِ والخدمِ

فكلُّ مجدٍ وضيعٌ عند مجدِهِمو (١٥١) وكلُّ ملكٍ فخَدَّامٌ لمُلكهمِ

والأمنُ والنورُ والفوزُ العظيمُ لهم (١٥٢) يومَ القيامةِ والبُشرىٰ لحزبِهم

فإن أردت رُقيَّا نحو رُتبتهم (١٥٣) ورُمت مجدًا رفيعًا مثل مجدِهمِ

فاعمدْ إلىٰ سلَّم التَّقوىٰ الذي نصَبوا (١٥٤) واصعَد بعزمٍ وجِدٍّ مِثل جِدِّهمِ

واعكُف علىٰ السنَّة المثلىٰ كما عكَفوا (١٥٥) حفظًا مَعَ الكشفِ عن تفسيرِها ودُم

واقرأ كتابًا يُفيد الاصطلاح به (١٥٦) تدري الصَّحيح من الموصوفِ بالسَّقَمِ

فهي المحجَّة فاسلُك غير منحرفٍ (١٥٧) وهي الحنيفيَّة السَّمحاءُ فاعتَصمِ

وحيٌ من الله كالقرآنِ شاهدُه (١٥٨) في سورةِ النجمِ؛ فاحفَظه ولا تهمِ

خيرُ الكلامِ ومن خيرِ الأنامِ بدا (١٥٩) من خيرِ قلبٍ به قد فاه خيرُ فمِ

وهي البيانُ لأسرارِ الكتابِ فبالـ (١٦٠) إعراضِ عن حكمِها كن غيرَ متَّسمِ

حكِّم نبيَّك وانْقَدْ وارضَ سنَّته (١٦١) مع اليقينِ وحولَ الشكِّ لا تَحُمِ

واعضُض عليها وجانِبْ كلَّ محدَثةٍ (١٦٢) وقل لذي بدعةٍ يدعوك: لا نَعَمِ

فما لذي رِيبة في نفسِه حرجٌ (١٦٣) مما قضىٰ قطُّ في الإيمانِ من قِسَمِ

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أقوىٰ زاجرًا لأُولي الـ (١٦٤) ألبابِ، والملحدُ الزِّنديقُ في صَمَمِ

في الفرائض والآلة والتحذير من العلوم المبتدعة

وبالفرائضِ نصفِ العلمِ فاعْنَ كما (١٦٥) أوصىٰ الإلهُ وخيرُ الرُّسل كلِّهمِ

من فضلِها أنْ تولَّىٰ اللهُ قِسمَتها (١٦٦) ولم يكِلْها إلىٰ عُرْبٍ ولا عجَمِ

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ مَعْ ما بعدَها اتَّصلت (١٦٧) وفي الكلالَةِ أخرىٰ؛ فادنُ واغتَنمِ

وخُذ إذا شِئت ما قد تستَعين به (١٦٨) من آلةٍ تُلْفِها حلًّا لمنبَهمِ

كالنَّحوِ والصرفِ والتجويدِ مَعْ لغةٍ (١٦٩) يُدرىٰ بها حلُّ ما يخفىٰ من الكلِمِ

واحذَر قوانين أربابِ الكلامِ فما (١٧٠) بها من العلمِ غير الشكِّ والتُّهمِ

قاموس فلسفةٍ مِفتاحُ زندَقةٍ (١٧١) كم من ملمٍّ به قد باء بالنَّدمِ

راموا بها عَزل حكمِ الله واقترحوا (١٧٢) للحقِّ ردًّا وإنفاذًا لحُكمهمِ

يرَوك إن تزنِ الوَحيين مجترئًا (١٧٣) عليهما بعقولِ المُغْفِلِ العَجمِ

وأن تحكِّمها في كلِّ مُشتَجَر (١٧٤) إذ ليس في الوحيِ من حكمٍ لمحتكمِ

أما الكتابُ فحرِّفْ عن مواضعِه (١٧٥) إذ ليس يُعجزك التحريفُ للكَلمِ

كذا الأحاديثُ آحادٌ وليس بها (١٧٦) برهانُ حقٍّ ولا فصلٌ لمختَصمِ

وقد أبىٰ الله إلا نصرَ ما خذَلوا (١٧٧) وكَسر ما نصَروا منهم علىٰ رغَمِ

كذا الكَهانَةُ والتَّنجيم إنهما (١٧٨) كُفران قد عبَثا بالناس من قِدَمِ

إسنادُها حزبُ إبليس اللَّعين كما (١٧٩) متونُها أكذبُ المنقولِ من كَلِمِ

ما للتُّراب وما للغيبِ يُدرِكه (١٨٠) ما للتصرُّف والمخلوقُ من عدَمِ

لو كانت الجنُّ تدري الغيبَ ما لبثت (١٨١) دهرًا تُعالج أصنافًا من الألمِ

أما النُّجوم فزَين للسَّما و{رُجو (١٨٢) مًا للشياطين} طردًا لاستماعِهمِ

كما بها يَهتدي السَّاريْ لوِجْهتِه (١٨٣) في البرِّ والبحرِ حيث السَّير في الظلَمِ

والنَّيِّران بحُسبان وذلك تقـ (١٨٤) ديرُ العزيزِ العليمِ المسبغِ النعَمِ

فمن تأوَّل فيها غيرَ ذاك قَفا (١٨٥) ما ليس يعلَمه فهو الكذوبُ سُمِ

كالمُقتفين لعُبَّادِ الهياكلِ في (١٨٦) عزوِ التصرُّفِ والتأثيرِ للنُّجمِ

والكاتبين نِظامًا في عبادَتها (١٨٧) عقدًا وكيفًا وتوقيتًا لنُسكهمِ

فذا سُعودٌ وذا نَحْس وطلسَمُه (١٨٨) كذا، وناسَبه ذا كم بخَرصِهم

واحذَر مجلَّات سوءٍ في الملا نُشرت (١٨٩) تدعو جهارًا إلىٰ نشرِ البَلا بهمِ

تدعو لنبذِ الُهدىٰ والدِّين أجمعه (١٩٠) والعلمِ، بل كلِّ عقلٍ كاملٍ سَلِمِ

وللرُّكون إلىٰ الدُّنيا وزُخرفها (١٩١) والرَّتع كالحيوانِ السَّائمِ البَهِمِ

وللتهتُّك جهرًا والخلاعَة مَعْ (١٩٢) نبذِ المروءةِ والأخلاقِ والشِّيمِ

والاعتماد علىٰ الأسبابِ مُطلقها (١٩٣) دون المسبِّب والخلَّاق من عدَمِ

والكفرِ بالله والأملاكِ مع رسلٍ (١٩٤) والوحيِ مع قدرٍ والبعثِ للرِّممِ

ولاعتناقِ الطبيعيَّات ليس لها (١٩٥) مدبِّر فاعلٌ ما شاء لم يَضِمِ

قامَت لدَيهم بلا قيُّوم ابدَعها (١٩٦) مسخَّرات لغاياتٍ من الحِكَمِ

سمَّوه -مدحًا له- العلمَ الجديدَ، بل الـ (١٩٧) كفرُ القديمُ ومنه القولُ بالقِدَمِ

تقسَّموه الملاحيدُ الطُّغاةُ علىٰ (١٩٨) سهمٍ وأكثرَ لا أهلًا بذي القِسَمِ

وكلَّما مرَّ قرنٌ أو قرونُ أتَوا (١٩٩) به علىٰ صورةٍ أخرىٰ لخُبثهمِ

بعضُ الخبيثِ علىٰ بعضٍ سيَركُمه (٢٠٠) ربي ويجعَله في النَّار للضَّرمِ

واعجَب لعدوانِ قومٍ حاولوا سفهًا (٢٠١) أن يجمَعوه إلىٰ الإسلام في كممِ

كالنَّار في الماءِ أو طُهْرٍ علىٰ حدثٍ (٢٠٢) في وقتِه أو إخاءِ الذِّئبِ والغنَمِ

خاتمة في تحصيل ثمرات العلم النافعة

واجتناء قطوفه الدانية اليانعة

وحاصِل العلمِ ما أملي الصِّفات له (٢٠٣) فأصغِ سمعَك واستَنصت إلىٰ كَلِمي

وذاك لا حفظُك الفُتيا بأحرُفها (٢٠٤) ولا بتسويدِك الأوراقَ بالحممِ

ولا تصدُّر صَدْرَ الجمعِ محتبيًا (٢٠٥) تُمليه لم تفقَهِ المَعْنِيَّ بالكلمِ

ولا العِمامة إذ تُرخِي ذؤابتَها (٢٠٦) تصنعًا وخِضاب الشَّيب بالكَتَمِ

ولا بقولك: يعني - دائبًا - ونعَم (٢٠٧) كلا ولا حَملك الأسفارَ كالبَهَمِ

ولا بحملِ شهاداتٍ مُبهرجةٍ (٢٠٨) بزخرفِ القولِ من نثرٍ ومُنتظمِ

بل خشيةُ الله في سرٍّ وفي علنٍ (٢٠٩) فاعلَم هي العلمُ كلَّ العلمِ فالتَزم

فلتَعرِف اللهَ ولتذكُرْ تصرُّفه (٢١٠) وما علىٰ علمِه قد خُط بالقلمِ

وحقَّه اعرِف وقم حقًّا بموجبِه (٢١١) ومنهجَ الحقِّ فاسلُك عنه غيرَ عَمي

أشقىٰ وأسعَد مختارًا أضلَّ هدىٰ (٢١٢) أدنىٰ وأبعَد عدلًا منه في القسمِ

أوحىٰ وأرسَل وصَّىٰ آمرًا ونهىٰ (٢١٣) أحلَّ حرَّم شرعًا كاملَ الحكَمِ

يحبُّ الإِحْسانَ، والعصيانَ يكرَهه (٢١٤) والبرَّ يرضاه مع سُخطٍ لجُرمِهمِ

بمُقتضىٰ ذَين في الدَّارين مطَّرد (٢١٥) لا ظلم يُخشىٰ ولا خير بمُنهضِمِ

فاعمَل علىٰ وجَلٍ، واذْأَب إلىٰ أجلٍ (٢١٦) واعزِل عن الله سوءَ الظنِّ والتُّهمِ

للشَّرع فانقَد وسلِّم للقَضاءِ ولا (٢١٧) تُخاصِمنَّ به كالملحدِ الخَصِمِ

وبالمقاديرِ كن عبدًا لمالكِه (٢١٨) وعابدًا مخلصًا في شرعِه القِيَمِ

إيَّاه فاعبد وإيَّاه استَعن فبذا (٢١٩) تصِل إليه وإلا حُرْتَ في الظُّلَمِ

وخُذ بالاسبابِ واستَوهِب مُسبِّبها (٢٢٠) وثِق به دونها تُفلح ولم تُضَمِ

بالشَّرع زِن كلَّ أمرٍ ما همَمتَ به (٢٢١) فإن بدا صالحًا أقدِمْ ولا تَجِمِ

أخلِصه واصدُق أصِبْ واهضِم فذي شُرطتْ (٢٢٢) في صالحِ السَّعي أو في طيِّب الكلِمِ

أخلِصْه لله واصدُق عازمًا وأصِب (٢٢٣) صراطَه واهضمنَّ النَّفس تنهَضِمِ

لا تُعجبنَّ به يُحبط ولا تَرَه (٢٢٤) في جانبِ الذَّنبِ والتَّقصيرِ والنِّعمِ

وحيث كان من النَّهي اجتَنبه وإن (٢٢٥) زلَلت تُب منه واستَغفر مع النَّدمِ

وأوقفِ النَّفس عند الأمرِ هل فعَلت (٢٢٦) والنَّهي هل نزَعت عن موجبِ النِّقَمِ

فإن زكَت فاحمَد المولىٰ مطهِّرَها (٢٢٧) ونعمَة الله بالشُّكران فاستَدِمِ

وإن عصَت فاعْصِها واعلَم عداوَتها (٢٢٨) وحذِّرَنْها ورودَ المورِدِ الوَخِمِ

وانظُر مخازيْ المسيئين التي أَخذوا (٢٢٩) بها وحاذِر ذنوبًا من عِقابهِمِ

والزَم صِفات أولي التَّقوىٰ الذين بها (٢٣٠) عليهم الله أثنىٰ واقتَده بهمِ

واقنُت وبين الرَّجا والخوف قُم أبدًا (٢٣١) تخشىٰ الذَّنوب وترجو عفوَ ذي الكرَمِ

فالخوف ما أورَث التقوىٰ وحثَّ علىٰ (٢٣٢) مرضاةِ ربي وهجرِ الإثمِ والأَثِمِ

كذا الرَّجا ما علىٰ هذا يحثَّ لتصـ (٢٣٣) ديقٍ بموعودِ ربي بالجَزا العظمِ

والخوفُ إن زاد أفضىٰ للقُنوط كما (٢٣٤) يُفضي الرَّجاء لأمنِ المكرِ والنِّقَمِ

فلا تُفرِّط ولا تُفْرِط وكن وسطًا (٢٣٥) ومثل ما أمَر الرَّحمن فاستَقِمِ

سدِّد وقارِب وأبشِر واستَعن بغُدٍ (٢٣٦) وبالرَّواح وأدلِج قاصدًا ودُمِ

فمثلُ ما خانَت الكسلانَ همَّته (٢٣٧) فطالما حُرم المنبتُّ بالسأمِ

ودُم على الباقياتِ الصَّالحات وحو (٢٣٨) قِل واسأل الله رزقًا حُسن مُختَتمِ

واضرَع إلى الله في التَّوفيق مُبتهلًا (٢٣٩) فهو المجيبُ وأهل المنِّ والكرَمِ

يا رب يا حيُّ يا قيوم مغفرةً (٢٤٠) لما جَنيت من العصيانِ واللَّمَمِ

وامنُن علي بما يُرضيك واقْضِهِ لي (٢٤١) من اعتقادٍ ومن فعلٍ ومن كلِمِ

وأعْلِ دينَك وانصُر ناصِريه كما (٢٤٢) وعَدتهم ربَّنا في أصدقِ الكلِمِ

واقصِم ببأسِك ربي حزبَ خاذِله (٢٤٣) وردَّ كيدَ الأعادي في نُحورِهِمِ

واشدُد عليهم بزلزال ودَمْدمةٍ (٢٤٤) كما فعَلت بأهلِ الحِجْر في القدَمِ

واجعَلهمو ربَّنا للخلقِ موعِظةً (٢٤٥) وعبرةً يا شديدَ البطشِ والنِّقمِ

ثم الصَّلاة على المعصومِ من خطأ (٢٤٦) محمَّد خيرِ رسلِ الله كلِّهمِ

والآلِ والصَّحبِ ثم التابِعين لهم (٢٤٧) وتمَّ نَظمي بحمدِ الله ذي النِّعمِ

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمـــد لله ربِّ العـــالمين عـــلى (١) آلائـه وهـو أهـلُ الحمـدِ والـنعمِ

يقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومته الميمية في الوصايا والآداب العلمية:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**»، افتتح بالبسملة، «**الحمد لله رب العالمين**»، وثنىٰ بالحمدلة، فقد ورَد: «**كلُّ كلامٍ لا يُبدأ فيه بالحمد لله، فهو أجذَم**»[(١)]، وفي رواية: «**كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بذكر الله**»[(٢)]، وفي رواية: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»[(٣)]. وكلُّ ما جاء في روايات هذا الحديث من البسملةِ، والحمدلةِ، والصلاةِ[(٤)]،

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام (٤٨٤٠)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١٨٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وجاء من حديث كعب بن مالك، ورجل من الأنصار، والزهري مرسلًا. وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٢٢٠: «أخرجه أبو عوانة في صحيحه، وصحَّحه ابن حبَّان أيضًا، وفي إسنادِه مقال، وعلىٰ تقدير صحَّته فالرواية المشهورة فيه بلفظ: حمد الله، وما عدا ذلك من الألفاظ التي ذكرها النوويُّ وردَت في بعض طرق الحديث بأسانيدَ واهيةٍ».

(٢) أخرجه أحمد (٨٧١٢)، والدارقطني (٨٨٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (١٢١٠)، والسمعاني في أدب الإملاء (ص: ٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ الخليلي في الإرشاد (١١٩)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ١٥، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ: «**كل أمر لم يُبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي، فهو أقطع أبتر ممحوق من كلِّ بركة**».

والتشهُّد[١]- ضعيفٌ، علىٰ خلافٍ في لفظ الحمدلة؛ فحسَّنه بعض أهل العلم، كالنوويِّ[٢]، وابن الصَّلاح[٣]، وحكم كثير من أهل العلم علىٰ الحديث بجميع طرقه وألفاظه بالضعف[٤]، وعلىٰ كل حالٍ فالقرآن الكريم مفتَتح بالبسملةِ والحمدلةِ.

«**علىٰ آلائه**»، يعني: نعمه الكثيرة التي لا تعدُّ ولا تحصىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، فقد أسبغ ﷻ النعم علىٰ عباده ظاهرةً وباطنةً، والتي أعظمها علىٰ الإطلاقِ نعمةُ الإسلامِ.

«**وهو أهل الحمد والنعمِ**»، أي: المُنعم المتفضِّل بهذه النعم الكثيرة.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الخطبة (٤٨٤١)، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (١١٠٦)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد (٨٠١٨)، وصحَّحه ابن حبان (٢٧٩٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل خطبةٍ ليس فيها تشهُّد فهي كاليد الجذماء**».

وقال السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ٢٦: «وهذا إسنادٌ صحيحٌ علىٰ شرطِ مسلمِ بن الحجاجِ، وقال الترمذي: إنه حسن غريب. قلت: وقد تكلَّم ابنُ معين في أبي هشام الرِّفاعي من أجلِ روايةِ هذا الحديثِ، وأبو هشام أحد شيوخ مسلم رحمه الله». وقال ابن حجر في فتح الباري ١/ ٨: «فيه مقال». وقد استوفىٰ السخاوي الكلام عليه وعلىٰ رواياته في الأجوبة المرضية ١/ ١٨٩-٢٠٣.

(٢) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم ١/ ٤٣.

(٣) ينظر: التوضيح الأبهر؛ للسخاوي ٢/ ١٢٢، وحسنه أيضًا ابن الملقن في البدر المنير ٧/ ٥٢٨، ونسب تصحيحه لأبي عوانة وابن حبان، ونسب السخاوي في الأجوبة المرضية ١/ ١٩٢ تصحيحه للنووي، والعراقي.

(٤) ينظر: التوضيح الأبهر؛ للسخاوي ٢/ ١٢٣.

ذي المُلْكِ والملكوتِ الواحدِ الصَّمدِ الـ (٢) ـبرِّ المهيمنِ مُبدي الخلقِ من عدمِ

«ذي الملك»: بدل من لفظِ الجلالةِ المجرورِ باللامِ في قوله: «الحمد لله». «والملكوتِ»، الملكوت هو الملك؛ إلا أنه يُضاف إليه الواو والتاء للمبالغةِ، فيقال مِنَ المُلك: الملكوتُ. ويقال من الجبر: الجبَروت[1].

«الواحد» الفرد الذي لا إله غيره، «الصمد» الذي تصمد إليه الخلائقُ؛ أي تفتقر إليه، فهو القائم بأمورِها وشئونها، «البر» الجامع لأنواع البِرِّ، «المهيمن مبدي الخلق من عدمٍ»، أي: مُنشئهم من عدم، فقد ابتدأهم من لا شيء.

من علَّم الناس ما لا يعلَمون وبالـ (٣) ـبيانِ أنطَقهم والخطِّ بالقلمِ

«مَن علَّم الناس» كلَّهم، «ما لا يعلمون»، وخصَّ المسلمين منهم بالعلمِ النافعِ. فالمسلمون علَّمهم العلمَ النافعَ، وعلَّمهم كذلك -كما علم غيرهم- من علوم الدنيا، وأما غير المسلمين، فكما قال تعالىٰ: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧]؛ فهذه الأمم والحضارات التي تقدَّمت في هذه العصور والأزمان علىٰ المسلمين بمراحلَ كثيرةٍ لا يعلمون من أمورِ الدينِ شيئًا، ولا يعلمون من أمورِ الدنيا إلا الظَّاهر، ولو علِموا باطنَ الدنيا وحقيقتها لأسلَموا، ولقد علموا من أمور الدنيا ما لا ينفعهم، ولو نفعهم عِلمُهم لقادهم إلىٰ الإسلام.

(١) قال العسكري في الفروق ص٢٤٦: «الجبروت أبلغ من الجبر، ويدل علىٰ هذا فخامة لفظها، وفخامة اللفظ تدل علىٰ فخامة المعنىٰ فيما يجري هذا المجرىٰ».

«وبالبيان»، أي: بالإعراب عما في قلوبهم بواسطةِ ألسنتهم، «أنطقهم»؛ فقد ميَّز الإنسان بالنطقِ علىٰ سائرِ المخلوقاتِ.

«والخطِّ بالقلم»، يعني: علَّمهم الخطَّ بالقلم، والخطُّ: هو البيانُ الثاني بعد اللِّسان، وعند كثيرٍ من الناس يكون أبلَغ من اللِّسان؛ فكثير من الناس كتابته أبلغُ من كلامِه، وبعض الناس كلامُه أبلغ من كتابَته.

ثم الصَّلاة على المختارِ أكرمِ مبـ (٤) ـعوثٍ بخيرِ هُدًى في أفضلِ الأممِ

«ثم الصَّلاة علىٰ المختارِ» أي: النبي ﷺ الذي اختارَه الله من بني هاشم، واختار بني هاشم من قريشٍ، واختار قريشًا من العربِ، والعربَ من سائرِ الناس، فهو ﷺ صفوة الصَّفوة، وخلاصة المخلوقات.

وقد جاء فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ في نصوصٍ كثيرةٍ[(١)].

«أكرم مبعوث» وأكرم مخلوق، سيد ولد آدم[(٢)]، «بخير هدىٰ»؛ بملة ودين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، «في أفضل الأممِ» أمة محمد ﷺ؛ كما

(١) منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «مَن صلَّىٰ عليَّ مرةً واحدةً صلَّىٰ اللهُ عليه بها عشرًا». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد (٤٠٨) ١/ ٣٠٦، وأبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٥)، والنسائي (١٢٩٥)، وأحمد (٨٨٥٤، ١٠٢٨٧).

(٢) إشارة إلىٰ ما أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ علىٰ جميع الخلائق (٢٢٧٨)، وأبو داود (٤٦٧٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيِّد ولد آدَم يوم القيامة...». وقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم.

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فهي خير الأمم وأشرفها بهذا النبيِّ الكريم، وبهذا الكتاب العظيم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزُّخرُف: ٤٤]، أي: لشرف لك ولقومِك، فشرفُ هذه الأمة في تمسُّكها بكتابِ ربها، واقتدائها بنبيِّها، واعتصامها بسنته ﷺ، فهذه هي الخصِّيصة التي بها كُرمت وفُضلت علىٰ سائرِ الأممِ.

ومن أعظم الشعائر التي فُضِّلَتْ ومُيِّزَتْ بها هذه الأمة على سائر الأمم، شعيرةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ فالإيمان موجود في هذه الأمَّة، وهو الأصل ولا يصحُّ عمل بدونه؛ إلا أنه قد قُدم الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ علىٰ الإيمانِ بالله ﷻ؛ لأنه هو الذي يُميز هذه الأمة عن سائرِ الأممِ، وإلا فسائر الأمم فيهم المؤمنون، لكن لا يتساوىٰ المؤمن بإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وغيرهم من الأنبياء بالمؤمنين من هذه الأمة، فهذه الأمة أفضَل وأكرَم وأشرف علىٰ الله ﷻ؛ لأن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تُوجد عند غيرها، فهي خصيصة امتازت بها هذه الأمة، وصارت سببًا لتفضيلها علىٰ غيرها.

والآلِ والصحبِ والأتباعِ قاطبةً (٥) والتابعين بإحسانٍ لنهجهِم

«والآلِ والصحبِ» بعد أن صلىٰ علىٰ النبي ﷺ، ثنىٰ بالصلاة علىٰ آله وصحابته، وعلىٰ أتباعهم إلىٰ يوم القيامة؛ إلا أنه أفرد الصلاةَ دون السلامِ، وامتثال الأمر في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] يقتضي الجمع بين الصلاة والسلام. فقد يكون طول الكلام هو المتسبِّب في ذلك؛ حيث إنه قد أطال الكلامَ المتعلِّق بالصلاة، فلعله نَسي أن يختمَ بالتسليمِ، مثل ما أطال مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسطرين في الصَّلاة في مقدمة صحيحه، فنسي السلام[١]، وتعقَّبه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه، وأطلَق القول بكراهةَ إفرادِ الصلاةِ دون السلام[٢]. وخص الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكراهة بمن كان ديدنُه إفراد أحدهما، أما من كان يجمع بينهما تارةً، ويكتفي بالصلاة تارةً، وبالسلام تارةً، فهذا لا يتَّجه إليه القول بالكراهة[٣].

والآلُ والصحبُ إذا جُمع لفظًا حُمل الآل علىٰ الأقربين من أزواجِه وذرِّيَّته وأقاربِه، والصحب علىٰ بقية الصحابة.

والآل لهم حقٌّ عظيمٌ علىٰ هذه الأمَّة، فهم وصية النبيِّ ﷺ[٤]، ومن حقِّهم

(١) ينظر: مقدمة صحيح مسلم ١/ ٣.

(٢) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم ١/ ٤٤.

(٣) ينظر: فتح الباري ١١/ ١٦٧.

(٤) كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣]، وكما في صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم قال: «قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا، بماء يدعىٰ خمًا =

أن يُصلَّىٰ ويُسلَّم عليهم؛ تبعًا له ﷺ، لا علىٰ جهةِ الإفرادِ دونه، فالعُرف العلميُّ خصَّ الصلاة والسلام بالنبيِّ ﷺ استقلالًا، مع جواز عطفِ غيره؛ تبعًا له، أما الصلاة علىٰ غيره علىٰ سبيلِ الاستقلال، فمسألة خلافية بين أهلِ العلمِ، فجوَّزها بعضهم ما لم تكن شعارًا لشخصٍ بعينه، فلا يُقال: أبو بكر ﷺ دون غيره، ولا يُقال: عمر ﷺ دون غيره، ولا يُقال: علي ﷺ دون غيره، وهكذا، فمن أهلِ العلمِ من يتسامَح بشرطِ أن يفعله مع الجميع أحيانًا، لا بشكل دائم[(١)]، وقوله ﷺ: «**اللهم صلِّ علىٰ آل أبي أوفىٰ**»[(٢)] يستدلُّ به من يقول بالجوازِ، وإن كان الحديث امتثالًا للأمر في قوله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣] فهذا أمر للنبي ﷺ بأن يصلِّي علىٰ مَن دفع الزَّكاة إليه، فقوله ﷺ: اللهم صلِ علىٰ فلان، أو علىٰ آل فلان؛ إنما هو امتثال للأمر، وهذا خاصٌّ في هذا الموضع، أمَّا ما عداه فلا يُصلىٰ إلا علىٰ النبيِّ ﷺ، كما أنه لا يُقال: محمد ﷻ، وإن كان عزيزًا جليلًا؛ لأنّ العرف

= – بين مكة والمدينة –، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحثَّ علىٰ كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

(١) ينظر: الجواب الباهر في زوار المقابر؛ لابن تيمية (ص: ٦٦، ٦٧)، ومجموع الفتاوىٰ؛ لابن تيمية ٢٧/ ٤١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب هل يصلىٰ علىٰ غير النبي ﷺ (٦٣٥٩)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتىٰ بصدقته (١٠٧٨)، وأبو داود (١٥٩٠)، والنسائي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (١٧٩٦)، من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

عند أهلِ العلمِ قد خصَّ هذا بالله ، وكذا الترضي خصُّوه بالصحابة، والترحُّم بمَن جاء بعدهم.

«**والآل**» أصله: الأهل؛ ولذا يُصغر علىٰ أُهيل. ومنهم: من يقول: أصله: أَوَل؛ لأنه يئول إليهم ويئولون إليه، أي: مَن هم مِن أصولِه يرجع إليهم، ومَن هم مِن فروعه يرجعون إليه[1]. «**والصحب**» جمع صاحب؛ كرَكب جمع راكب، وهو من رأىٰ النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات علىٰ ذلك.

«**والأتباع**» من تبع هؤلاء بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، «**قاطبة**» جميعًا.

«**والتابعين**» ذكره للتابعين بعد الأتباع يجوز أن يكون لزيادة التأكيد، وهذا إذا اعتبرنا أن الأتباع يشمل التابعين ومن جاء بعدهم.

أما إذا قلنا: إن الأتباع المراد بهم جمع التابعي، وهو من لقي الصحابي حال كونه مؤمنًا بالنبي ﷺ ومات علىٰ ذلك، وإن التابعين هم من جاء بعدهم؛ فهذا ليس بتكرار، والتأسيس أولىٰ من التأكيد.

«**بإحسانٍ لـنَهجهم**» يعني: علىٰ طريقتهم، وعلىٰ ما كان عليه أولئك السَّلف الأوائل.

(١) ينظر: الفتاوىٰ الكبرىٰ؛ لابن تيمية ٢/ ١٩٦.

ما لاح نجمٌ وما شمس الضُّحى طلَعت (٦) وعدَّ أنفاسِ ما في الكونِ من نَسَمِ

«**ما لاح**» «ما» مصدرية ظرفية، أي: مدة ظهور ولمعانِ «**نجم وما شمس الضُّحىٰ طلعت**» خصَّ شمس الضُّحىٰ؛ لأن الشمس في رابعةِ النهار أقوىٰ منها في أوَّل النهار وآخره؛ ولذا تُخص دائمًا.

«**وعدَّ أنفاسِ ما في الكونِ من نَسَم**» وهذه مبالغة في الكثرة؛ لأنه مَن صلىٰ علىٰ النبيِّ ﷺ مرَّة صلىٰ الله عليه بها عشرًا[(١)]، فكم يكون عد أنفاس ما في الكون من نسمٍ؟! فهذه أجورٌ عظيمةٌ يُحرمها الغافل، والنسم: جمع نَسَمَة: وهي النفس[(٢)].

وهذا إجمال، والإجمال لا يتحقَّق فيه من الثواب ما يتحقَّق في التفصيل إلا ما ورد فيه نصٌّ؛ كما في قوله ﷺ: «**سُبحان الله وبحمدِه، عددَ خلقه، ورِضا نفسه، وزِنة عرشه، ومِداد كلماته**»[(٣)]. فلا إشكال فيما ورَد فيه نص؛ لأنه لو لم يترتب عليه الأثرُ لما جاء الحثُّ عليه، لكن الإشكال فيما لم يرد فيه

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ، ثم يسأل له الوسيلة (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) تاج العروس؛ للزبيدي ٣٣/ ٤٨٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٧٢٦)، والترمذي (٣٥٥٥)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (١٣٥٢)، وابن ماجه (٣٨٠٨)، من حديث جويرية رضي الله عنها.

نص؛ كأن تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص] عدد رملٍ عالجٍ[(١)]، أو تقول: اللهم صلِّ علىٰ محمد عددَ رملٍ عالجٍ، ولا يشك أحدٌ في فضل الله ﷻ، وسَعة جُوده وكرمه، لكنها مسألة اتِّباع، فقولك: «أستغفر الله ثلاثًا» ليس كقولك: «أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله». ولا يحصل به الأجر نفسُه، فالإجمالُ لا يحصل به ما رُتِّب علىٰ التفصيل؛ إلا فيما ورد فيه نصٌّ[(٢)].

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعني بـ«**عدّ أنفاسِ ما في الكون من نسَم**»: الكثرة الكاثرة، وأجورها علىٰ الله ﷻ بقدر ما يكتبه للإنسانِ، وقد يُكتَب للإنسانِ بلفظٍ واحدٍ ما لا يُكتب لغيره بألفاظٍ كثيرةٍ، وذلك بحسب ما يستَحضره الذاكر من معانٍ.

وبالجملة، فهذه الأعداد التي ذكَرها الناظم لا شك أنه يُثاب عليها؛ لأن قصدَه التكثير من هذه الصلاة علىٰ النبيِّ ﷺ التي جاء الحثُّ عليها.

(١) رمل عالج -بفتح اللام وكسرها-: مكان كثير الرمل، يضرب به المثل في الكثرة. ينظر المرقاة؛ للقاري ٤/ ١٦٦٧.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ ٣٣/ ١٢، وجامع العلوم والحكم؛ لابن رجب ٢/ ٥٣٠- ٥٣٥.

وبعد من يُرد الله العظيمُ به (٧) خيراً يُفقِّهْه في دينِه القِيَمِ

«وبعد»، الأصل في السنةِ المأثورةِ عن النبيِّ ﷺ: «أما بعد»، فقد رُويت عن أكثر من ثلاثين صحابيًّا[١]، وكان ﷺ يستعملها في خُطبه، ومكاتباته[٢]؛ فالإتيان بها سنة للانتقالِ من أسلوبٍ إلىٰ آخر[٣]. ومن المتأخِّرين من يرىٰ أن الواو تقوم مقام (أما)، وقد نصَّ علىٰ ذلك الزُّرقاني[٤] في «شرح المواهب»[٥]. وإذا جيء بـ«أما» التي هي حرف شرط وتفصيل، فالأكثر المشهور أن يقترن جوابها بالفاءِ. «**وبعد**» يُبنىٰ علىٰ الضمِّ؛ لأنه حُذِفَ المضافُ، ونُوِيَ معناه[٦].

(١) ينظر: فتح الباري؛ لابن حجر ٢/ ٤٠٦.

(٢) إشارة إلىٰ ما أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلىٰ الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله (٢٩٤١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل يدعوه إلىٰ الإسلام (١٧٧٣)، وأبو داود (٥١٣٦)، والترمذي (٢٧١٧)، وقال: «حسن صحيح»، من حديث ابن عباس، عن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنهم، قال: «ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرئ، فإذا فيه: **بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلىٰ هرقل عظيم الروم، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، أما بعد: فإني...**» الحديث.

(٣) ينظر: عدة الكتاب؛ للنحاس ص:٢٣٩، وقال الحافظ في الفتح ٢/ ٤٠٥: «ولا اقتصار عليها في إرادة الفصل بين الكلامين ... ومنهم من صدر بها كلامه، فيقول في أول الكتاب: أما بعد حمد الله، فإن الأمر كذا. ولا حجر في ذلك».

(٤) هو: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الأزهري المالكي الشهير بالزرقاني، الإمام المحدِّث الفقيه المتفنن. توفي سنة ١١٢٢هـ. له تصانيف منها: «شرح المواهب اللدنية»، «شرح علىٰ الموطأ»، «اختصار للمقاصد الحسنة للسخاوي». ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر؛ لابن مراد الحسيني ٤/ ٣٢، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية؛ لابن مخلوف (١٢٥٥).

(٥) ينظر: شرح المواهب اللدنية ١/ ٢٧.

(٦) ينظر: عمدة الكتاب؛ للنحاس ص:٢٤٠.

«من يُرد الله العظيمُ به خيرًا يُفقِّهه في دينِه» هذا يدلُّ عليه حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من يُرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدِّين»[1]، أي: يُفقهه في الدين بجميعِ أبوابِه، فالحديث ليس محصورًا على الفقه بمعنى: الأحكامِ العملية، كما يُشير إليه صنيع الفقهاء؛ حيث يُصدِّرون كتبهم بهذا الحديثِ، فالعقائد مثلًا هي الفقهُ الأكبرُ عند أهلِ العلمِ، فتدخل في الحديثِ دخولًا أوليًّا، كما يدخل فيه غيرها من أبوابِ الدينِ.

وقد يقول قائل: إن قوله: «من يُرد الله به خيرًا» نكرةٌ في سياقِ الشرط؛ فتعم الخيرَ كله. وهذا مفهومُه أن الذي لا يتفقَّه في دين الله ﷻ لم يُرد الله به خيرًا، ولو صام، وصلَّى، وأنفَق، وجاهد. فكثير من عوام المسلمين - ممن لا يقرَأ ولا يكتُب، ولم يتفقَّه- قد فتح الله لهم كثيرًا من أبواب الخيرِ؛ من لزوم صلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، وحجٍّ، وفعل للمأمورِ وترك للمحذورِ، لكنهم لم يتفقَّهوا في الدين، فهل أراد الله بهم شرًّا؟

فنقول: إنَّ اللفظ وإن كان عامًّا؛ إلا أنه قد جاء ما يخصِّصه، فالشرع قد جاء بالحثِّ على هذه الأبوابِ كلِّها، فمن امتَثل الأمرَ، فهو على خيرٍ بلا شك؛ إلا أن الله ﷻ لم يُرد به الخيرَ المرتَّب على الفقه في الدينِ، وأراد به خيرًا حين ألزَمه الاستقامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (١٠٣٧)، وابن ماجه (٢٢١)، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وجاء من حديث أبي هريرة، وعمر، وابن عباس، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

[فُصِّلَت:٣٠]. وقال ﷺ: «**قل آمَنت بالله ثم استَقم**»(١). وقال ابن تيمية: «غاية الكرامة لزوم الاستقامة»(٢).

وأيضًا فخيريةُ الفقهِ في الدين خيريةٌ نسبية؛ فقد يكون على خيرٍ في هذا البابِ، وعلى شرٍّ في أبوابٍ أخرى.

«القِيَم» كما في قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام:١٦١]، أي: مستقيمًا(٣).

وحثَّ ربي وحضَّ المؤمنين على (٨) تفقُّه الدين مع إنذارِ قومِهم

فعلى الإنسان إذا تعلَّم أن يُعلِّم غيره، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٢٢]، وقد أخذ الله الميثاقَ على أهلِ العلمِ أن يُبينوا للناس ولا يكتموا؛ فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (٣٨)، والترمذي (٢٤١٠)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٧٢)، من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٩٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٢/ ٢٨٢.

وامتنَّ ربي على كلِّ العبادِ وكلْـ (٩) ـلِ الرُّسل بالعلمِ فاذكر أكبر النِّعمِ

فأكبرُ النعم أن تعبد الله ﷻ على بصيرة، فتُحقق ما خُلقت له، وهذا لا يتأتى إلا بالعلمِ المقرونِ بالعملِ.

يكفيك في ذاك أُولى سورةٍ نزَلت (١٠) على نبيِّك أعني سورةَ القلمِ

«يكفيك في ذاك أُولى سورةٍ نزَلت على نبيِّك» يعني: يكفيك وإن لم ينزل غيرها «أعني سورةَ القلمِ»، أي: سورة «اقرأ»: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١][(١)].

وقد يستشكل بعضهم فيقول: إن المرادَ بالبيت: سورة ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [القلم: ١].

فيقال في الجواب عن هذا الاستشكال: إن الناظم وصف السورة بأنها أول سورة نزلت؛ ولم يدَّعِ أحد من أهل العلم أن سورة ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ هي أول ما نزل، بل الخلاف بين «اقرأ» و«المدثر» وجاء في الحديثِ الصَّحيح: «**إن أول ما نزل المدَّثر**»[(٢)]، لكن عامَّة أهل العلم على أن أول ما نزل «اقرأ».

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٤٦٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن (٤٩٢٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٦١)، من حديث جابر رضي الله عنه.

ولم يقل الناظم: «سورة العلق»؛ لأن القافية ميمية، وسمَّاها «سورة القلم» لذكر القلم فيها.

كـــذاك في عَـــدِّه الآلاءَ قدَّمـــه (١١) ذكـــرًا وقدَّمـــه في ســـورةِ الـــنَّعَمِ

«**كذاك في عَدِّه الآلاءَ**»، أي: النِّعم، «**قدَّمه ذكرًا**» أي: قدَّم العلم في سورة الرحمن، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١- ٤]، يعني: افتتح هذه السورة - سورة الآلاء- بالعلم والتعليم.

«**وقدمه في سورة النَّعَم**» هي سور النحل، سميت بسورة النعم لكثرة ما عدَّد الله ﷻ فيها من نعمِه علىٰ عبادِه.

والآية التي تدلُّ علىٰ العلمِ في سورة النحل - وفي سورة الأنبياء أيضًا- هي قوله تعالىٰ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[النحل:٤٣، والأنبياء: ٧].

أو هي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل: ٧٨]، وهذه تدلُّ علىٰ العلمِ، والامتنانِ به؛ بأن الله سبحانه قد ركَّب فيهم الآلات التي بها يُحصَّل العلم.

وميَّـز الله حتـى في الجـوارحِ مـا (١٢) منهـا يُعلَّـم عـن بـاغٍ ومُغْتشِـمِ

«وميَّز الله حتىٰ في الجوارحِ»، الجوارحُ: جمعُ جارحةٍ، وهي الكواسرُ من الطيورِ، ومن وحوشِ الحيواناتِ.

«ما منها يُعلَّم»، فالمتعلم منها مميَّز علىٰ غيره، فالكلب مثلًا من أنجَس المخلوقات، فنجاسته مغلظة جدًّا، حتىٰ ورد غسلُ ما ولغ فيه سبعًا، وتعفيره الثامنة بالتراب[(١)]، وهذا أشدُّ من النجاسات المغلظة كالعَذِرة التي يكفيها الثلاث، وقد ضُرب بالكلب أبشع الأمثلة؛ كما في قوله تعالىٰ في حقِّ العالم الذي يعلَم ثم لا يعمل، أو يعمل بخلافِ علمِه، قال تعالىٰ: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقد ورَد أن الذي يعود في هِبته مَثَلُه كمثلِ الكلبِ[(٢)]، فليس له إلا مثَلُ السوء، ولو كان هناك أقبح وأشنع منه لمُثِّل به.

ومع ذلك إذا تعلَّم الكلب تشرَّف بالعلم، فيُؤكل ما يَصيده؛ مع أن من وحوش الحيوانات ما هو خير وأطهر منه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان (١٧٢)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب (٢٧٩)، وأبو داود (٧١)، والترمذي (٩١)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٣٣٨)، وابن ماجه (٣٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها (٢٥٨٩)، ومسلم، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل (١٦٢٢)، وأبو داود (٣٥٣٨)، والترمذي وقال: «حسن صحيح» (١٢٩٨)، والنسائي (٣٦٩١)، وابن ماجه (٢٣٩١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «**العائد في هِبته كالكلبِ يَقيء ثم يَعود في قيئِه**».

«عن باغٍ ومُغْتشِمِ»، فالكلب المعلَّم أفضل من غيره من العوادي غير المعلمة، والمغتشم: الذي يركب رأسه؛ لا يثنيه شيء عما يريد ويهوىٰ، من شجاعته(١).

وذمَّ ربي تعالى الجاهلين به (١٣) أشدَّ ذمٍّ فهم أدنى من البَهِمِ

كما في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وليس غِبطةٌ الا في اثنتين هما الـ (١٤) إحسان في المالِ أو في العلمِ والحكمِ

«وليس غِبطة»، أي: وليس الحسد الممدوح، والحسد أساسه تمني مثل ما عند الغير من نعمة، وهذا التمني يجمع النوعين:

النوع الأول: أن يتمنَّىٰ النعمة لنفسه؛ مع بقائها عند المُنعَم عليه، وهذه هي الغِبطة، والحسد الممدوح.

النوع الثاني: أن يتمنىٰ زوال النِّعمة عن الغير، وهذا هو الحسد المذموم، وهو محرَّم، ويأكل الحسنات، كما تأكل النَّار الحطَب(٢).

(١) الصحاح؛ للجوهري ٥/ ١٩٩٦.

(٢) إشارة إلىٰ ما أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الحسد (٤٩٠٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب**». وقد ذكره البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٢٧٢، وقال: «ولا يصح». ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير (٢٩٠٨). =

«إلا في اثنتين هما الإحسان في المالِ أو في العلمِ والحكمِ»، كما قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين» يعني: لا غِبطة إلا في خصلتين، «رجل آتاه الله مالًا، فسلَّطه علىٰ هلَكته في الحقِّ، ورجل آتاه الله الحكمةَ، فهو يَقضي بها ويُعلِّمها»[1].

ومن صفاتِ أولي الإيمانِ نَهْمَتُهم (١٥) في العلم حتى اللِّقى أغبِط بذي النَّهَمِ

«ومن صفاتِ أولي الإيمانِ نَهْمَتهم في العلم»، فهؤلاء المنهومون بالعلم هم المؤمنون حقًّا؛ لأنهم يعبدون الله ﷻ علىٰ بصيرة، ويُعلِّمون غيرهم «حتىٰ اللقىٰ»، فأمد التعلُّم لا ينقطع ولا ينقضي؛ من سنِّ التمييز إلىٰ الوفاة، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحِجر: ٩٩] ومن أعظم ما يُعْبَدُ به الربُّ ﷻ طلبُ العلمِ الشرعيِّ المورِّثِ للخشيةِ.

«أغبِط» أَفْعِلْ اسم تفضيل من الغِبطة.

= وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحسد (٤٢١٠)، والخطيب البغدادي ٣/ ١٣ من حديث أنس رضي الله عنه. وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١١٥): «وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن».

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٧٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها (٨١٦)، وابن ماجه (٤٢٠٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقد جاء من حديث ابن عمر، وأبي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم.

«بذي النَّهَمِ»، أي: أغبط بذلك المنهوم بالعلمِ الشرعيِّ، والذي يقصد به وجه الله ﷻ، وإخراجَ نفسه من ظلماتِ الجهلِ، ونفعَ غيره بنورِ العلمِ، أو أَغْبِطْ بتلك النهم؛ التي واحدها: نهمة، وهي شدة الحرص علىٰ العلم.

العلمُ أعلى وأحلى ما له استَمَعت (١٦) أذنٌ وأعـرَب عنـه نـاطقٌ بفـمِ

«العلمُ أعلىٰ وأحلىٰ ما له استَمَعت أذنٌ»، وهذا بالنسبة لمن يتلذَّذ بالعلم؛ لأن طلب العلم - كغيره من التكاليف - عبادةٌ من العبادات، أوَّلُ أمره جهادٌ، ثم بعد ذلك يتلذَّذ به طالبه، فيصير عنده أفضل مسموعٍ تطرب الأذنُ لسماعه، وأحلىٰ منطوقٍ يتلذَّذ اللسان بالنطق به. وهذا شيء جرَّبه مَن جرَّبه من العلماء وطلَّاب العلم، فكلٌّ من كان له نصيب من الازديادِ في العلمِ والتعليمِ، وجد هذه اللذَّة، حتىٰ إن الناس ليتعجبون من الصبرِ والجلدِ عند بعض أهل العلم من المعلِّمين والمتعلِّمين، والأمثلة موجودة ولله الحمد، فكثير من الأئمَّة المتقدِّمين الصادقين، وممن جاء بعدهم، كان وقتُهم كله للعلمِ والتعليمِ، فعلىٰ سبيل المثال: شرف الدين الطيبي[1]، كان يجلس من بعد صلاة الفجر إلىٰ أذان الظهر لتفسيرِ القرآنِ، ومن بعد صلاةِ الظهرِ إلىٰ أذان العصرِ لشرح

(١) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي، كان كريمًا متواضعًا، حسنَ المعتقدِ، شديدَ الردِّ علىٰ الفلاسفةِ والمبتدعةِ، وكانت له ثروة طائلة أنفقها في وجوهِ الخيرِ حتىٰ افتقر في آخر عمرِه. توفي سنة ٧٤٣هـ. له تصانيفُ، منها: «شرح مشكاة المصابيح»، و«التبيان في المعاني والبيان». ينظر: الدرر الكامنة؛ لابن حجر (١٦١٣)، والأعلام ٢/ ٢٥٦.

صحيحِ البخاريِّ، وكان هذا ديدنه إلىٰ أن قُبض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسجد وهو ينتظر صلاةَ الظهرِ بعد فراغِه من درسِ التفسيرِ[١]. والنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقرأ ويدرُس كل يوم اثني عشر درسًا علىٰ مشايخه شرحًا وتصحيحًا[٢]. ويوجد الآن بالفعل من المشايخ مَن يدرِّس ليلَ نهارَ ولا يمل.

وحُكي عن واحدٍ من شيوخِ شيوخِنا: أنه لمَّا أوىٰ ليلةَ زفافه إلىٰ فراشِه مع عروسه، تذكَّر آيةً فأشكَلت عليه، فنزل إلىٰ المكتبة، وظل يتنقَّل من تفسيرٍ إلىٰ تفسيرٍ إلىٰ أن أذَّن الفجر!

فعاشق العلم يتمنىٰ ألا يُوجد في الوجودِ شيء يشغله عن العلم، فعلىٰ طالب العلم أن يُواصل ولا ينقطع؛ لأنه إذا انقطع عسرت عليه المعاودة.

«**وأعرَب عنه ناطقٌ بفمِ**»، بعض المشايخ إذا سمعته وهو يقرِّر مسائل العلم تمنيت ألَّا يسكتَ، وبعضهم ينبو عنه سمعُك، وتنفر منه بمجرَّد أن يبدأ جملته الأولىٰ، فتتمنىٰ أن يسكت ولا يتكلم، فهناك فرقٌ شاسع بين من أخذ العلمَ علىٰ الجادَّة، فحفظه وفهمه علىٰ الأصولِ والقواعدِ المقرَّرة عند أهلِ العلمِ، وبين من أخذ بثقافاتٍ ونُبَذٍ من كل علم، فتجده إذا أراد أن يتكلم في مسألة شرعية لا يحضره النصُّ؛ لأنه لم يحفظ شيئًا من كلامِ أهلِ العلمِ الذي فيه القوةُ والمتانةُ، فيذهب يمينًا ويسارًا بألفاظٍ لا قيمةَ لها، فإذا فَرَغَ من حديثِه لم تجد إلا مجموعة طلاسم.

---

(١) ينظر: الدرر الكامنة (١٦١٣).

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ؛ للذهبي ٤/ ١٧٤، طبقات الشافعية؛ للإسنوي ٢/ ٢٦٦.

العلم غايتُه القصوى ورتبتُه الـ (١٧) ـعلياءُ فاسعَوا إليه يا أولي الهِمَمِ

«**العلم غايتُه القصوىٰ ورتبتُه العلياءُ**» فالغاية عالية رفيعة، قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، أي: من درجات الجنة، وبين الدرجة والدرجة مثل ما بين السماءِ والأرضِ[(١)]، فالدرجةُ الواحدة ترفع صاحبَها إلىٰ شيء لا يخطر علىٰ البال، فكيف بالدرجات؟!

«**فاسعَوا إليه**»، يعني: اسعوا إلىٰ غاية العلم القصوىٰ «**يا أولي الهِمَمِ**»، أي: يا أصحاب الهمم العالية التي لا تقنع باليسير، والتي هي علىٰ عكس الهمم الدنيئة الوضيعة التي تقنع باليسير والدون.

(١) أخرج البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي (٢٧٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًا علىٰ الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة». وأخرج أحمد (٢٢٧٣٨)، والترمذي (٢٥٣١)، عن عبادة مرفوعًا: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين منهما، كما بين السماء والأرض»، وله شاهد عن معاذ، وآخر عن أبي الدرداء رضي الله عنهما.

العلمُ أشرفُ مطلوبٍ وطالبُه (١٨) للّه أكرمُ من يمشي على قدمِ

«العلمُ أشرفُ مطلوبٍ»، أي: أنّ العلم النافع الذي يُورث الخشية لله ﷻ هو أشرف مطلوب، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. فالحصر في الآية حقيقيٌّ من باب حصر الصفة وهي الخشية، علىٰ الموصوف وهم العلماء. ويمكن أن يكون الحصرُ إضافيا؛ بمعنىٰ: ما يخشىٰ اللهَ أشدَّ الخشيةِ من عباده إلا العلماءُ، وذلك كيلا تُنفَىٰ الخشيةُ عمن سوىٰ العلماء من عباد الله المؤمنين. فالذي لا يخشىٰ الله ﷻ ليس من أهلِ العلمِ، وإن حمل ما حمل من المسائل، وإن تفنن، وإن ضرب في كلِّ علم بطرف، فعلمه ليس بعلم ما لم يُورثه خشية الله ﷻ.

«وطالبه لله»، يعني: مخلصًا فيه لله تعالىٰ.

«أكرمُ من يمشي علىٰ قدمِ»، فإذا كانت الوحوش تتمايز بالعلمِ، فَلَأَنْ يتمايز المكلَّفون به من باب أولىٰ.

العلمُ نورٌ مبينٌ يستضيء به (١٩) أهلُ السعادةِ والجهَّالُ في الظُّلَمِ

«العلمُ نورٌ مبينٌ يستضيء به أهلُ السعادةِ»، فأهل العلم هم أهل السَّعادة في الدارين، فعكوفُ المرءِ علىٰ كتبِه، وتركُه ما يتداوَله الناس من ملذَّات الدنيا ومتعها الزائلة، ليس حبسًا كما يظنه بعض الجهال، بل هو السعادة في الدارين. ويُراد بذلك أهل العلم الذين طلبوه لله ﷻ، وعملوا به، لا يُسمِّعون بطلبه ولا تعليمه، ولا يمارون، ولا يجادلون به.

«والجهَّالُ في الظُّلَمِ»، أي: أن الجهال - الذين لا يتعلَّمون - هم واقعون في ظُلَمٍ، وهذا واضح. وقد ضرب أبو بكر الآجُرِّيُّ[١] في كتابه «أخلاق العلماء» مثالًا للحاجة الماسَّة إلىٰ أهلِ العلمِ، فقال: «فما ظنكم - رحمكم الله - بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلىٰ سلوكه في ليلةٍ ظلماءَ، فإن لم يكن فيه مِصباح وإلا تحيَّروا، فقيَّض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم، فسلَكوه علىٰ السلامة والعافية، ثم جاءت طبقاتٌ من الناس لا بد لهم من السُّلوك فيه، فسلكوا، فبينما هم كذلك؛ إذْ طَفِئَتْ المصابيحُ فبقوا في الظُّلمة، فما ظنُّكم بهم؟! هكذا العلماء في الناس»[٢]. فالجهَّال يتصرَّفون تصرُّفات لا يُقَدِّرُونَ مدىٰ خطورتها، ويتعامَلون بمعاملات يجهلون حُكمها، وفي النهاية يقعون في المحرَّمات والمحظورات.

العلمُ أعلى حياةٍ للعباد كما (٢٠) أهلُ الجهالَة أمواتٌ بجَهلهمِ

فعلىٰ المرء أن يسعىٰ لنيل الأسباب التي بها يحيا حياةً سعيدةً تنفعه، لا حياةَ شقاءٍ وتعاسةٍ.

(١) هو: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، الفقيه الشافعي، المحدث، كان صالحًا عابدًا. توفي سنة ٣٦٠هـ. له تصانيف منها: «الأربعين حديثا»، و«الشريعة»، و«الغرباء». ينظر: وفيات الأعيان؛ لابن خلكان ٤/ ٢٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٣.

(٢) أخلاق العلماء؛ للآجري (ص: ٣٠).

لا سمعَ لا عقلَ بل لا يُبصرون وفي السْـ (٢١) ـــــسَعير معْـــترَف كـــلٌّ بـــذَنبهِم

«لا سمعَ لا عقلَ بل لا يُبصرون»؛ لأنها وإن وُجدت هذه الحواس؛ إلا أنهم لَمَّا لم ينتفعوا بها كان وجودُها وعدمُها سواءً؛ ولذا نفى الله ﷻ منافعها عمن لا يستعملها في الطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

«وفي السَّعير» أي: في جهنم - نسأل الله العافية- «معتَرف كلٌّ بذَنبهم»، أي: يعترفون بذنوبهم؛ لأنهم انصرفوا عن الدينِ، لا يتعلَّمونه ولا يعملون به، إلا عملًا لا يوافق مراد الله ﷻ، وقد ذُكر أنَّ من نواقض الإسلام انصرافُ المرء بالكلِّية عن الدينِ، لا يتعلَّمه ولا يرفَع به رأسًا، ولا يعمل به[1]، فهذا لا شك أنه لا حظَّ له من الدِّين.

فالجهلُ أصلُ ضلالِ الخلقِ قاطبةً (٢٢) وأصـــلُ شِـقْوتهم طـــرًا وظُلْمهـــمِ

ولذا كان يُوصَفُ الناسُ ويُوصَفُ المجتمعُ قبل بَعثة النبي ﷺ بالجاهلية، وكذلك يُوصَف من لا يتصف بالعلمِ بأنه جاهلٌ، وأيضًا فإنَّ مخالفَ العلمِ فيه جهل وجاهلية.

(١) هو: الناقض العاشر من النواقض التي ذكرها المجدد. ينظر الدرر السنية ١٠/ ٩١.

والهدىٰ ضد الضَّلال، ولا هداية بدون علم، فالجاهل سوف يضلُّ لا محالَة؛ لأن مِن لازِم صحَّة العملِ العلمَ به قبلُ؛ إذْ كيف تصلِّي وأنت لا تدري أحكامَ الصَّلاة؟! وكيف تصوم وأنت لا تعرف أحكامَ الصِّيام؟! وكيف تحجُّ وأنت لا تعرف أحكامَ الحجِّ؟! وهكذا، فالذي لا يعرف ولا يعلم جاهلٌ، والجاهلُ يُعرِّض عبادتَه للبطلان، فالذي يعبد الله ﷻ علىٰ جهلٍ لن يؤدِّي العبادةَ علىٰ مرادِ الله، ولا علىٰ مرادِ رسوله ﷺ، ولا شك أنه سوف يقع في عبادته أخطاء ومخالفات؛ ولذا جاء أمره عليه السلام: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي**»[(١)]. وقال أيضًا في المناسك: «**خذوا عنِّي مناسِككم**»[(٢)]. إذَنْ فالشرائع لا تُؤخذ إلا عن الأنبياءِ، وعليه فشريعةُ الإسلام لا تُؤخذ إلا عن نبيِّ الإسلام محمد ﷺ، ومن زعم أن له سبيلًا وطريقًا إلىٰ الله ﷻ من غير طريقه عليه السلام فهو ضالٌّ، ومن زعم أنه يسعه الخروجُ عن شريعة محمد ﷺ، ويُمكنه الوصول إلىٰ الله ﷻ من غير طريقِه فهو كافر، وهذا بخلاف الشرائع السابقة، فإذا كان هذا قد ساغ في شريعةِ موسىٰ عليه السلام، وأنه قد وسع الخضر الخروج عن شريعةِ موسىٰ عليه السلام، فإنه لا يَسُوْغُ بأي حالٍ من الأحوال في شريعة محمد ﷺ.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجَمْع (٦٣١)، وأخرج مسلم أصل الحديث فقط دون هذا اللفظ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (٦٧٤)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا (١٢٩٧)، وأبو داود (١٩٧٠)، والنسائي (٣٠٦٢)، من حديث جابر رضي الله عنه.

والعلمُ أصلُ هداهم مع سعادَتهم (٢٣) فلا يضلُّ ولا يَشقى ذوو الحِكَمِ

فالعلم يكون بالعناية بأصولِه وموارِدِه، أي: بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، ومن أعرض عن الكتاب وعن السنة فسوف يشقىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

والخوفُ بالجهلِ والحزنُ الطويلُ بـه (٢٤) وعن أولي العلم مَنفيَّان فاعتصِمِ

«والخوفُ بالجهلِ» أي: بسببه، فالجاهل يلازمه الخوف؛ لأن اليقين طمأنينة، والشك ريبة وقلق، والأول لا يكون إلا بالعلم، والثاني ملازم للجهل.

«والحزنُ الطويلُ به»، فالجاهلُ حزين ومهموم؛ لأنه لا يهتدي إلىٰ شيء ينفعه في أمرِ دينِه. وانظر إلىٰ حال العامِّي حينما يأتي إلىٰ المسجدِ مع الأذانِ، فمع حرصه علىٰ التبكيرِ إلىٰ الصلاة - خاصَّة في رمضان وفي المواسم الدينية- إلا أنه بعد صلاة الركعتين تجده يلتفت يمينًا وشمالًا، وتضيق به الأرض ذرعًا متىٰ تُقام الصلاة، وقد ينشغل بما لا ينفعه، وقد يقع في محظوراتٍ، والسبب هو هذا الفراغ الروحي؛ فالنفس إن لم تَشغلها بالحقِّ - الذي لا يحصُل إلا بعلم- شغلَتك بالباطلِ وبالفضولِ، فتجد هذا الجاهلَ يُكثر من الحديثِ في أمورٍ لا تمت له بصلة، فينشغل بفلانٍ وعِلّانٍ، وهذا تقدَّم وذاك تأخَّر، وهذا يلبس ثوبًا غاليًا، وذاك يلبس رخيصًا، حتىٰ إن بعضهم يتحسَّس بيده ثوبَ

الشخص الذي يُصلي بجانبه، وكل هذا سببه الجهلُ، وقد قال النبي ﷺ: «**من حُسن إسلامِ المرء تركه ما لا يَعنيه**»(١).

ولو أنه لما تقدم إلىٰ المسجد صلَّىٰ ما كُتب له أن يصلي، ثم أخذ مصحفًا وقرأ فيه، أو قرأ شيئًا من حفظه - إن كان يحفظ -، لكان خيرًا له، وأوفر لحسناته.

«**وعن أولي العلم مَنفيَّان فاعتصمِ**»، أهل العلمِ في سعادة، ولذَّة، وراحة، ونَعيم، فيتلذَّذون بتلاوةِ القرآنِ، وبالعبادةِ التي يؤدُّونها علىٰ وجهها، وبالقراءةِ والاطلاعِ علىٰ أقوالِ أهلِ العلمِ وأخبارِهم، وهذه تعتبر سَعادة لا تعادلها سَعادة.

العلمُ واللهِ ميراثُ النبوَّة لا (٢٥) ميراثَ يُشبِهه طوبى لمقتَسمِ

«**العلمُ واللهِ ميراثُ النبوَّة لا ميراثَ يُشبِهه**»، فـ«**الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورَّثوا العلم**»(٢).

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد (٢٣١٧)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، وصحَّحه ابن حبان (٢٢٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه، مقدمة سننه، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥)، وصحَّحه ابن حبان (٨٨)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/ ١٦٠: «وحسَّنه حمزة الكناني، وضعَّفه غيره باضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوىٰ بها».

«طوبىٰ لمقتَسمِ»، أي: طوبىٰ لمن يقتَسم فيأخذ نصيبَه من هذا الميراثِ، وقد قال ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين، وإنما أنا قاسِم، والله المعطي»[(١)].

لأنه إرثُ حقٍّ دائمٍ أبدًا (٢٦) وما سواه إلى الإفناءِ والعدمِ

«لأنه إرثُ حقٍّ دائمٌ أبدًا»، فهو الذي يبقىٰ ويثبت، أما إرث متاعِ الدنيا، فإنه لا يلبَث أن يزولَ، وكم من شخصٍ ورث الملايين ثم بعد ذلك انتهت؟!

أما مَن ورث العلم فقد ورث كنزًا لا يصل إليه لصٌّ، ولا يدركه صائلٌ، اللهم إلا إذا فرَّط فيه صاحبه، فإذا فرَّط ذهب، وأعظمُ ذَهابٍ له مخالفتُه وعدمُ استغلالِه واستعمالِه فيما يرضي الله ﷻ.

«وما سواه إلىٰ الإفناءِ والعدمِ»، فإرث الأموال وإن عظُم، وإرث الحطام وإن كثُر، مآله إلىٰ الفناء والعدم، ولا يصحب المرءَ بعد وفاته إلا عملُهُ[(٢)]، ومن أعظم العمل المقرب إلىٰ الله ﷻ طلب العلمِ مع النيَّة الصالحة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) إشارة إلىٰ ما أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (٦٥١٤)، ومسلم، مقدمة كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٠)، والترمذي وقال: «حسن صحيح» (٢٣٧٩)، والنسائي (١٩٣٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقىٰ معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقىٰ عمله».

ومنــه إرثُ ســليمان النبــوَّةَ والــ (٢٧) ــفضلَ المبــينَ فــما أَوْلاه بــالنِّعمِ

«ومنه إرثُ سليمان النبوَّةَ والفضلَ المبينَ»، قال تعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، أي: ورث النبوَّة والفضل من أبيه.

«فما أَوْلاه بالنِّعمِ»، أي: فما أحقَّه - أي: العلم - وأجدرَه أن يسمىٰ نعمة.

كــذا دعــا زكريَّــا ربَّــه بــولي (٢٨) الآلِ خــوفَ المــوالي مِــن ورائهــمِ

«كذا دعا زكريَّا ربَّه بولي» كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] «الآل»، يعني: من نسلِه ومن أقاربه.

«خوفَ الموالي مِن ورائهم»، يعني: خوف أن يرثه البعيدُ، فأحق الناسِ بإرث الشخصِ نسله[1]؛ فعلىٰ الإنسان أن يُعنىٰ بأولادِه وأسرته أشدَّ من عنايته بغيرهم، فهم أحقُّ الناس ببرِّه وخيرِه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فيهتم بهم، ويُوليهم نصحَه، وتوجيهَه وعنايتَه.

وقد يُلاحظ علىٰ بعضِ أهلِ العلمِ الذين يبذلون الخير للناس أن أولادَه وذريته لم يَستفيدوا منه شيئًا، وقد يكون هذا عن تَفريط منه، وقد يكون عن

(١) ذهب جمع إلىٰ أن النبي ﷺ مختص بأنه لا يورث، واستدلوا بقصة نبي الله زكريا عليه السلام هذه، وأنه لو كان المراد وراثة النبوة لم يخف عليها الموالي، وبقصة داود عليه السلام، والصحيح أن النص الوارد عام، وأن زكريا أعظم منزلةً وأجل قدرًا من أن يشفق علىٰ ماله إلىٰ ما هذا حده، وأن المراد وراثة النبوة. ينظر: تفسير القرطبي ١١/ ٧٨، ابن كثير ٥/ ٢١٢.

عدمِ تفريطٍ؛ كأن يكون قد جهد وجاهد، ولكن الله ﷻ لم يكتب له هذا الأمرَ، وإنما يلام المفرط، وإلا فهذا نوح عليه السلام - علىٰ طول ما بقي في قومه - لم يستطع هداية امرأته وولدِه؛ اللذَيْنِ هما أقرب الناس إليه، ولا يعني هذا تقصيرًا في دعوته؛ لأن النتائج بيد مصرف القلوب، وإنما علىٰ العالم والداعية بذل السبب، والحرص علىٰ عدم التفريط، فلا يجوز أن يُتهمَ أهلُ العلم بأنهم قصَّروا في نصحِ أولادهم وذراريهم، وأنهم غفلوا عنهم بالانشغالِ بغيرهم، فالداعية ما عليه إلا البلاغ، فليس بيده هداية الناس؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، فالنبي ﷺ الذي ورد في جنابِه الشريف: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، ليس عليه إلا هداية الدلالةِ والإرشادِ والبلاغِ، أما هداية التوفيقِ والقبولِ فهذه بيد الله ﷻ.

العلمُ ميزانُ شرعِ اللهِ حيثُ بهِ (٢٩) قِوامُهُ وبدونِ العلمِ لم يقُمِ

فبالعلم تُوزن الأعمال: تُوزن الصلاة من حيث الصحة وعدمها، ويُوزن الصيام والحج وسائر العبادات. وهذا عروة بن مُضرِّس[1] الذي جاء من جبال

(١) هو: عُروَة بن مُضرِّس بن أوس بن حارثة بن لام الطائي، كان من بيت الرياسة في قومه، وجدُّه كان سيدهم، وكذا أبوه، له صحبة، وقد شهد مع النبي ﷺ حجَّة الوداع، لم يرو عنه غير الشعبي، وقيل: روىٰ عنه أيضًا ابن عباس، وحميد بن منهب. كان مع خالد بن الوليد حين بعثه أبو بكر علىٰ الردة. ينظر: الإصابة (٥٥٥٢)، التهذيب (٣٥٨).

طيئ ولم يترك حَبْلًا[١] إلا وقف عنده، لم يعرف صحَّة حجِّه حتىٰ عرضه علىٰ النبي ﷺ[٢]؛ حيث كان كالميزان للعمل.

وكلما ذُكر السلطانُ في حججٍ (٣٠) فالعلمُ لا سلطةُ الأيدي لمُحْتكمِ

«**وكلما ذُكر السلطانُ في حججٍ فالعلمُ**»، أي: فالمراد به العلم، «**لا سلطةُ الأيدي لمُحْتكمِ**» ولا السلاح ولا غيره، بل العلم الصحيح المبنيُّ علىٰ الكتاب والسنة هو الذي يحقِّق العدل، بينما سلطان اليد وسلطان السلاح قد يتولَّاه الصالح فيكون بالعدل، وقد يتولَّاه الظالم الغاشم فيكون بالظلم.

فسلطةُ اليدِ بالأبدانِ قاصرةٌ (٣١) تكون بالعدلِ أو بالظلمِ والغَشمِ[٣]

فالقوة قد تُستعمل في العدل، وقد تُستعمل في الظلم، لكن سلطان العلم، والمجادلة بالعلم، والمحاقَقة بالدليل لا ينشأ عنها إلا العدلُ؛ وفي كثير من

(١) **الحبل**: المستطيل من الرَّمل، وقيل: الضخم منه، وجمعه حِبال، وقيل: الحبال في الرَّمل كالجبال في غير الرَّمل. النهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير ١/ ٣٣٣.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب، باب (١٩٥٠)، والنسائي، كتاب مناسك الحج، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة (٣٠٣٩)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب من أتىٰ عرفة قبل الفجر ليلة جَمْع (٣٠١٦)، من حديث عروة بن مضرس الطائي، قال: «أتيت رسول الله ﷺ بالموقف - يعني: بجمع - قلت: جئت يا رسول الله، من جبل طيئ، أكللت مطيتي وأتعبت نفسي، والله ما تركت من حَبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أدرك معنا هذه الصَّلاة، وأتىٰ عرفات، قبل ذلك ليلًا أو نهارًا، فقد تمَّ حجُّه، وقضىٰ تفثه**».

(٣) الغشم: الظلم. تاج العروس (باب الميم، فصل الغين ثم الشين).

الأحوال لا يُجدي في توجيه الناسِ ونُصحهم وإرشادهم إلا سلطان العلمِ.

والمجادلةُ إنما تكون لمن كان عنده علم، أما العامِّي فإنه لا يُجادَل، وإنما يبيَّن له الحق، ويُؤطَر[1] عليه؛ ولذلك لَمَّا وجه النبيُّ ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن، قال له: «**إنك تقدَم علىٰ قومٍ أهلِ كتابٍ**»[2]، يعني: اهتمَّ بهم وجادلهم وناظرهم وحاورهم. أما بالنسبة للعامَّة، فلا يُقال لهم مثل هذا، إنما يُبيّن لهم الحق فإن انصاعوا له، وإلا فيُؤطرون عليه، ممن كان قادرًا علىٰ ذلك.

وسلطةُ العلمِ تنقاد القلوبُ لها (٣٢) إلى الهدى وإلى مَرضاة ربِّهمِ

يعني: إذا بُين الحكم بدليله، فالقلب السويُّ المستمرُّ علىٰ فطرته ينقاد لهذا السلطان.

ويذهب الدِّين والدُّنيا إذا ذهب الـ (٣٣) ـعلمُ الذي فيه مَنجاة لمعتَصمِ

المرادُ بالعلم: علمُ الكتابِ والسنةِ المورثُ للخشيةِ، وهذا بذَهابه وأهله يذهب الدين؛ كما قال النبي ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من**

(١) أطرته علىٰ الحق، أي: عطَفته عليه، وأطَرت الشيء فانْأطَر وتأطَّر، أي: انثنىٰ. ينظر: النهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير ١/ ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١٤٥٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩)، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٦٢٥)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٢٤٣٥)، وابن ماجه (١٧٨٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

العبادِ، ولكن يقبض العلم بقبضِ العلماءِ، حتىٰ إذا لم يُبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»[(١)]، وهذا واضح.

أما الدنيا، فالمراد بها هنا التي تنفع صاحبَها، أما جمع الحطام وكنز الأموال علىٰ غير هدىٰ، ومن غير وجوهِها الشرعية، ودون أن تُصرف في مصارفها الشرعية؛ فهذه وبال وشقاء علىٰ صاحبها، يُعذَّب بها صاحبها في الدنيا قبل الآخرة، وأما العلم الشرعي فينفع حتىٰ في أمورِ الدنيا؛ فهو ينفع المزارع في زراعته، والصانع في صناعته، والتاجر في بيعه وشرائه وتسويقه لبضائعه، أي: ينفع في كل مجالٍ، وبدونه يحصل التخبط الذي يُوقع في معاملات تضرُّ صاحبها.

العلمُ يا صاح يستَغفرْ لصاحبِه (٣٤) أهلُ السَّماوات والأرضين من لَمَمِ

«**العلمُ يا صاح**»، الأصل: «يا صاحبي» أو «يا صاحب»، فحذف آخرُه للترخيم؛ لأن المنادىٰ المضاف لياء المتكلم قد تُذكر فيه الياء، وقد تحذف منه فيصير علىٰ «صاحب»، فإذا رُخِّمَ حُذِفَتْ منه الباء فيصير علىٰ «صاح»، ويسمىٰ هذا عندهم ترخيمًا، قال ابن مالك في ألفيته:

ترخيمًا احذِف آخرَ المُنادىٰ كـ(يا سُعا) فيمن دعَا سُعادا[(٢)]

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١٠٠)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٥٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) ألفية ابن مالك (ص: ٥٢).

«يستَغفرْ لصاحبِه أهلُ السَّماوات والأرضين من لَـمَمِ»، يعني: من ذنوب صاحب العلم، فيستغفرون للعالم العامل الباذل المعلِّم الذي تعدَّىٰ نفعه.

كـذاك تسـتَغفر الحيتـانُ في لُجـجٍ (٣٥) مـن البحـارِ لـه في الضـوءِ والظلَـمِ

فهم يستغفرون للعالم، ويصلُّون علىٰ معلِّم الناسِ الخيرَ[(١)]، وهذه نعمة ومِنة من الله ﷻ، كونَ هذه الخلائق بأسرِها تستغفر للعالم، وتدعو الله ﷻ أن يغفرَ له لَمَمَهُ وزَلَّاتِه، فهذا فضل عظيم، لا يصله عمل الإنسان بمفرده، فيجب أن يتذكَّر الإنسان أن عمله سيُخلد إلىٰ قيام الساعة، وأجوره ستمضي، وكم من عالم مات منذ مئات السنين وأجوره مستمرةً تتضاعف إلىٰ قيام الساعة؛ بما استفاد الناس من مؤلَّفاته، ومن علمِه، وتعليمه، وتوجيهه، ومن الاقتداء والاستنان به؟! وهذا لأن حياتَه كلَّها كانت للعلم والتعليم والدعوة، وهذه أجور لا تخطر علىٰ البال.

فإذا علَّمت شخصًا، ثم عَمل هذا الشخص بهذا العلمِ كان لك مثل أجره، ثم إذا علَّم هو آخر فلك مثل أجر الاثنين، ثم علَّم ثالثًا فلك مثل أجر الثلاثة، وهؤلاء الثلاثة إذا علَّموا ثلاثين فلك مثل أجورهم، والثلاثون إذا علَّموا

(١) إشارة إلىٰ ما أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة (٢٦٨٥)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: **إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتىٰ النَّملة في جحرِها وحتىٰ الحوت ليصلُّون علىٰ معلِّم الناس الخير**». وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

ثلاثمائة... إلىٰ آخره، فهذا هو الأجر الهرمي الصَّحيح، هذا هو الكنز الذي لا يجوز أن يُفرَّط فيه، بل يُحرص عليه أشدَّ الحرص، وفضل الله واسع.

وخارجٌ في طِلاب العلمِ محتسبًا (٣٦) مجاهدٌ في سبيلِ اللهِ أيُّ كَمِي

«**وخارجٌ في طِلاب العلمِ محتسبًا مجاهدٌ في سبيلِ الله**»، جاء في الترمذيِّ وغيره: «**مَن خرَج في طلبِ العلمِ فهو في سَبيل الله حتىٰ يرجعَ**»(١). وقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من سلَك طريقًا يلتمِس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة**»(٢)، فهذا الأجر العظيم قد رُتب فقط علىٰ مجرَّد سلوكِ الطريق، وليس علىٰ أن يصل إلىٰ مرتبةٍ معينةٍ من العلمِ والاجتهادِ، بل بمجرَّد أن يسلكَ الطريق يسهِّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة.

فعلىٰ طالب العلم ألا يكتفي بأن يجلسَ في بيته ويسمع من جهازٍ أو آلةٍ، فالوضع يختلف اختلافًا كبيرًا بين الطالبِ الذي يأخُذ من الشيوخ مشافهةً ومباشرةً، ويجثو بين أيديهم، ويتكلَّف عناء الطريق، وعناء الظروف من حرٍّ وبردٍ، والطالب الجالس في بيته لم يسلك هذا الطريق، ومع ذلك فإذا لم يتيسر له سلوكَ الطريق والحضور بين يدي الشيوخ، فله أجر عظيم -إن شاء الله تعالىٰ- علىٰ صرفه وقتَه وجهدَه، ويُؤجر علىٰ ذلك، ويعد ما يصنع سلوكًا لطريق العلم.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم (٢٦٤٧)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه».

(٢) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر (٢٦٩٩)، وأبو داود (٣٦٤٣)، والترمذي وحسَّنه (٢٦٤٦)، وابن ماجه (٢٢٥).

وقد يطلب الإنسانُ العلم ويسلُك طريقَه عشرات السنين، ويلازم أهلَ العلم علىٰ الجادَّة، ويتدرَّج في العلمِ، ومع ذلك يتم السَّبعين والثمانين وما حصَّل كبيرَ شيءٍ، فلم يكتب الله له من العلم شيئًا يُذكر، وقد أدرَكنا من هذا النَّوع نماذج، فليس للمرء إلا ما كُتب له، وقد قال ﷺ: «**إنما أنا قاسِم والله المعطي**»[(١)]، ومع ذلك فقد ربح ربحًا كبيرًا، ويدخل في: «**من سلَك طريقًا يلتمِس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة**». ومثل هذا الحديث يكفي في أن يشدَّ من أزر طالبِ العلمِ؛ لمواصلةِ الطلبِ، ولو لم يدرك علمًا.

«**أي كَمِي**»، الكمو: الستر، وقيل للشجاع: كميّ؛ لأنه استتر بالدرع[(٢)]، وهذا مجاهد في سبيل الله استتر بفضلِ الله ورضوانِه عليه، ومغفرتِه وسترِه لذنوبِه وعيوبِه.

وإنَّ أجنِحـةَ الأمـلاكِ تبسُـطها (٣٧) لطالبيـه رضًـا مـنهم بصُـنعهمِ

«**وإنَّ أجنِحةَ الأملاكِ تبسُطها لطالبيه**»، أي: لطالبي العلم «**رضًا منهم بصُنعهمِ**» كما ورد في الحديثِ: «**وإنَّ الملائكة لتضع أجنحَتَها لطالبِ العلمِ رضًا بما يصنع**»[(٣)]، وذكر غير واحد من أهل العلم أن رجلًا قال: سوف أحضر مجالس العلم وأطأ أجنحةَ الملائكةِ، فوضع في نَعليه مسامير، فجفَّت رجلاه،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير ٤/ ٢٠١.

(٣) شطر من حديث تقدم تخريجه.

ومات من ساعته[١]. وقد ذكر أهل العلم أمثلةً من العقوباتِ المعجَّلة على هذا النوعِ من الاستهتار بالسننِ، منها: ما يذكره ابن كثير[٢]، وابن العماد[٣] في الشذرات[٤] أن شخصًا استاك في دبُره مستهزئًا بفضيلة السواك، فابتُلي بألم في بطنه، وما زال بطنه ينتَفخ حتى تمَّ تسعة أشهر، فوضع من بطنه قطعة لحم على صفةِ الجرذان، صاحَت ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرَضخت[٥] رأسه فمات. وهذا كله من شؤم الاستهزاء بالسنة.

(١) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢١٥٤)، وأبو عبد الله الرازي في المشيخة (٩) بإسنادهما إلى أحمد بن شعيب... وأخرج أبو طاهر السلفي في الطيوريات (١٩٨)، والنووي في بستان العارفين (ص: ٥٠) بإسنادهما إلى أبي داود السجستاني، قال - أحمد بن شعيب-: «كنا عند بعض المحدِّثين بالبصرة، فحدثنا بحديث النبي ﷺ: **إن الملائكة تضع أجنحَتها لطالبِ العلمِ**. وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديثِ، فقال: والله لأقطرن غدًا نعليَّ، فأطأ بهما أجنحة الملائكة. قال: ففعل ومشى في النَّعلين، فجفَّت رجلاه جميعًا، ووقعت في رجليه جميعًا الأكلة». وأخرج النووي في بستان العارفين (ص: ٤٩، ٥٠) بإسناده إلى زكريا الساجي، قال: «كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعت المشي، وكان معي رجل منهم ماجن في دينه، فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ. فما زال في موضعه حتى جفت رجلاه وسقط». وينظر: المجالس الوعظية للسفيري ٢/ ٨٢.

(٢) ينظر: البداية والنهاية؛ لابن كثير ١٧/ ٤٧٠.

(٣) هو: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، مؤرِّخ، فقيه، عالم بالأدب. توفي سنة ١٠٨٩هـ. له تصانيف، منها: «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، «شرح متن المنتهى»، «شرح بديعية ابن حجة». ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر؛ للحموي ٢/ ٣٤٠، والأعلام؛ للزركلي ٣/ ٢٩٠.

(٤) ينظر: شذرات الذهب؛ لابن العماد ٧/ ٥٥١.

(٥) الرَّضخ: الدق والكسر. النهاية؛ لابن الأثير ٢/ ٢٢٩.

والسَّالكون طريقَ العلمِ يسلكهم (٣٨) إلى الجنان طريقًا بارئُ النَّسمِ

كما تقدَّم من حديث النبيِّ ﷺ: «من سلَك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة».

والسَّامع العلمَ والواعي ليَحفظه (٣٩) مؤديًا ناشرًا إيَّاه في الأممِ

«والسَّامع العلمَ» يجوز أن يُعرَب «العلمُ» مضافا إليه، «والسامعُ» مضافا؛ رغم كونه معرفة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: ٣٥] وهم يغتفرون اقتران المضاف بـ(أل) إذا كانت الإضافة لفظيةً، أي: ليست محضةً ولا معنويةً؛ كما قال ابن مالك في الألفية:

ووَصل (أل) بذا المضاف مغتَفر إن وُصلت بالثاني كـ(الجعد الشعر)
أو بالذي له أضيف الثاني كـ(زيد الضارب رأس الجاني)[1]

فـ«الجعد» مضاف، و«الشَّعر» مضاف إليه. وقوله: «ووصل (أل) بذا المضاف»، يعني: المضاف إضافة لفظية ليست محضةً ولا معنويةً، أما إذا كانت الإضافة محضةً أو معنويةً، فلا يجوز بحال أن يقترنَ المضاف بـ(أل)، يعني: مثل أن تقول: «محمد العبد الله»، فهذا ليس له أدنىٰ وجه في العربيةِ.

(١) ألفية ابن مالك (ص: ٣٦).

«والواعي ليحفظه مؤديًا» جاء في الحديث المرفوع: «نضَّر الله امرأ سمِع مقالَتي، فوعاها وحَفِظها وبلَّغها»[(١)].

«ناشرًا إيَّاه في الأممِ»، يعني: قد تعلَّم وحفظ، ثم بعد ذلك نشَر، وكثير من أهل العلمِ يرىٰ أن العالم الربانيَّ هو الذي تعلَّم، ثم عمل بعلمه، ثم علَّم غيره، فإذا اجتمعت فيه الخصال الثلاث استحق أن يُسمىٰ ربانيًّا، وإن كان المحفوظ عن ابن عباس؛ أنه من يربي الناس بصغار العلم قبل كباره[(٢)].

فيا نضارَته إذ كان متَّصفًا (٤٠) بذا بدعوةِ خيرِ الخلقِ كلِّهمِ

«فيا نضارته» كما تقدم في قول النبي ﷺ: «نضَّر الله امرأ»، أي: دعاء له بالنَّضارة والحسن والبهاء، «إذ كان متَّصفًا بذا بدعوةِ خيرِ الخلقِ كلِّهمِ».

كفَاك في فَضلِ أهلِ العلمِ أن رُفعوا (٤١) من أجلِه درجاتٍ فوق غيرهم

وهذا في قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فيكفيك في فضل العلم وأهله هذه الآية، وقد تقدم أن هذه

(١) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع (٢٦٥٨)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه، مقدمة السنن، باب من بلغ علمًا (٢٣٢)، وأحمد (٤١٥٧)، وصحَّحه ابن حبان (٦٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وجاء عن زيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء، وأنس رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح معلقًا بصيغة الجزم ١/ ٢٤.

الدرجات ليس المراد بها درجات السُّلم المعهود التي لا تزيد على الشبر أو ما يقاربه، بل هي من درجات الآخرة التي ما بين الدرجة والأخرىٰ مثل ما بين السماء والأرض.

وكان فضلُ أبينا في القديمِ على الـ (٤٢) أمـلاكِ بـالعلمِ مـن تعلـيمِ ربِّهـمِ

«**وكان فضلُ أبينا**» آدم عليه السلام «**في القديمِ علىٰ الأملاكِ**» أنه قد فُضل علىٰ الملائكة «**بالعلمِ من تعليمِ ربِّهم**»، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١] وكان جواب الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

كـذاك يوسـف لم تظهَـر فضـيلتُه (٤٣) للعـالمين بغـيرِ العلـمِ والحكَـمِ

«**كذاك يوسف لم تظهَر فضيلتُه للعالمين**» لقد ظهرت فضيلة يوسف عليه السلام للعالمين لَمَّا رأىٰ الملك الرؤيا، ولم يجد من يؤولها إلا يوسف عليه السلام، فظهرت فضيلته بتأويل الرؤيا، وهي ضرب من العلم، لا سيما وأنه مؤيَّد بالوحي، فتأويل الرؤيا من مزاياه ومن فضائله، ولم يظهر فضله «**بغيرِ العلمِ والحكَمِ**».

وما اتِّباع كليمِ اللهِ للخَضِرِ الـ (٤٤) ـمعروفِ إلا لعلمٍ عنه مُنْبهمِ

«وما اتِّباع كليمِ الله للخَضِرِ المعروفِ إلا لعلمٍ» فقد ثبت أن موسىٰ عليه السلام قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا أعلم. فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فأوحىٰ الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمعِ البحرينِ هو أعلم منك. قال: يا رب، وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتًا فإذا فقَدته، فهو ثَمَّ[(١)]. فذهب موسىٰ وصحِب الخضر صحبةَ المتعلِّم للمعلِّم، وفعل الخضر أفعالًا خفيت أسرارُها وحكمُها علىٰ موسىٰ الكليمِ، وهو من أولي العزم، و أفضل من الخضر، ومع ذلك أُمر بالذَّهاب إليه؛ لِمَا عنده من العلم، فلا يستنكف طالب العلم أن يسمع ممن هو دونه، أو من زميله ومثيله، «فلا ينبُل طالب العلم حتىٰ يأخذَ العلم عمن دونه، وعمن فوقه، وعمن هو مثله»[(٢)].

«عنه مُنْبهمِ» يعني: أنه لما خرق الخضر السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار؛ كانت هذه أمور قد انبهمت علىٰ موسىٰ، وهي بالنسبة للخضر بإلهام من الله ﷻ؛ كما في قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢].

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم، فيكل العلم إلىٰ الله (١٢٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠)، والترمذي (٣١٤٩)، وقال: «حسن صحيح»، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) روي نحوه عن وكيع، ذكره ابن الصلاح في المقدمة ص:٢٤٩.

مع فضلِه برسالاتِ الإله له (٤٥) وموعدٍ وسماعٍ منه للكَلِمِ

«مع فضلِه برسالاتِ الإله له»، فموسىٰ رسولٌ، بل ومن أولي العزم من الرسل، أما الخضر فليس برسول، والخلاف في نبوَّته معروف عند أهلِ العلمِ[(١)].

«وموعدٍ» كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

«وسماعٍ منه للكَلِمِ» فمن أعظم فضائل موسىٰ عليه السلام أن الله ﷻ كلَّمه بدون واسطة، فقد سمع من الله ﷻ كلامَه بصوت وحرف يُسمع.

وقدَّم المصطفى بالعلمِ حامِلَه (٤٦) أعظم بذلك تقديمًا لذي قدمِ

«وقدَّم المصطفىٰ بالعلمِ حامِلَه» فحامل العلم مقدَّم علىٰ غيره في كلِّ مجال، في الإمامةِ الصغرىٰ؛ كما قال ﷺ: «**يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءةِ سواء، فأعلمهم بالسنة...**»[(٢)]، وكذلك في الإمامة الكبرىٰ، وغير ذلك من المواقف، وحتىٰ في اللحد؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان

(١) ينظر: كتاب الحافظ: «الزهر النضر في حال الخضر».

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (٦٧٣)، وأبو داود (٥٨٢)، والترمذي وحسَّنه (٢٣٥)، والنسائي (٧٨٠)، وابن ماجه (٩٨٠)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه. وقد جاء عن أبي سعيد، وأنس بن مالك، ومالك بن الحويرث، وعمرو بن سلمة رضي الله عنهم.

النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلىٰ أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذًا للقرآن**»، فإذا أشير له إلىٰ أحدهما قدمه في اللحد[1]. ففي كلِّ أمورِ الحياةِ التقديم إنما يكون بالعلمِ.

«**أعظم بذلك تقديمًا لذي قدمٍ**» يعني: ما أعظمه من تقديم وشرف لصاحبِ قَدَمِ صدقٍ ورسوخٍ في هذا البابِ.

كفاهمو أن غدَوا للوحي أوعيةً (٤٧) وأضحَت الآي منه في صدورهمِ

«**كفاهمو أن غدَوا للوحي أوعيةً**»، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] «**وأضحَت الآي منه**» أي: آيات القرآن «**في صدورهمِ**» يعني: يحفظونها.

وأن غدَوا وُكلاء في القيامِ به (٤٨) قولًا وفعلًا وتعليمًا لغيرهمِ

«**وأن غدَوا وُكلاء**»، أي: وكلاء ينوبون عن صاحبِ الرسالة، فهم ورَّاثه «**في القيامِ به قولًا وفعلًا وتعليمًا لغيرهمِ**» يقومون بعلم الكتاب، وما ورثوه عن النبي ﷺ بأقوالهم، وبأفعالهم، ويعلِّمون غيرهم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة علىٰ الشهيد (١٣٤٣).

وخصَّـهم ربُّنـا قصـرًا بخشـيَته (٤٩) وعَقـل أمثالِـه في أصـدقِ الكلـمِ

«**وخصَّهم ربُّنا قصرًا بخشيَته**» فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] و«إنما» أداة قصر وحصر، فالذي لا يعلم عظمة الله وما جاء عنه ﷻ، فلن يصل إلىٰ هذه الغايةِ، فالمعنىٰ جاء علىٰ طريقةِ الطردِ والعكسِ، يعني: الذي لا يعلَم لا يخشىٰ الله ﷻ، والذي لا يخشىٰ الله ﷻ، فليس من أهلِ العلمِ؛ لأن الله ﷻ قصَر الصفةَ علىٰ الموصوفِ، والموصوفَ علىٰ الصفةِ، فمورد الخشية هو العلم.

«**وعَقل أمثالِه في أصدقِ الكلمِ**» وخصهم أيضًا بعقل أمثاله، فالأمثال لا يعقلها إلا العالمون؛ وكان بعض أهلِ العلمِ إذا استغلق عليه فهم مَثَل من الأمثالِ اتهم نفسه بقلَّة العلم[1]؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فدلَّ علىٰ أن الذي لا يعقل هذه الأمثال التي ضربها الله ﷻ في كتابه وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، فليس بعالم؛ ولذا فهذه الأمثال ينبغي أن تكون محلَّ عناية واهتمام من طالبِ العلمِ؛ لأنها ما ضربت عبثًا.

(١) ينظر: حلية الأولياء؛ لأبي نعيم ٥/ ٩٥.

ومــعْ شــهادَته جــاءت شــهادَتهم (٥٠) حيث استجابوا وأهلُ الجهلِ في صَمَمِ

«ومع شهادَته جاءت شهادَتهم» قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ «حيث استجابوا»، أي: استجابوا لأمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ، وامتثلوا، ولزموا، وسلكوا طريقَ العلمِ، وتعلَّموا وعمِلوا وعلَّموا.

«وأهلُ الجهلِ في صَمَمِ»؛ حيث أعرضوا وصمُّوا آذانهم عن هذا النداءِ الإلهيِّ، والحثِّ العظيمِ علىٰ طلبِ العلمِ، الذي جاء في كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ.

ويشهدون على أهلِ الجهالةِ بالـ (٥١) ـمولى إذا اجتَمعوا في يومِ حشرِهم

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، شهداء بالعلم، فالذي عنده علم هو الذي يستطيع أن يشهد؛ لأن الشهادة إنما تكون علىٰ معلومٍ لا علىٰ مجهولٍ، والجاهل لا علم عنده، فلن يشهد علىٰ مجهولٍ؛ إذن فلن يشهد إلا العالم. و«بالمولىٰ» متعلق بالفعل «اجتمعوا» الواقع بعده، أي: إذا اجتمعوا بالمولىٰ في يوم حشرهم.

والعـالمون عـلى العبّـادِ فَضـلُهمُ (٥٢) كالبدر فضلاً عـلى الـدُّرِّيِّ فـاغتنمِ

«والعالمون علىٰ العبَّادِ فَضلُهمُ كالبدر فضلًا علىٰ الدُّرِّيِّ»، يعني: أن العلماء يفضُلون علىٰ العُبَّاد كفضل البدر علىٰ الكوكب الدريِّ، فقد جاء عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**فضل العالمِ علىٰ العابدِ، كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ علىٰ سائرِ الكواكبِ**»[(١)]؛ فالنسبة بين العلماء والعبَّاد كنسبة البدر إلىٰ الكوكبِ الدريِّ. وقد روىٰ الدارميُّ عن مكحول مرسلًا قال: «**فضلُ العالمِ علىٰ العابدِ كفضلي علىٰ أدناكم**»[(٢)].

وفيه عن الحسن، قال: سئل رسول الله ﷺ عن رجلين كانا في بني إسرائيل أحدهما كان عالمًا يصلي المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل أيهما أفضل؟ قال رسول الله ﷺ: «**فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير، علىٰ العابد الذي يصوم النهار، ويقوم الليل، كفضلي علىٰ أدناكم رجلًا**»[(٣)]، أي: كفضل الرسول ﷺ علىٰ أدنىٰ الصَّحابة، وهذا فضل عظيم.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه، مقدمة السنن، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. هو جزء من حديث: «إن الملائكة لتضع...»، وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الدارمي (٢٩٧)، وأخرجه مسندًا: الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة (٢٦٨٥)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن غريب صحيح» كما في تحفة الأشراف (٤٩٠٧)؛ وفي طبعة أحمد شاكر: «حديث غريب». وقد جاء عن أنس، وأبي سعيد الخدري، وغيرهما رضي الله عنهم.

(٣) أخرجه الدارمي (٣٥٢). وله شواهد كثيرة، ينظر: صحيح الترغيب للألباني ١/ ٤٤.

وإذا كان هذا فضل العالم على العابد - الذي أمضى وقته وقضى أنفاسه في العبادة التي من أجلها خُلق - فماذا عن فضلِ العلماءِ على سائرِ الناسِ غير العبَّاد؛ فضلًا عمن دونهم من أهل التفريط؟! ولهذا قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاغتنمِ»، أي: اغتنم فرصة العمر؛ ليحصل لك هذا الفضل، وهذا على القاعدة المقرَّرة عند أهلِ العلمِ: «أن النفع إذا كان متعديًا، كان فضله وأجره أعظم من النفعِ القاصرِ»، فالعلم فضله يتعدَّى إلى الغير، وهذه أجور عظيمة، لا يقدر قدرها إلا الله ﷻ.

فعلى الإنسان أن يغتنم كلَّ لحظة من عمره في اكتسابِ العلومِ التي تزيده معرفة بالله ﷻ، وعملًا بدينه، وتعليمًا لخلقه.

وعالم من أولي التَّقوى أشدُّ على الـ (٥٣) ـشَّيطان من ألفِ عبَّاد بجمعهمِ

«وعالم من أولي التَّقوى أشدُّ على الشَّيطان من ألفِ عَبَّاد»، و«عباد» صيغة مبالغة على وزن فَعَّال «بجمعهمِ»، يعني: أن عالما واحدا تقيا أشد من ألف عابد، فجاء بها بصيغةِ المبالغةِ، وقد روى الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألفِ عابدٍ**»[1] وسنده وإن كان ضعيفًا؛ إلا أنّ معناه صحيح؛ لأن وظيفة الشيطان إغواءُ

(١) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨١)، وابن ماجه، مقدمة السنن، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٢)، وضعَّفه ابن حبان في المجروحين ١/ ٣٠٠، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٩٢).

الناس، ووظيفة العالم هداية الناس، وهي ضد وظيفة الشيطان، ثم إن العابد إذا اهتدىٰ بنفسه كان فردًا واحدًا، أما العالم فإنه إذا بذل واستحقَّ أن يكون عالمًا ربانيًّا، هاديًا مهديًّا فإن نفعه يتعدىٰ إلىٰ الناس، وهذا يناقض وظيفة الشيطان، فكان أمره أشد علىٰ الشيطان من العابدِ الذي يقتصر علىٰ نفسه دون أن ينفع غيره.

وموتُ قومٍ كثيري العددِ أيسرُ من (٥٤) حَبرٍ يموت مُصابٌ واسعُ الألمِ

«**وموتُ قومٍ كثيري العددِّ أيسرُ من حَبرٍ**» أي: وموت أناس كثيرين أيسر من موت عالم، والحَبر: واحد الأحبارِ، وأهل اللغة يقولونه بالكسر، وأهل الحديث يقولونه بالفتح[1]. «**يموت مُصابٌ واسعُ الألمِ**»، فموت العالم ثُلمة لا تُسد، ولا شك أن مُصاب الناس بالعالم - الذي يهديهم ويدلهم إلىٰ الصراط المستقيم - عظيم جدًّا، وخسارة فادحة لا تعوَّض، وقد أدركنا شيئًا من ذلك، فقد خسرت الأمة بفقد علمائها ما لا يُمكن تعويضه.

كما منافِعُه في العالم اتَّسعت (٥٥) وللشَّياطين أفراحٌ بمَوتهمِ

«**كما منافِعُه في العالم اتَّسعت**»، وإذا كان اتِّساع منفعة العالم في أزمانٍ مضت اتساعًا محدودًا، في بلده، وبواسطة من ينقُل عنه العلمَ من طلَّابه

(١) وقد بسط الخلاف في ذلك الزبيدي في تاج العروس (باب الراء، فصل الحاء ثم الباء).

فيبلغون أقوامهم، أو بواسطة كتبه التي ألَّفها وسارت في الآفاق فانتشرت وعم نفعُها، فإن اتساع منفعة العالم الآن لا حدود لها، فقد اتسعت وانتشرت بما لا يجعل لأحد أدنىٰ حجة، فيستطيع المرء وهو في بيته أن يبلغ الآفاق بواسطة الوسائل الحديثة التي وصلت إلىٰ أقاصي الدنيا، وبواسطة البث بهذه الآلات، فالأسئلة الآن ترد علىٰ الواحد من الشرق ومن الغرب في وقتٍ واحدٍ.

«وللشَّياطين أفراحٌ بمَوتهمِ»؛ تفرح الشياطين بموت الأئمة العلماء الربانيين، أمثال الشيخ ابن باز، والألباني، وابن عثيمين ﷺ، وهؤلاء وصلت علومهم إلىٰ جميعِ أصقاعِ الأرضِ، إلىٰ حد أن تخرَّج بعض الطلاب علىٰ أشرطتهم، وجاءوا يسألون هل نحن من الطلاب أو لا؟ فاختبروهم فوجدوهم كما أمَّلوا، بل وبعضهم وُجد أضبط من بعضِ من يحضر الدروس، وهذا خير عظيم، ومنة من الله، وآية من آياته ﷻ؛ أن يصل العلم إلىٰ طلابه من غير سفر، ومن غير عناء، فقد كان السلف يرحلون آلاف الأميال من أجل أن يلتقوا بفلان من العلماء، ويأخذوا عنه علمه، ثم يعودون إلىٰ بلدانهم بعد سنين، أما الآن فبالإمكان أن يرحل الطالب في يوم ويرجع، وأيضًا بإمكانه أن يصل إليه علم فلان من أقصىٰ الدنيا بضغطة زر، فما بقي الآن لأحد حجة، فقد اتسع النفع والانتفاع، والحمد لله.

تاللهِ لو عَلموا شيئًا لما فرِحوا (٥٦) لأنَّ ذلك من أعلامِ حتفِهِم

يعني: الشياطين؛ لأن قبض العلماء علامةٌ على قرب الساعة، وقرب الساعة ليس من مصلحة الشياطين؛ لأنهم يئولون إلىٰ دار الجزاء التي ليس لهم فيها إلا النار وبئس المصير.

هم الرُّجوم بحقٍّ كلِّ مُسترقٍ (٥٧) سمعًا كشُهب السَّما أعظِم بشُهبهِم

فالعلماء هم الذين يرجمون ويحرقون شياطين الإنس والجن بالسحق والقضاء علىٰ شُبههم وتلبيسهم.

شبَّهَ المبتدعين والمخرفين بالشياطين تسترق السمع فتزيد عليه وتلبس علىٰ الناس دينهم، وهؤلاء يأخذون من السمع ما يوافق أهواءهم ويخلطون معه بدعًا وسمًا زعافًا، وشبه أهل العلم - في كونهم يحرقون شبههم - بشهب الحجة والبرهان.

لأنها لكلا الجِنسين صائبةٌ (٥٨) شيطان إنسٍ وجنٍّ دون بَعضهِم

وهذه الشهب هي سهام الحق التي تصدر من أهل العلم المحققين، فتصيب مقاتل أهل الشبه. وقوله: «**دون بعضهم**» عائد إلىٰ الجن، أي: حال كون بعضهم فوق بعض.

هم الهُداة إلى أهدى السَّبيل وأهـ (٥٩) ـلُ الجهلِ عن هديهم ضلُّوا لجَهلهمِ

«هم» أي: العلماء «الهُداة إلىٰ أهدىٰ السَّبيل وأهلُ الجهلِ عن هديهم ضلُّوا لجَهلهمِ» وقد ذكرنا ما ذكره أبو بكر الآجري في كتابه «أخلاق العلماء» في منة أهل العلم علىٰ أهل الجهل[1]. وتصور أنك في بلدٍ ليس فيه عالم، وأشكلت عليك أدنىٰ مسألة من مسائل الدين، أو من مسائل الدنيا، فكيف ستحل هذه المسألة؟!

وفضلُهم جاء في نصِّ الكتابِ وفي الـ (٦٠) حديثِ أشهَر من نارٍ على علَمِ

فالنار لا تُرىٰ إذا كانت في بطن الوادي، أما إذا كانت علىٰ رأسِ جبلٍ، فسيراها الناظر من بعيد، فنصوص الكتاب والسنة التي جاءت في فضلِ العلمِ والعلماءِ، أشهَر من نار علىٰ علَمٍ، أي: أشهر من النار التي تُوقد فوق رأسِ جبلٍ.

(١) ينظر: أخلاق العلماء؛ للآجري (ص: ٣٠).

نبذة في

وصيـــة طـالب العلـم

«نبذة» قليلة مختَصرة يستفيد منها طالبُ العلمِ، «في وصية طالب العلم» وهي: عبارة عن مجموعةِ وصايا لطالبِ العلمِ، يحثه فيها على الازديادِ من الطلب، وينير له الطريقَ، ويرسم له بعض المعالم التي عليه أن يسلُكها.

يا طالبَ العلمِ لا تبغي به بدلًا (٦١) فقد ظَفِرت وربِّ اللَّوح والقلمِ

«يا طالبَ العلمِ لا تبغي به بدلًا»، فمِنْ طلَّاب العلم من صبر وصابر وثابر[١] واستمر السنين، وأثمر صبره خيرًا كثيرًا، ومنهم من ترك الطلب، لا سيما لما شاعت واشتهرت التجارات الدنيوية الرابحة في أسرع مدة وأقصر وقت؛ كتجارة الأسهم، فقد فقدنا بعض الطلبة، الذين استبدلوا الدنيا بالعلم، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وانساقوا وراء الأسهم، ثم بعد ذلك حصل ما حصل من الكوارثِ والخسائرِ الفادحةِ، وندموا ولات ساعة مَندم، وصعُب عليهم الرجوع، وبعضهم رجع على ظَلَعٍ[٢].

(١) ثابر على الأمر: واظب عليه وداوم. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (مادة: ثبر).

(٢) أي: ضعف، ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي ٢١/ ٤٧٠.

«فقد ظَفِرت وربِّ اللَّوح والقلمِ»؛ لأنك في طريقك إلىٰ أن تكونَ من العلماء الهداة الذين تقدَّم ذكر فضلهم في النصوصِ، وفي كلامه السابق رَحِمَهُ اللَّهُ، فما الذي كسبه من أعرَض عن العلمِ بعد أن حَفظ كتاب الله، وشيئًا من سنة نبيه ﷺ، وبعض المتون، ثم انصرف عن هذا كلِّه إلىٰ الحطام الفاني، فنسي ما حفظ؟! وما نسبة ربحه الدنيوي إلىٰ خسارته العلمية؟! لا نسبة بين الخسارة والربح في هذه الصورة ألبتة، ولو افترضنا أنه كسب الدنيا بحذافيرها، فلا يعرف حقارة الدنيا إلا العارفون بالله ﷻ، وبموعودِه، ولا يعرف ما ثبت عن نبيه ﷺ في حقارتها إلا المطَّلعون علىٰ سيرته ﷺ وكيفية عيشه، وزهده في هذه الدنيا، فهذا سعيد بن المسيَّب لما جاءه الخاطب يخطب ابنته للوليد بن عبد الملك ابن الخليفة، وقال له: جاءتك الدنيا بحذافيرها، فأبَىٰ سعيد أن يزوِّجه[1]. فلم يقل: هي فرصة تُغتنم، فتأتينا الدنيا من هذا الطريق ونتفرغ للعلم، بل عرف أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فيا تُرىٰ ما الذي سيقتطع له الخليفة من هذا الجناح، فهؤلاء هم الذين يعرفون قدر الدنيا.

وقدِّس العلمَ واعرِف قدرَ حرمَتِه (٦٢) في القولِ والفعلِ والآداب فالتَزِم

«وقدِّس العلمَ» فالعلم جاءت النصوصُ بتقديسِه وتعظيمِه، والرفع من شأنه، فارفع من شأنه وعظِّمه في نفسِك وفي غيرك.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٦٨.

«واعرِف قدرَ حرمَتِه في القولِ والفعلِ»؛ فلا يكون تقديسك للعلمِ وحثُّك علىٰ التعلمِ والتعليمِ بمجرَّد القول، وأعمالك تخالف ما تقول، وكأنك تدعو بقولك، وتصدُّ بعملك، كما هو حال كثير ممن يتصدَّىٰ لهذا الأمر فإذا قارنت بين العلم والعمل وجدت البونَ شاسعًا، ولا شك أن صرف الناسِ بالفعل أعظم من جلبهم بالقولِ؛ لأن الناظر إلىٰ الفعلِ إذا تركتَه يقول: لو كان العملُ بهذا العلم نافعًا لما تركه، ولكان هو أولىٰ الناس بالعمل؛ لمعرفته به وتمام خبرته، فما دام لا يعمل به فلا شك أن العمل به غير مجدٍ، إذن فتعلمه - أيضًا - غير مجدٍ، فمهما قال العالم: احرصوا علىٰ الأوقات واغتنموها، فلا ينفع هذا إن كان هو مضيعًا أوقاته في القيل والقال، وفيما لا يُفيد، وكذا لو قال: احرصوا علىٰ قيامِ اللَّيل وهو لا يقوم الليل، واحرصوا علىٰ الصوم وهو لا يصوم، فهذا كله لا فائدة فيه، ونظير ذلك الطبيبُ المدخِّن، فمهما نصح وحذَّر من الدخان فلا يُستفاد منه.

«والآداب فالتَزِمِ»، يعني: تأدَّبْ بأدب العلمِ، فلا يليق بعالمٍ، أو بطالبِ علمٍ أن يكون حاله كحالِ عامَّة الناس، حتىٰ إذا جلس في مجلس لم تجد فرقًا بينه وبين العوام.

واجهَد بعزمٍ قويٍّ لا انثِناء له (٦٣) لو يعلَم المرءُ قدرَ العلمِ لم ينَمِ

«واجهَد» في تحصيلِ العلمِ والعملِ به «بعزمٍ قويٍّ لا انثِناء له»، فلا يُثْنِكَ أيُّ شيء من المغريات: لا يُثْنِكَ لينُ الفراش، ولا جمالُ الزوجة، ولا طيبُ الهواء، ولا متعةُ التنزُّهات والرحلات.

«لو يعلَم المرءُ قدرَ العلمِ لم ينَمِ»، أي: لو أدرك حقيقةَ هذا العلمِ ما هنأ بنوم؛ لأنه يريد استغلالَ هذه الساعات التي ينامها في تحصيل أكبر قدرٍ ممكنٍ من العلمِ.

والنُّصح فابذُله للطُّلَّابِ محتسبًا (٦٤) في السِّرِّ والجهرِ والأستاذَ فاحترمِ

فعلىٰ العالم أن يبذلَ النصح لطلَّابه، كما جاء في الحديثِ: «**الدِّين النَّصيحة**»[(١)]، وأولىٰ الناس بنُصحك أهلُ بيتك، وأقاربُك، وجيرانُك، وطلَّابُك، ومعارفُك، فالأقربون أولىٰ بالمعروف، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

والطلاب بمنزلةِ الأولادِ، فعلىٰ العالم أن يبذلَ النصيحة لهم، فإذا جاء طالبٌ يستشير في كتابٍ يقرؤه، فعلىٰ العالم أن ينظرَ مستوىٰ هذا الطالب ويُشير

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٤١٩٧)، من حديث تميم الداري رضي الله عنه. وقد جاء عن ابن عمر، وأبي هريرة، وجرير، وحكيم بن أبي يزيد، عن أبيه، وثوبان رضي الله عنهم.

إليه بما يُناسبه، فلا ينظر إلىٰ مصلحته هو، بل ينظر إلىٰ مصلحة الطالب؛ لأن بعض الشيوخ إذا جاءه الطالب ليقرأ عليه، اختار له ما يحتاجه هو من الكتبِ، لا ما يحتاجه الطالب، وهذا ليس من النُّصح؛ فقد يكون هذا الكتاب غيرَ مناسب للطالبِ، فبذل النصيحة يقتضي أن ينظر الشيخ فيما ينفع الطالب.

كما أن علىٰ الطالب ألا يُضجر الشيخ، فإذا رأىٰ أن الوقتَ غيرُ مناسبٍ، أو أن الشيخ غير متهيئ للإكثار من الأسئلةِ تركه، وإنك لتجد بعض الطلاب - هداهم الله - بمجرد أن يسلِّم الشيخ من الصلاةِ وقبل أن يؤدِّي الأذكار، يقبل عليه ليسأله، وقد يصعُب علىٰ الشيخ أن يطلب منه الانتظار حتىٰ الانتهاءِ من الأذكارِ؛ ولذا صار بعض أهلِ العلمِ إذا سلَّم جهر بالذكرِ علىٰ غير عادته؛ كأنه يقول لمن يتهيأ لسؤاله: أن انتظر قليلًا.

وبعضهم إذا رأىٰ الشيخ جالسًا في المسجد يقرأ القرآن أتاه فأكثر عليه حتىٰ يُنهي الوقت بأسئلتِه، وإذا قال له الشيخ: أنا الآن في شغل، لم يقدِّر.

وبعضهم يتبع الشيخ إلىٰ بيته بعد أن ينصرفَ من الدرس ويُوقفه عند الباب، ولا يقدِّر أن الشيخ قد يكون علىٰ حاجةٍ، أو يكون بعد صلاة ظهرٍ أو عصرٍ والشمس مُحرقة، ويصعب علىٰ الشيخ أن يصدَّهم أو يصرفهم، ولا شك أن هذا باعثُه الحرصُ علىٰ الإفادةِ والاستفادةِ؛ إلا أن فيه إحراجًا للشيخِ.

والمقصود أن المطالَبة للطرفين، فلا يُطالب طرف علىٰ حساب طرف آخر، فكما أن الشيخ مطالَب بالبذلِ والنصح والصبرِ علىٰ الطلاب، فكذلك الطالب

أيضًا مطالَب بأن يرفُق بشيخه، ولا يُضجره؛ لأن الشيخ بشر له احتياجات كاحتياجاتِ غيره،

وفي آداب العالم والمتعلم ما يكفي ويشفي، لكن كثيرًا من طلَّاب العلمِ في غفلة عن مراجعةِ هذه الأمورِ. ولقد كان الصحابة علىٰ أدبٍ رفيعٍ قويٍّ مع النبيِّ ﷺ، فرغم أن الله ﷻ قد أمر بالسؤال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل:٤٣]؛ إلا أنهم رضي الله عنهم قد نُهوا عن الإكثارِ من الأسئلةِ التي تُضجر؛ فقال ﷺ: «**ذَروني ما تركتُكم؛ فإنما أهلك من كان قبلكم كثرةُ سؤالهم، واختلافهم علىٰ أنبيائهم**»(١). ولذا كان الصحابة يفرحون إذا جاء الرجلُ العاقلُ من أهلِ البادية ليسألَ النبي ﷺ من أجل أن يستفيدوا(٢). فابن آدم مركَّب من لحمٍ ودمٍ ومشاعرٍ، والنبي ﷺ مع ما جُبل عليه من خلقٍ وحلمٍ وتواضعٍ قال: «**إنما أنا بشر**»(٣). **فعلى طالبِ العلمِ** أن يتحيَّن الأوقات المناسبة، ولا يُضجر الشيخ، كما أن

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧)، والترمذي (٢٦٧٩)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٢٦١٩)، وابن ماجه (٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين (١٢)، والنسائي (٢٠٩١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه (٢٤٥٨)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (١٧١٣)، وأبو داود (٣٥٨٣)، والترمذي (١٣٣٩)، والنسائي (٥٤٠١)، وابن ماجه (٢٣١٧)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها. وقد جاء عن ابن مسعود، ورافع بن خديج، وزيد بن أرقم، وأبي هريرة، وجابر، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم.

علىٰ الشيخ أن يبذل، فقد أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يبينَ ولا يكتمَ[(١)]، كما ستأتي الإشارة إليه في هذه المنظومة - إن شاء الله تعالىٰ -.

ومرحبًا قُل لمن يأتيك يطلُبه (٦٥) وفيهم احفَظ وصايا المصطفى بهمِ

ولتزدْ عنايتك وترحيبك بمن بَعُدَ منزلُه عن البلدِ؛ لأن أهلَ البلد ما تعبوا مثل ما تعب، فالذي جاء من الآفاق أهلٌ للعنايةِ والرعايةِ. وقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسندٍ فيه كلام، عن رسول الله ﷺ قال: «**سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ**»[(٢)] والحديث لا يسلَم من ضعف[(٣)].

(١) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم (٢٦٥١)، وابن ماجه، مقدمة السنن، باب الوصاة بطلبة العلم (٢٤٧). وقال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون، عن أبي سعيد». وقال: «قال علي: قال يحيىٰ بن سعيد: كان شعبة يضعف أبا هارون العبدي».

(٣) قال المناوي في فيض القدير ٢/ ٤٠٠: «قال ابن القطان: ضعيف؛ فيه أبو هارون العبدي كذَّاب، قال شعبة: لأن أقدم فيُضرب عنقي أحب إلي من أن أقول: حدثنا أبو هارون العبدي. وقال الذهبي: تابعي ضعيف».

والنيَّـةَ اجعَـل لوجـه اللّٰه خالصـةً (٦٦) إنَّ البنـاءَ بـدون الأصـلِ لم يقُـمِ

فلا يوجد بناء بدون قاعدة وأساس، والنية هي الأصل، والإنسان يُؤجر علىٰ نيته أكثر من عملِه؛ لأنه قد يحال بينه وبين العمل، فتقوم النية مقام العملِ، ويترتب عليها الأثرُ، أما العمل المجرَّد عن النية فلا أجر فيه.

ومـن يكـن ليقـولَ النَّـاسُ يطلُبـه (٦٧) أخسِـر بصفقَته في موقفِ النَّـدمِ

فمن يطلب العلم ليقال عالم، فهذا أخسر الناس صفقة حين لا ينفع الندم؛ لأنه طلب الدنيا بمطلوب عزيز لا ينبغي أن تطلب به إلا الآخرة.

ومَـن بـه يَبتغـي الـدُّنيا فليس لـه (٦٨) يـومَ القيامـةِ مـن حـظٍّ ولا قسَـمِ

كما في الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ قال: «**إن أول الناس يُقضىٰ يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتىٰ استُشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ لأن يقال: جريء، فقد قيل. ثم أُمر به، فسُحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عمِلت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت العلم؛ ليقال: عالم، وقرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسُحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصنافِ المالِ كله، فأتي به، فعرفه نعمه،**

فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيلٍ تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت؛ ليقال: هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[(١)]. فهؤلاء الثلاثة هم أوَّل من تسعَّر بهم النار يوم القيامة، فالأمر جد خطير، فلا يُمكن أن تخرجَ من هذا الشأن كفافًا لا لك ولا عليك، بل إما أن تكونَ في الدرجات العليا من الجنة، أو تكون مِن أول من تسعَّر بهم النار يوم القيامة، فالخيار إليك.

كفى بـ﴿مَن كَانَ﴾ في شُورى وهودٍ وفي الـ (٦٩) إسراءِ مَوعظة للحاذقِ الفَهِمِ

«كفى بـ(مَن كان) في شُورى» وهو قول الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]؛ فالأمر معلق بالإرادة، وهي النية.

«وهود» وهو قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

«وفي الإسراءِ مَوعظة للحاذقِ الفَهِمِ» والذي في الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسُّمعة استحق النار (١٩٠٥)، والترمذي وقال: «حسن غريب» (٢٣٨٢)، والنسائي (٣١٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:١٨- ٢٠] يعني: وذلك بعد أن بيَّن للفريقين طريق النجاة وطريق الشَّقاء، كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

إيَّاك واحذَر مماراةَ السَّفيه به (٧٠) كذا مُباهاة أهلِ العلمِ لا تَرِمِ

روىٰ الترمذي، وابن ماجه بسند فيه كلام عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**من طلَب العلمَ؛ ليماري به السُّفهاء، أو ليُباهي به العُلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النَّار**»(١).

فإن أبغضَ كلِّ الخلقِ أجمعهم (٧١) إلى الإله ألدُّ الناس في الخصمِ

«**فإن أبغضَ كلِّ الخلقِ أجمعهم إلىٰ الإله ألدُّ الناس**» الألد: المجادل شديد الخصومة عن الباطلِ(٢)، «**في الخصمِ**»، أي: في الخصومة، وفي

(١) أخرجه بلفظه: ابن ماجه، مقدمة السنن، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٣). وأخرجه بنحوه: الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٢٦٥٥)، وابن ماجه، الكتاب والباب السابقين (٢٥٨) أيضًا من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**من تعلَّم علمًا لغير الله أو أراد به غيرَ الله، فليتبوأ مقعده من النار**». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وقد جاء عن كعب بن مالك، وجابر، وأبي هريرة، وحذيفة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي ٩/ ١٣٨.

الصَّحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الرِّجال إلىٰ الله الألد الخَصِم**»(١)، أي: الدائم الخصومة، صيغة مبالغة علىٰ وزن: «فَعِل»، مثل: حَذِرٍ، وجَشِعٍ.

والعُجبَ فاحذَره إن العجبَ مُجترَفٌ (٧٢) أعمالَ صاحبِه في سيلِه العَرِمِ

«**والعُجبَ فاحذَره**»؛ لأن المعجب بعمله مزكٍّ لنفسه ولعمله، مترفِّع عن الخلق، متكبِّر عليهم، يرىٰ أن له فضلًا علىٰ الناس.

«**إن العجبَ مُجترِفٌ أعمالَ صاحبِه في سيلِه العَرِمِ**(٢)» أي: محبط للأعمال.

وبالمهمِّ المهمِّ ابدأ لتُدركَه (٧٣) وقدِّم النصَّ والآراء فاتَّهِمِ

«**وبالمهمِّ المهمِّ ابدأ لتُدركَه**»؛ لأن العلم بُحُور؛ فلا يُمكن أن يُحاط به، وكما ورَد أن علم موسىٰ والخضر في علم الله ﷻ مثل ما نقر العصفورُ من البحرِ(٣)، والله ﷻ يقول لجميع المخلوقين: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب الألد الخصم وهو الدائم في الخصومة (٧١٨٨)، ومسلم، كتاب العلم، باب في الألد الخصم (٢٦٦٨)، والترمذي وحسَّنه (٢٩٧٦)، والنسائي (٥٤٢٣).

(٢) العَرِم: السَّيل الذي لا يطاق. المعجم الوسيط (عرم).

(٣) إشارة إلىٰ ما أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم، فيكل العلم إلىٰ الله (١٢٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠)، والترمذي (٣١٤٩)، وقال: «حسن صحيح»، من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل في قصة موسىٰ والخضر، وفيه: «**فقال الخضر: يا موسىٰ ما نقص علمي وعلمُك من علمِ الله إلا كنقرةِ هذا العصفورِ في البحرِ**».

[الإسراء: ٨٥]؛ يعني: إذا ضُمَّ علم جميع المخلوقين لم يكن بالنسبةِ لعلمِ الله ﷻ إلا شيئًا يسيرًا. فعلىٰ طالب العلم أن يبدأ بالمهمِّ المهمِّ، فبعض طلَّاب العلم تجد عنده كتبًا كثيرة جدًّا، والتحصيل قليل جدًّا، وكثرة الكتب ليست علامةً علىٰ كثرةِ العلم أبدًا، بل هي في الغالب مُشغلة عن التحصيلِ؛ لأنه سيفتح اليوم كتابًا فيقرأ منه صفحة، ثم يتركه ويفتح آخر، فيقرأ منه كلمة، ويظل يتنقَّل من علم إلىٰ آخر، وينظر في علومٍ لا حاجة له بها الآن، ويترك الأهمَّ، فلا يلتفت إليه، والواقع يشهد بهذا، يعني: أنك إذا ذهبت إلىٰ المكتبات ستجد كتبًا قد حُقِّقت من قبل طلَّاب علم هي أبعد ما تكون عن الأهمية، فمثلًا قد اعتنىٰ بعض الطلاب بجزء بِيبَىٰ[(١)]، وجزء الألف دينار[(٢)]، ولو سألته عن أوضح حديثٍ في صحيح البخاريِّ لما علمه، فليست له عناية بالبخاريِّ! وهذا ليس ابتداء بالمهم المهم، بل هو اشتغال بالمفضولِ عن الفاضلِ؛ لأن المسألةَ مسألةُ صعودٍ وترقٍّ، فالعمر لا يستوعب كلَّ شيء، فعلىٰ طالب العلم أن يقدِّم ما يحتاج إليه في كلِّ علم من العلومِ، بدءًا من الدرجة الأولىٰ، ثم الثانية، إلىٰ أن يصعد إلىٰ رأس السُّلم الذي رتَّبه أهل العلم لطبقاتِ المتعلِّمين.

(١) هي: أم الفضل بيبىٰ - كضيزىٰ -، بنت عبد الصمد بن علي بن محمد الهرثَمية الهرَوية، الشيخة المعمرة المسندة، روت عن عبد الرحمن بن أبي شريح جزءًا عاليًا اشتُهر بها. وروىٰ عنها: محمد بن طاهر، ووجيه الشحامي، وأبو العلاء صاعد بن أبي الفضل، وغيرهم. توفيت سنة ٤٧٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي ١٨/ ٤٠٣، وتاج العروس؛ للزبيدي ٢/ ٥٤.

(٢) للقطيعي المتوفىٰ سنة ٣٦٨هـ، وسماه بهذا الاسم تعظيمًا وبيانًا لمكانته ومنزلته.

«وقدِّم النصَّ»، فلا بد من أن يكون السائق والحادي لطالب العلم هو النصُّ، وأما أقوال الرجال فيُستفاد منها في فهم النصِّ؛ لا سيما أهل التحقيق منهم.

«والآراء فاتَّهِمِ»، يعني: بدلًا من أن تُقدَّم هذه الآراء ويُحكم بها على النصوصِ، تُقدَّم النصوص وتُتَّهم الآراء، فبعض المقلِّدة إذا ذُكر له الدليلُ الصحيح من الكتابِ أو من السنةِ قال: أأنت أعرف من الإمامِ أبي حنيفة، أو مالك، أو الشافعي، أو أحمد؟ وهل خفي الدليل عليهم؟ وهل فهمك أفضل من فهمهم؟

والمقصود أن الإنسان إذا سمع «قال الله» و«قال رسوله» وقَف، وقد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع.

العلمُ قال اللهُ قال رسولُه قال الصحابةُ هم أولو العرفانِ[1]

فاتهم الآراء التي تخالف النصوصَ ولا تتَّهم النصَّ؛ فبعض الناس يتَّهم النص بأنه يحتمل التأويل، أو يحتمل النسخ، أو أنه مخصَّص، أو مقيَّد، ومع ذلك يعمل بأقوال الأئمَّة.

ولا يعني هذا أن تُهدَرَ أقوال الأئمة، بل يُستفاد منها، لكن الأقوالَ والاجتهاداتِ والأقيسةَ، في مقابل النُّصوص فاسدةُ الاعتبارِ عند أهلِ العلمِ.

(١) نونية ابن القيم (ص: ٢٢٦).

قدِّم وجوبًا علومَ الدِّين إنَّ بها (٧٤) يَبين نهجُ الهدى من موجِب النِّقمِ

فإذا كان عند طالب العلم مكتبة فيها من كلِّ فنونِ العلومِ؛ فيها التفسير، والعقيدة، والحديث، والفقه، والتاريخ، والأدب، والطب، والرحلات، والموسوعات، ودواوين الشعر، والنثر، والقصص، والمجلات، والذكريات... إلخ، فالذي تكون العناية به أهم، هو علوم الدين التي جاءت النصوص بمدحها، ومدحِ أربابِها وحامليها، أما العلوم الأخرىٰ، فتكون مما يُعين علىٰ التحصيلِ من بعضِ الوجوهِ.

فقد يقرأ طالبُ العلمِ في كتبِ التاريخِ؛ لأن فيه متعة وعبرة، والتاريخ كما يقولون: يُعيد نفسَه، فالأسباب التي انعقدت لهلاكِ الأممِ السابقةِ إذا وُجدت نظائرها كانت النتائج واحدةً، فالسنن الكونية لا تتغير؛ ولذا لو قرأ طالبُ العلمِ في الجزء السادس من «نفح الطيب»[1] وطبَّق ما فيه علىٰ وضعنا الحالي القائم لاضطرب قلبه، ولسَأل الله السلامة، فأولئك قد صاروا نهبًا وفريسةً للأعداء، واستُولي علىٰ محارمهم وعلىٰ أملاكهم، وشرِّدوا وقتلوا، لما عاشوا الأسلوب نفسه الذي نعيشه الآن، فالنتائج واحدة.

فطالب العلم قد يحتاج إلىٰ شيء من الاستجمام والراحة، والاطلاع علىٰ أخبارِ الأممِ الماضيةِ والمعاصرةِ من باب توسيع الأفق؛ لأن بعض المسائل تحتاج إلىٰ شيء من السَّعة، وأهل العلم لم يُهملوا العلوم الأخرىٰ، لكنهم

(١) هو: كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المَقَّري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، وهو كتاب في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي. ينظر: الأعلام؛ للزركلي ١/ ٢٣٧.

لم يجعلوها أصولًا قائمة برأسها ينبغي أن تُخدم، بل جعلوها خادمةً لعلوم الدين، ولنضرب على ذلك مثالًا في ألفاظِ الجرحِ والتعديلِ:

ففي ترجمة جُبارة بن المغلِّس[١] من كتاب «الجرح والتعديل»، قال أبو حاتم لما سُئل عنه: «هو على يدي عدل»[٢]، فظن الحافظ العراقيُّ أنها من ألفاظ التوثيق، فكان ينطق بها بكسر الدال الأولى، وبرفع اللام وتنوينها: «علىٰ يدِي عدلٌ». لكن الحافظ ابن حجر أوجس خِيفة من هذه اللفظة؛ لأنها إن كانت توثيقًا فهي تخالف أقوالَ أهلِ العلمِ التي تنصَبُّ كلها في تضعيفِ هذا الرجلِ، فكيف يوثِّقه أبو حاتم وهو أشدُّهم؟، فبحث حتىٰ ظهر له أنها عند أبي حاتم من ألفاظِ التَّجريح، وأنها كناية عن الهالك[٣]؛ ففي «إصلاح المنطق» أن شخصًا يُقال له: العدل بن جَزء بن سعد العشيرة كان على شرطة تُبَّع، وكان تُبع إذا أراد قتل رجل، دفعه إليه، فقال الناس: «وُضع على يدي عدل»[٤]. وقد ورد نحو ذلك في «أدب الكاتب»: وزاد: «ثم قيل ذلك لكلِّ شيء قد يُئس منه»[٥][٦].

---

(١) هو: أبو محمد جُبارة بن المغلِّس الحِمَّاني الكوفي، ضعيف من العاشرة. روىٰ عن: أبي شيبة العبسي، وحماد بن زيد، وشريك النخعي، وغيرهم. روىٰ عنه: ابن ماجه، وأبو يعلىٰ الموصلي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وغيرهم. توفي سنة ٢٤١هـ. ينظر: تهذيب الكمال ٤/ ٤٨٩، تقريب التهذيب؛ لابن حجر (٨٩٠).

(٢) الجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم ٢/ ٥٥٠.

(٣) ينظر: فتح المغيث؛ للسخاوي ٢/ ٢٩٩.

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيت (ص: ٣١٥).

(٥) أدب الكاتب؛ لابن قتيبة (ص: ٥٢، ٥٣).

(٦) ينظر: فتح المغيث؛ للسخاوي ٢/ ٢٩٩، ٣٠٠.

وقد ذُكر في الأغاني أيضًا قصة أخرىٰ وهي: أن أبا عيسىٰ بن الرشيد وطاهر بن الحسين كانا يتغدَّيان مع المأمون، فأخذ أبو عيسىٰ هِنْدَباءة[١] فغَمسها في الخلِّ وضرب بها عين طاهر الصَّحيحة - وكان أعورَ - فغضب طاهر وشقَّ ذلك عليه، وقال: يا أمير المؤمنين إحدىٰ عينيَّ ذاهبة، والأخرىٰ علىٰ يدي عدل، يفعل هذا بي بين يديك! فقال له المأمون: يا أبا الطَّيِّب، إنه واللّه ليعبث بي أكثر من هذا العبث[٢].

فهذه الكتب فيها فائدة، لكنها لا تُعادل ما فيها من شُرورٍ، ومجونٍ، وكلامٍ سخيفٍ ومخلٍّ بالأدبِ لا يليق بطالبِ العلمِ، لكن مع ذلك يُستفاد منها علىٰ إقلالٍ دون إيغالٍ، فلا تُجعل ديدنًا، فبعض الناس يقرأ الأغاني مرارًا، وكذا كتب الأدبِ المطوَّلة والمختصرة، ويُعنىٰ بالموسوعات، وبالرحلات، وبالذكريات، ويترك «قال الله» و«قال الرسول»، وهذا ليس بصحيح.

وكلُّ كسرِ الفتىٰ فالدِّين جابرُه (٧٥) والكسرُ في الدِّين صعبٌ غير مُلتئمِ

«**وكلُّ كسرِ الفتىٰ فالدِّين جابرُه**» سواءٌ أكان حسيًّا كأن انكسر أحد أعضائه أم معنويًّا، كأن وُجد من يسخر منه، أو يهزأ به، فالدين يجبره ويعوِّضه؛ لأنه معلَّق بالدنيا، والدنيا دار ممر ليست بشيء، «**والكسرُ في الدِّين صعبٌ غير مُلتئمِ**» إذا لم يُتدارك بتوبةٍ وأوبةٍ ورجعةٍ.

(١) الهِندبا: بقل زراعي حَولي ومُحْوِل من الفصيلة المركَّبة يُطْبخ ورقُه أَو يجعل (سلطة). المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة: هند).

(٢) الأغاني؛ لأبي الفرج الأصفهاني١٠/ ٣٧١.

دع عنك ما قالَه العصريُّ منتحلاً (٧٦) وبالعتيقِ تمسَّك قطُّ واعتصِمِ

«دع عنك ما قالَه العصريُّ منتحلًا»، أي: دع علومهم المعاصرة التي لا تُعين علىٰ ما يُورث الخشية لله ﷻ، واهتمَّ بعلومِ الكتابِ والسنة، بعلوم الدين التي جاء الحثُّ عليها.

فعلوم المعاصرين يُستفاد منها في أمورِ الدنيا، كما لو أفنىٰ الإنسان عمره في تخصُّصٍ ما كالطب، أو الهندسة، أو الزراعة، أو الكيمياء، أو غيرها من العلوم، فهذا يستفيد في أمور دنياه، ونيته لا تؤثر سلبًا في تخصُّصه، حتىٰ ولو قال: أنا أتعلم الطب لأتكسَّب، لا أريد منه إلا الدنيا. فما عليه شيء، ولإن نوىٰ بذلك التقرُّب إلىٰ الله ﷻ ونفع العباد، لَأُجِرَ علىٰ هذه النية.

«وبالعتيقِ تمسَّك قطُّ واعتصِمِ»، وقد قيل لنا في وقت من الأوقات: اتركوا كتب المتقدمين، اتركوا تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، فهذه الكتب قد مضىٰ وقتها، وعليكم بما كتبه المعاصرون، فهم الذين يعرفون مشاكل العصر وقضاياه، ويُنزِّلون عليها.

والجواب عن هذا في قوله: «**وبالعتيق تمسَّك**»، فالعلم مسطور في كتب المتقدمين، ولا مانع من الاطلاع علىٰ ما كتبه العلماء المعاصرون، وهذا طيب وجيد؛ لا سيما من كان منهم ملتزمًا بقواعد العلم والتعليم، فنأخذ منه ما يُعين علىٰ الاستنباطِ، وما يدلُّ علىٰ إعجازِ القرآنِ وبلاغته، وما يهتم بأحكامِ القرآنِ، أو بإعراب آياته، أو نقرأ في شروحِ الأحاديثِ التي تُعين علىٰ فهم كلام النبي ﷺ،

فنأخذ من كل اتجاه بطرف. أما من انسلخ مما ينبغي أن يتصف به شارح الكتابِ، أو شارح السنَّة، فهذا لا يُلتفت إليه، مثل تفسير طنطاوي جَوهري[١] الذي كأنه كتاب علوم، فكله رسوم لذوات الأرواح، ونظريات، ونُقول عن يهودٍ ونصارىٰ وكفار، وتجاربُ أمم، والفائدة في جانب هذه الأمور قليلة جدًّا.

ومن الطرائف التي ذكرها: استدلاله علىٰ جواز التصوير بقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤٣]، قال: هو يرىٰ العدوَّ علىٰ حقيقته، ولا يُمكن أن يرىٰ حقيقةً أقل مما هو عليه إلا بصورة ليست حقيقية، وكذا المؤمنون أُرُوا العددَ قليلًا بصورة لا بالحقيقة، فهذا يدلُّ علىٰ جواز التصوير، قال: فعرضت هذا الاستنباط علىٰ شيخٍ من شيوخِ الأزهرِ، فقال: «إن ما أبديتَه من الأدلة كاف في جواز، بل في وجوب الصور الشمسية؛ لإظهارها الخفايا والدقائق؛ كي يحيط الإنسان علمًا بما في هذه الحيوانات من العجائب»[٢].

فهل يُؤخذ العلم عن مثل هؤلاء، أو تُضاع الأوقات في قراءة كتبهم؟! وعندنا أئمة؛ كإمام المفسِّرين علىٰ الإطلاق الطبري، وكذا ابن كثير، وكتبهم - كتب التفسير بالأثر - التي أخذت من مشكاةِ النبوة، وفسَّرت القرآن بالقرآنِ،

(١) هو: طنطاوي بن جَوهري المصري، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، تعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية. توفي سنة ١٣٥٨هـ. له تصانيف منها: «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» و«جواهر العلوم»، و«النظام والإسلام». ينظر: الأعلام؛ للزركلي ٣/ ٢٣٠، معجم المؤلفين؛ لكحالة ٢/ ١٥.

(٢) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٦/ ٩٣.

والقرآنَ بالسنةِ، وبأقوال الصحابة والتابعين، وبالاستنباطِ علىٰ الوجه الشرعيِّ المعروف، وعلىٰ الجادة المعروفة عند أهلِ العلمِ، فهؤلاء هم أهل العلمِ والعملِ، وهم أهل التقوىٰ والورعِ.

«**قط واعتَصم**»، فكتابات المعاصرين من بيئاتٍ وثقافاتٍ متفاوتةٍ ومتباينةٍ، فإذا اعتمدت عليها أحدثت فيك شيئًا من الاضطراب، بل كن علىٰ الجادة في تلقيك عن كتبِ الأئمةِ من أهلِ العلمِ، لتُحصِّل النتائجَ القويمةَ.

مـا العلـمُ إلا كتـاب اللّٰه أو أثـرٌ (٧٧) يجلـو بنـورِ هُـداه كـلَّ مُنـبهمِ

فأصل العلوم وأسُّها كتاب الله ﷻ، وما جاء في بيانه علىٰ لسان نبيه ﷺ.

قال ابن القيم:

العلـمُ قـال اللّٰهُ قـال رسـولُه قـال الصـحابةُ هـم أولـو العرفـانِ

مـا العلـم نَصـبك للخـلافِ سَـفاهة بـين الرَّسـول وبـين رأي فـلان[1]

فالمقصود أن العلم المعوَّل فيه أولًا وآخرًا نصوص الوحيين، وما يُقرأ وما يُدرس من علومٍ أخرىٰ إنما هي من أجل الإعانةِ علىٰ فهم تلك النصوصِ.

فعلىٰ طالب العلم ألا يُنفق أوقاته وعمره في علومٍ فيها شيء من البعدِ عن كتابِ الله وسنة نبيِّه ﷺ؛ كأن يتخصَّص طوال عمره في اللغة العربية، أو في أصولِ الفقه، أو ما هو أبعد من ذلك.

(١) نونية ابن القيم (ص: ٢٢٦).

ومثل ذلك الذي يتخصَّص في التفسير ويجعل معوَّله وعمدته في تفسير كلام الله ﷻ على كتبِ التفسير بالرأي، فيُمضي عمره في تفسير الرازي[1]، وتفسير الزمخشري، وأمثالهما، أما إذا جعل معوَّله على كتب التفسيرِ بالأثرِ، فتخصَّص من خلال تفسير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن كثير، ومثل ذلك من تفاسير أئمة السلف، فهذا يدور في فلك الكتابِ والسنةِ، ومعوَّله على الكتاب والسنة؛ إلا أنه لا يوجد الآن من يُدرِّس التفسير في الدراسات المنهجية الأكاديمية من خلال تفسير الطبري أو ابن كثير، وإن كان قد دُرِّس ابن كثير لمدة سنين في كلية الشريعة، وانتُقل منه إلى تفسير الشوكاني، لكن معول المتأخِّرين ممن يتصدَّى للتفسير على الكتبِ التي فيها الاستنباطات الدقيقة، والطرائف، والأقوال العجيبة والغريبة؛ كتفسير الزمخشريِّ، والرازي، والتفاسير المعروفة عند أهلِ هذا الشأنِ.

وقد حضرتُ مجادلةً بين شخص تخصُّصه في القرآن وعلومه، وآخر تخصُّصه في السنة:

فقال الذي تخصصه القرآن: نحن أهل الله وخاصَّته.

وقال الثاني الذي تخصصه الحديث - وهو يعرف أن زميله هذا

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، فخر الدين الرازي ابن خطيب الري، إمام المتكلمين الأصولي المفسِّر ذو الفنون. توفي سنة ٦٠٦هـ. له تصانيف منها: «شرح الأسماء الحسنى»، و«الأربعون في علم الكلام»، و«السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم». ينظر: طبقات الشافعية الكبرى؛ للسبكي ٨/ ٨١، وطبقات الشافعيين؛ لابن كثير ٢/ ٧٧٨.

وإن تخصَّص في التفسير وعلوم القرآن إلا أنه إنما يُدرِّس الطلاب التفسير من كتبِ التفسير بالرأي -: أنتم أصحابُ الرأي - يعني: لا فرق بينكم وبين أهلِ الرأي - ونحن أهل الأثر، والتفسير الحقيقي لا يكون إلا ببيان من النبي ﷺ، فنحن أهل التفسير حقيقة.

فالذي يتخصَّص في التفسير من خلال تفاسير الرأي المشحونة بالآراء المخالفةِ لما جاء عن الله وعن رسولِه، وباعتقاد خلفٍ يُخالف ما عليه السلف، فمثل هذا لا يقال: إنه من أهلِ القرآنِ، أو من أهلِ الله وخاصَّته، فلا يحق له أن يتطاول، وهو بعيد كلَّ البعد عن كتاب الله ﷻ. أما التفسير بالأثر فيجمع لك الأمرين: فقه الكتاب، وفقه السنة.

أما الفقه فإذا تخصَّص فيه، واستَند في فقهه علىٰ نصوصِ الوحيين، فهذا متخصِّص في الوحيين بلا إشكال، أي: أنّ تخصُّصه في فقه الكتاب والسنة لا فقه الرأي المجرَّد، فبعض الناس يجعل فقهاءَ المذاهب هم الأصول، وإذا خالف قول الإمام نصًّا من الكتاب والسنَّة فالمقدَّم عنده هو قول الإمامِ، والنصُّ إما مؤول أو منسوخ، فمثل هذا - وإن تخصَّص في الفقه- لا يدخل في حديث: «**من يُرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدِّين**»[1]، اللهم إلا إذا اتخذ هذا الكتاب الفقهي منهجًا وخطةَ بحثٍ يسِيرُ عليها، فينظر في مسائل هذا الكتاب، ويسعىٰ جاهدًا للاستدلالِ لها من الكتاب والسنة.

(١) تقدم تخريجه.

فلا مانع من أن يتفقَّه طالب العلم علىٰ كتاب مختصر في مذهب معين من المذاهب المعتبرة عند أهلِ العلمِ، فيجمع أدلة هذه المسائل ويُعنىٰ بها، ويُقارن بينها، ويذكر من وافق وأدلَّته، ومن خالف وأدلَّته، فيكون قد تفقه علىٰ الكتاب والسنة بهذه الطريقة.

ولا بد من مقدِّمات وعلوم تُعين علىٰ فهم الكتابِ والسنةِ، فالنصوص فيها العامُّ والخاصُّ، وفيها المطلقُ والمقيدُ، وفيها المحكمُ والمتشابهُ، وفيها المجملُ والمبينُ، وفيها الناسخُ والمنسوخُ، فلا بد من معرفة العلوم التي تُعين علىٰ فهم النصوصِ؛ كعلوم العربية بفروعها الاثني عشر[1]، وأصولِ وقواعدِ التفسيرِ، وأصولِ المصطلحِ وعلومِ الحديثِ، وأصولِ الفقهِ، فطالب العلم بأمسِّ الحاجة إليها.

وأيضًا لا بد من النظر في أقوالِ الأئمةِ من أهلِ العلمِ، والاحتذاء حذوهم، والاقتداء بهم في كيفية الاستنباط، والنظر في مواضعِ الاختلافِ، ومواضعِ الاتفاقِ؛ لئلا يُخالف إجماعًا؛ ولئلا يبتدع قولًا لم يقل به من سبق؛ وليسلم قوله واختياره عن الشذوذِ، فكم من شخص اعتمَد علىٰ نفسه غير مقتدٍ بغيره - وإن كانت عمدتُه ومعوَّله علىٰ الكتابِ والسنةِ- إلا أنه لم يستطع أن يتعامل

(١) ينظر: القسطاس للزمخشري (ص: ١٥)، وحاشية السجاعي علىٰ القطر ص:٩، وهي مجموعة في قول الناظم:

صرفٌ بيانٌ معاني النحوُ قافيةٌ ... شعرٌ عروضُ اشتقاقُ الخطُّ إنشاءُ

محاضراتٌ وثاني عشرها لغة ... تلك العلوم لها الآداب أسماء

مع نصوص الكتابِ والسنةِ، فلا بد أن يسلك الجادَّة المعروفة عند أهلِ العلمِ.

ومثاله: شخص يعتني بالسنةِ ولا علم له بأقوالِ أهلِ العلمِ، ولا كيفية الاستنباطِ عند أهلِ العلمِ، فلو قرأ في صحيح مسلم: «باب الأمر بقتلِ الكلابِ»[(١)] قد يأخذ سلاحَه ويقتل كلَّ كلب يقع عليه نظره؛ امتثالا للأمر، ثم بعد ذلك إذا قرأ الدرس الذي يليه: «بيان نسخ قتل الكلاب»[(٢)] فماذا سيصنع؟ لكن لو قرأ هذه المسألة في كتابٍ فقهيٍّ فلن يحصل له مثل هذا الإشكال؛ لأن كتب الفقه هي خلاصةُ هذه النصوصِ والأدلةِ وعصارتُها، علىٰ ما فيها من أقوالٍ مرجوحةٍ، لكن الأقوال الراجحة فيها كثيرة، وفيها الاعتماد علىٰ الأحاديثِ الصحيحةِ، وفيها أيضًا اعتماد علىٰ أحاديثَ ضعيفةٍ، لكن بمجموعِ النظر تتكامل الرؤية، فالأصل الأصيل الذي هو القرآن يُبينه ويوضحه السنةُ، ثم مع أقوالِ أهلِ العلمِ تتكامل الرؤية وتتضح؛ وعليه فلا بد من التوفيق بين الفقه والحديث.

والمسألة تحتاج إلىٰ دقَّة في النظر، فبعض الناس يلوم من يتخصَّص في الفقه، أو الأصول، أو اللغة، والأمر ليس علىٰ عمومِه، بل إذا تخصَّص في هذه العلوم وسخَّرها لخدمة الكتاب والسنة فهذا إنما يتعلَّم ويُعلِّم الكتاب والسنة، وقد أُثِر عن إمامٍ من أئمة المسلمين أنه قال: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٢٠٠.

(٢) ينظر السابق.

الفقه من كتاب سيبويه[١]. وهو لا يعني أن كتاب سيبويه فيه أحكام الصلاة والزكاة، بل يعني: أن مسائله توضِّح له نصوصَ الكتاب والسنة، فمن السهل أن تُستخدم كتب اللغة العربية لخدمة الكتاب والسنة؛ كما لو شرح شخص كتابًا مختصرًا في النحو كالآجُرُّومية مثلًا، ثم طلب من الطلاب إعرابَ سورة من القرآن الكريم، كالفاتحة أو الناس من خلال دراستهم للآجرُّومية، فيفهم الطالب القرآن ويرتبط به من خلال اللغة.

وصلة الوحيين باللغة العربية قوية جدًّا، حتىٰ إن بعض الأحكام قد اختَلف فيها أهل العلم للاختلاف في إعرابها، ومن أوضح الأمثلة التي تُذكر في هذا الباب حديث: «**ذكاةُ الجنين ذكاة أمِّه**»[٢] فقد اختلفوا في إعراب «**ذكاة أمه**»، والجمهور علىٰ أنها بالرفع علىٰ تقدير أن الجنين ذكاتُه هي ذكاةُ أمه، فإذا ذُكيت الأم كفىٰ[٣]. أما الحنفية فقالوا بالنصب: «**ذكاةُ الجنين ذكاةَ أمه**» يعني:

---

(١) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٤/ ١٤٤٣، والقرطبي في التفسير ١/ ٣٩ من قول الجَرمي عالم اللغة.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين (٢٨٢٧)، والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في ذكاة الجنين (١٤٧٦)، وابن ماجه، كتاب الذبائح، باب ذكاة الجنين ذكاة أمه (٣١٩٩)، وأحمد (١١٢٦٠)، وصحَّحه ابن حبان (٥٨٨٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، وقد رُوي من غير هذا الوجه عن أبي سعيد، والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم». وقد جاء عن جابر، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي هريرة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) ينظر: مختصر خليل؛ لخليل بن إسحاق (ص: ٧٩)، ومواهب الجليل في شرح مختصر خليل؛ للحطاب ٤/ ٣٤٢، الأم ٣/ ٦١٠، والمجموع؛ للنووي ٩/ ١٢٦، ١٢٧، والمغني؛ لابن قدامة ١٣/ ٣٠٨، ٣٠٩، والإنصاف؛ للمرداوي ٢٧/ ٣٢٧.

لا بد أن يُذكَّىٰ كذكاة أمه[1]. فاختلف الحكم الشرعي، وكثير من مسائل الاعتقاد معوَّلها علىٰ العربية، ومرجعها إليها، فمعرفة العربية في غاية الأهمية لطالب الكتاب والسنة.

ما ثَم علمٌ سوى الوَحي المبينِ وما (٧٨) منه استُمدَّ ألا طوبى لمُغتنمِ

والذي يزعم أنه يتلقىٰ العلم عن غير طريق النبي ﷺ، فهذا ضالٌّ، فلا طريق مُوصل إلىٰ الله ﷻ إلا عن طريقه ﷺ، فالعناية بأقوالِه وأفعالِه وسيرتِه وشمائلِه، من خير ما يُعين علىٰ العلمِ والعملِ.

والكتمَ للعلمِ فاحذَر إن كاتمه (٧٩) في لعنةِ الله والأقوامِ كلِّهمِ

«والكتمَ للعلمِ فاحذَر» قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، وقد يمر بالإنسان ظرف يتملَّكه فيه الخوف، فيُحتاج إلىٰ بيانٍ فيكتم، ثم إذا ندم علىٰ ذلك وتاب تابَ الله عليه، لكن مع ذلك فليحذر أهل العلم الكتمَ له.

والعلم الذي ورد في النصوص الحثُّ عليه والتحذير من كتمه، أو

(١) ينظر: بدائع الصنائع؛ للكاساني ٥/ ٤٣، وتبيين الحقائق؛ للزيلعي ٥/ ٢٩٤.

الإخلال بالنية فيه إنما هو العلم الشرعي، لكن من النصيحة - وقد قال ﷺ: «**الدين النَّصيحة**»[(١)]- ألا يكتم الإنسان ولو كانت الاستشارة والنُّصح في علومِ الدنيا، بل تُبذل النصيحة، فمثلًا لو أن طبيبًا صلىٰ بمسجدٍ من المساجد فاستشاره أحد الناس في مشكلةٍ عنده، فلا يستحب أن يشترطَ عليه أن يأتيَه في عيادته ويدفع قيمة هذه الاستشارة، فهذا ليس مما ينبغي أن يسود بين المسلمين، لكنه إن فعل ذلك لا يأثم، مثل المزارع ومثل الصانع؛ لأن الذي يثبت الإثم به إنما هو العلم الذي يُبتغىٰ به وجه الله ﷻ.

«**إن كاتمه في لعنةِ الله والأقوامِ كلِّهمِ**»، أي: عليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

ومن عُقوبته أنْ في المعادِ له (٨٠) من الجحيمِ لجامًا ليس كاللُّجُمِ

«**ومن عُقوبته**» يعني: عقوبة الكاتم، «**أن في المعادِ له من الجحيمِ لجامًا ليس كاللُّجُمِ**» ليس كلجام الفرس، ولا البعير، ولا الحمار، فهو ليس كحبل تُلجم به الدابَّة، وقد أخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**من سُئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار**»[(٢)]. وفي لفظ: «**ما من رجل يحفظ علمًا فيكتمه إلا أتي به يوم**

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم (٣٦٥٨)، والترمذي وحسَّنه، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٢٦٤٩)، وابن ماجه، مقدمة السنن، باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦٤)، =

القيامة ملجمًا بلجام من النار»[(١)]. وهذا الحديث أقل أحواله الحُسن؛ لأن له طرقًا يشد بعضها بعضًا.

وصائنُ العلمِ عمَّن ليس يحملُه (٨١) ما ذا بكتمان بل صونٌ فلا تَلُمِ

يعني: لو جاء شخص ليس عليه أمارات العلمِ وأهلِه، ويسأل عن مسألة لا تُهمه ولا يحتاج إليها، فمثل هذا يُصرف لما هو أهم بالنسبة له بأسلوبٍ يُسميه أهل البلاغة: أسلوبَ الحكيم[(٢)]؛ لأن المرء قد يسأل عن شيء فيرىٰ المسؤول أن حاجته إلىٰ غيره أمس، فيُرشده إلىٰ هذا الغير، وهذا لا شك أنه ليس بكاتم. وقد جاء في سنن ابن ماجه مرفوعًا بسندٍ ضعيفٍ[(٣)]: «**واضع العلمِ عند غير أهلِه كمقلِّد الخنازيرِ الجوهرَ واللؤلؤَ والذهبَ**»[(٤)]. فلا يحسن أن يُقرأ كتاب علم علىٰ أناس لا يستفيدون منه، ولا تستوعبه عقولهم؛ فقد يكون لبعضهم فتنة، فالناس منازل.

= وأحمد (٧٩٤٣)، وصحَّحه ابن حبان (٩٥). وجاء عن جابر، وعبد الله بن عمرو، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم ﷺ.

(١) أخرجه ابن ماجه، مقدمة السنن، باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦١).

(٢) ينظر: التعريفات (ص: ٢٣).

(٣) ينظر: المقاصد الحسنة؛ للسخاوي (ص: ٤٤٠)، ومرقاة المفاتيح؛ للهروي ١/ ٤٧٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه، مقدمة السنن، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم (٢٢٤)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وإنما الكتمُ منعُ العلمِ طالبَه (٨٢) من مستحقٍّ له فافهَم ولا تَهِمِ

إذا جاء طالب العلم للشيخ واستفتىٰ وسأل، لا يكتم، وإذا أراد أن يقرأ لا يُمنع، لكن كل ذلك في حدود طاقة الشيخ؛ لأن طلاب العلم فيهم كثرة، والكتب والفنون كثيرة، ولو لزمت إجابة كل واحد لشق ذلك، بل ولاستحال تلبية رغبات جميع الطلاب.

فلو افترضنا أن شيخًا في منتصف كتاب، وجاء طالب علم يريد البدء من أول الكتاب، فعدم استجابته لرغبته لا تعد كتمًا للعلم؛ لأن الشيخ بذل ولم يُقصر، لكنه إذا أراد أن يستجيب لكلِّ طالب فلن يوفي بحاجة واحد منهم؛ لأن كل واحد حاجته تختلف عن حاجة غيره.

وأتبِعِ العلمَ بالأعمالِ وادع إلى (٨٣) سبيلِ ربِّك بالتِّبيانِ والحكمِ

«وأتبِعِ العلمَ بالأعمالِ»، تعلم أولًا، فإذا تعلَّمت العلم، اعمل بهذا العلم، فإذا تعلَّمت وعمِلت، فعَلِّم هذا العلم.

«وادع إلىٰ سبيلِ ربِّك بالتِّبيانِ والحكمِ»، مُر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، فكل هذه من وظائف العالم والمتعلم علىٰ حدٍّ سواء.

واصبر على لاحقٍ من فتنةٍ وأذى (٨٤) فيه وفي الرُّسل ذكرى فاقْتَدِه بهمِ

«واصبر على لاحقٍ من فتنةٍ وأذىً فيه»؛ لأنه لا بد أن يعترضَ طريقَك شيء من الأذىٰ، وفي المسائل الأربع للإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

الأولى: العلم.

الثانية: العمل بالعلم.

والثالثة: الدعوة إليه.

والرابعة: الصبر علىٰ الأذىٰ فيه[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ١، ٢] إلا من استثنىٰ، وهم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣]؛ فلا يظن الإنسان أنه سيصل إلىٰ المراتب والمنازل العليا دون أن يُؤذىٰ، بل لا بد من الأذىٰ، ولا إمامة إلا بابتلاء، وكما قال ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**»[2]. فما من نبيٍّ إلا ابتلي، وما من إمام من أئمة المسلمين قد سُهلت له الطرق منذ أن وُلد إلىٰ أن مات، والإمامة لا تُنال بالراحة، بل لا بد من التعب، ولا بد من العناء، ولا بد من الأذىٰ؛ فأهل العلم لهم

(١) الأصول الثلاثة؛ لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ٢).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء (٢٣٩٨)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء (٤٠٢٣)، وأحمد (١٤٨١)، وصحَّحه ابن حبان (٢٩٠٠)، من حديث سعد رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وقد جاء عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وفاطمة بنت اليمان وغيرهم رضي الله عنهم.

خصوم، والمتعلم قد يعترضه أقرب الناس إليه من الوالدين، والإخوة، والأقارب، وما أشبه ذلك، وهذا كثير ومشاهَد على مرِّ العصور، فإذا كان الأنبياء لم يَسلَموا من هذه الاعتراضات، فكذا أتباعهم على سننهم ونهجهم؛ ولذا يقول: «**وفي الرُّسل ذكرى**»، يعني: تذكَّر ما حصل للرسول ﷺ لما دعا قومه، فقد آذوه، ورموه بأبشع الأوصافِ، وأدمَوا قدميه[(١)]، وكسروا رَباعِيَته[(٢)]. «**فاقْتَدِهْ بهمِ**» الهاء في «**فاقتده**» هاء السكت، قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

لَواحِدٌ بك يهديه الإلهُ لَذا (٨٥) خيرٌ غدًا لك من حُمْرٍ من النَّعَم

«**لواحِدٌ بك يهديه الإلهُ**»، يعني: لشخصٌ واحدٌ، واللام هذه مؤكِّدة، وواقعة في جواب قسم محذوف تقديره: واللهِ لَواحدٌ «**لَذا خيرٌ غدًا لك من حُمْرٍ من النَّعَم**» قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النَّعَم**»[(٣)]، وهذا الفضل العظيم على التسبب فقط في هداية واحد، فكم من الناس يَهتدي على يدي مُعلم الناس الخير؟! لا سيما إذا كان علمُه وعملُه وتوجيهُه

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٤١٥ من حديث الزهري، في قصة ذهاب النبي ﷺ لدعوة أهل الطائف.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه (٢٩٠٣)، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (١٧٩٠)، وابن ماجه (٣٤٦٤)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في قصة غزوة أحد.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله (٢٩٤٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه (٢٤٠٦)، وأبو داود (٣٦٦١)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

وتعليمُه نابعًا من إخلاصٍ لله ﷻ، وإلا فكم ترون وتسمعون ممن يعلِّم ويُفتي، ويوجِّه وينصح، وكلامه لا أثر له؟! وهذا مردُّه إلىٰ الإخلاص والقبول من الله ﷻ. وقد قال ﷺ: «من دلَّ علىٰ خيرٍ فله مثل أجر فاعلِه»(١).

واسلُك سواء الصِّراط المستقيمِ ولا (٨٦) تعدِل وقل: ربيَ الرَّحمن واستَقِم

«واسلُك سواء الصِّراط المستقيمِ»، ففي كل ركعة من ركعات الصلاة تسأل الله ﷻ أن يهديك الصِّراط المستقيم، ولو كنت علىٰ الصراط المستقيم فاسأل الله ﷻ أن يثبِّتك علىٰ الصراط المستقيم «ولا تعدِل»، أي: لا تَمِلْ عن هذا الصراط المستقيم يمينًا ولا شمالًا. «وقل: ربيَ الرَّحمن واستَقِم» يعني: علىٰ دينه، وعلىٰ صراطه المستقيم: «قل آمنت بالله ثم استقم»(٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير (١٨٩٣)، وأبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧١)، وقال: «حسن صحيح»، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (٣٨)، والترمذي (٢٤١٠)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٧٢) مرفوعًا من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

الوصية بكتـاب اللّٰه ﷻ

لما انتهىٰ الناظم من الوصايا العامة لطالب العلـم، أوصىٰ بكتـاب الله ﷻ، ثم أردف ذلك بالوصية بالسنة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبالتـدبُّر والترتيـلِ فاتـلُ كتـا (٨٧) ب اللّٰه لا سيما في حِنْـدِسِ الظلَـمِ

«**وبالتدبُّر والترتيلِ فاتلُ كتاب الله**»، قد جاء عن النبي ﷺ الترغيب في قراءة القرآن؛ حيث قال: «**من قرأ حرفًا من كتابِ الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[(١)] فـ(ألم) فيها ثلاثون حسنة، وهذا علىٰ أقل تقديرٍ، والمضاعفة من الله ﷻ - بكرمه الواسع الذي لا يُحد - قد تصل إلىٰ سبعمائة ضعف، وجاء في حديث - تكلَّم فيه أهل العلم[(٢)] - في المسند: «**إن الله ليضاعِف لبعضِ عبادِه إلىٰ ألفي**

(١) أخرجه الترمذي وقال: «حسن صحيح غريب»، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر (٢٩١٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٧١٥٩): «مداره علىٰ علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف».

ألف حسنة»[(١)]، أي: إلىٰ مليوني حسنة، فإذا قرأت القرآن علىٰ الوجهِ المأمورِ به بالتدبُّر والترتيل، حصل لك من الأجورِ الشيء الذي لا يخطر علىٰ بالك.

وهل المراد بالحرف حرف المبنىٰ أو حرف المعنىٰ؟

هذا فيه خلاف بين أهلِ العلمِ، والأثر المترتِّب علىٰ هذا الخلاف كبير جدًّا؛ لأنه إذا قلنا: إن المراد بالحرفِ حرف المبنىٰ، فالختمة الواحدة سيكون فيها أكثر من ثلاثة ملايين حسنة. وإذا قلنا: إن المراد حرف المعنىٰ، فلن يثبت من الأجر إلا أقل من الربع، يعني: سبعمائة ألف حسنة تقريبًا.

وكثير من أهل العلم يرجِّح حرف المبنىٰ، وهذا الذي يتمنَّاه كل قارئ للقرآن؛ لتكثر حسناته.

ومنهم من يقول: إن المراد بالحرف حرف المعنىٰ، وشيخ الإسلام يميل إلىٰ ذلك، وكلامه يُومئ ويُرشد إليه[(٢)]، وابن الجزري[(٣)] في «النشر» أيضًا كأنه يميل إليه[(٤)]، بدليل الحديث المتقدم فالنبي ﷺ ذكَرَ فيه أن «ألم» ثلاثة حروف، لكن لو نظرنا إليها من حيث المبنىٰ، لوجدناها تسعة حروف؛

(١) أخرجه أحمد (١٠٧٦٠)، والبزار (٩٥٢٥)، والبيهقي في الزهد (٧١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ؛ لابن تيمية ١٢/ ١٠٧.

(٣) هو: أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف شمس الدين ابن الجزري، المقرئ، الحافظ شيخ الإقراء في زمانه، كان إمامًا في القراءات لا نظير له، حافظًا للحديث وغيره. توفي سنة ٨٣٣هـ. له تصانيف منها: «النشر في القراءات العشر»، «الحصن الحصين»، «المقدمة الجزرية». ينظر: طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٦٤، والأعلام؛ للزركلي ٧/ ٤٥.

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري ٢/ ٤٥٤.

فـ(ألف) فيها الهمزة واللام والفاء، و(لام) فيها اللام والألف والميم، و(ميم) فيها الميم والياء والميم، فهي من حيث المعنىٰ ثلاثة حروف، ومن حيث المبنىٰ تسعة حروف؛ ولذلك هناك فرق بين أن تقول: ﴿الٓمٓ﴾ المقطعة التي في أوائل السور، و«ألم» في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] فـ ﴿أَلَمْ﴾ ثلاثة حروف مبنىٰ، لكنها في حروف المعاني اثنان: همزة الاستفهام، «لم» النافية.

والترجيح في مثل هذا فيه صعوبة؛ لأن الحرف يُطلق علىٰ هذا وذاك علىٰ حد سواء، لكن ثقتنا بفضلِ الله ﷻ وَجُودِه وكرمِه أعظم من ثقتنا بعلم شيخِ الإسلامِ، ولا نستطيع أن نقول أكثر من هذا، فعلىٰ الإنسان أن يستكثر، وأجره علىٰ الله ﷻ، والأمر لا يتوقف فقط علىٰ عدد الحروف، بل أيضًا علىٰ القدر الذي يقر في قلبِ الإنسانِ من تعظيمٍ لكلام الله تعالىٰ، ومن تدبُّرٍ وترتيلٍ وفهمٍ واعتبارٍ، وهذا قد يضاعف الأجر إلىٰ سبعمائة ضعف، وإلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ.

وعند جمع من أهل العلم أن أجرَ الحروف يثبت بمجرَّد القراءة؛ ولذا يُرجح بعضهم السرعة في القراءة؛ كسبًا لأجرِ الحروفِ، وهذا قول معروف عند الشافعية. ومنهم من يقول: إن القراءة علىٰ الوجه المأمور به أعظم أجرًا من السرعة، ولو قلَّتِ الحروف[1]، كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وبالتدبر والترتيل**»، فإذا قرأت في ساعة جزءًا واحدًا بالتدبر والترتيل فالجمهور علىٰ أن ذلك

(١) ينظر: زاد المعاد؛ لابن القيم ١/ ٣٢٧، ٣٢٨.

أفضل وأعظم أجرًا ممن قرأ في الساعة خمسة أجزاء بالهذِّ[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فتدبَّر القرآن إن رُمت الهدىٰ فالعلمُ تحت تدبُّر القرآنِ[٢]

ولذا يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «قراءة القرآن علىٰ الوجهِ المأمورِ به تورث القلب الإيمانَ العظيمَ، وتزيده يقينًا وطمأنينة وشفاء»[٣]. وهذا لا يُدركه من لا يلتزم بهذا الفعل.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في أول فائدة من كتاب «الفوائد» قاعدةً جليلةً في فائدة تدبُّر وفهم القرآن من خلال سورة «ق»[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الهدي»: «والصواب في المسألة أن يُقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبُّر أجل وأرفع قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا، فالأول: كمن تصدق بجوهرةٍ عظيمةٍ، أو أعتق عبدًا قيمته نفيسة جدًّا، والثاني: كمن تصدَّق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة»[٥].

---

(١) هذَّ القرآنَ: أسرَع في قراءته. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة: هذذ).

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٤٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ؛ لابن تيمية ٧/ ٢٨٣.

(٤) قال في الفوائد (ص: ٧): «قاعدة جليلة: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك علىٰ لسان رسوله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]...».

(٥) زاد المعاد ١/ ٣٢٨.

وقد صرَّح بعض أهل العلم بذمِّ مَن يقرأ القرآن دون فقه وتعقل، وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره ذم هذه الطريقةِ[(١)]؛ لأنها تخالف التدبُّر والترتيل المأمور بهما، فقد جاء الحثُّ على التدبُّر في أربعة مواضع من القرآن؛ جاء في سورة «النساء»[(٢)]، وفي سورة «المؤمنون»[(٣)]، وفي سورة «ص»[(٤)] وفي سورة «محمد»[(٥)]، وجاء الأمر بالترتيل في سورة «المزمل»[(٦)]، وجاء أيضًا في نصوص أخرى من السنة.

وقد عُرف من المتقدِّمين من ينوِّع في القراءة، فقد يختم القرآن كلَّ يوم لتحصيل أجر الحروف، ويقرأ قراءة أخرى بالتدبُّر يمكث فيها أكثر من عشرين سنة، فيتدبَّر كل يوم آية، يُراجع عليها كلَّ التفاسير.

والمقصود أن الوجه المأمور به في قراءة القرآن هو قراءته بالتدبُّر والترتيل، وأما من اعتاد السرعة والهذَّ، وحاول مرارًا أن يتدبَّر ويرتِّل وعجز، فهذا خير علاج له أن يستمع إلى القراءات المؤثِّرة من القرَّاء المعروفين

(١) ذكر الغافقي في لمحات الأنوار، باب ما جاء في صفة قراءة القرآن (٥٠٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: «أعطوا كل سورة حظَّها من الركوع والسجود، ولا تنثروا القرآن نثر الدَّقل، ولا تهذُّوه هذَّ الشِّعر، وإذا مررتم بذكر الجنة، فاسألوا الله الجنة، وإذا مررتم بذكر النار، فاستعيذوا بالله منها، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب».

(٢) قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

(٣) قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

(٤) قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

(٥) قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

(٦) قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزَّمل: ٤].

بصلاحهم، وأن يجاهد نفسه في التدبُّر والترتيل، والمستمع للقرآن أجره عظيم، ويشترك مع القارئ في الأجر؛ إلا أن أجر معاناة القراءة يختصُّ به القارئ.

والعادة لا شك أنها تملك الإنسانَ، فالذي اعتاد السرعة في القرآن، إذا مرَّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] هدَّأ من سرعة قراءته، ورتَّل إلىٰ أن يُكمل السورة مثلًا، ثم مع الوقت يعود إلىٰ طريقته، وهذا نظير من تعوَّد الإسراع في السير بالسيارات مثلًا، فإذا رأىٰ حادثًا تأثر في حينه وهدَّأ من طريقة سيرِه، ثم مع الوقت يعود إلىٰ ما اعتاد عليه، فالمسألة مسألة تعود.

«**لا سيما في حِنْدِسِ الظلَمِ**»، أي: في الليل؛ لأنه أبعد عن المشاغلِ، وأفرغ للقلبِ، فالمشاغل أكثر ما تكون نهارًا، وإن كان الأمر قد انعكس في وقتنا هذا، فصار من الساعة الثامنة صباحًا تقريبًا إلىٰ أذان الظهر هو مثل حِندس الظلم في السابق، تخلو الشوارع، ولا يتصل أحد بأحد، ولا يعترض أحد علىٰ أحد.

وقد يفهم مما جاء في الحديث: «**الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصدقةِ، والمسرُّ بالقرآنِ كالمسرِّ بالصدقةِ**»[(١)]: أن المقصود كيفية الأداء، يعني: أنه مدحٌ لمن يُسرُّ بالقراءة فلا يُسمع منه حرف ولا صوت، وجاءت كيفية الأداء

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (١٣٣٣)، والترمذي وحسَّنه، كتاب فضائل القرآن (٢٩١٩)، والنسائي، كتاب الزكاة، باب المسر بالصدقة (٢٥٦١)، وأحمد (١٧٣٦٨)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠]، أي: أن التوسط هو المطلوب.

وليس هذا هو المقصود من الحديث، وإنما المقصود الاستخفاء عن الناس؛ أن يقرأ في مكان يستخفي فيه عن أعين الناس، كما يُستحبُّ أن يتصدق بالصدقة لا يعلم بها أحد، على ما جاء في حديث السبعة: «**ورجل تصدَّق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلَمَ شماله ما تنفق يَمينه**»(١).

فالمسر بالقرآن لا شك أنه أقرب إلى الإخلاص، وأدعى إلى حضورِ القلبِ، بخلاف من كانت قراءته في مجامع الناس، وإن كان يُستثنى من ذلك من يقرأ في المساجد والمواضع التي يجتمع فيها الناس؛ ليقتدي به طلاب العلم، ويقتدي به عامة الناس وأهل الغفلة، وهذا لا شك أن له من الأجر مثل أجورهم، وهذا مما قد يعرض للأمر المفضول فيجعله فاضلًا.

وبعض الطلاب يرون أن أهلَ العلم لا وقتَ عندهم لقراءة القرآن، بل ويتعجَّب بعضهم إذا جاء إلى المسجدِ ووجد الشيخ يقرَأ، وقد سمِعت من قال للشيخ وهو يقرأ القرآن: «معي كتاب وأريد أن أقرأه عليك». فقال الشيخ: «والله أنا مشغول»، فتعجب الطالب؛ كيف يكون مشغولًا وهو جالس يقرأ القرآن؟! وكأن القرآن لا نصيب له من عمر الإنسان!

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (١٤٢٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩١)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٥٣٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فطلَّاب العلم الآن يُخيل إليهم أن المشايخ لا يقرءون القرآن، وأنهم من أوَّل النهار في دوامٍ، ثم في دروسٍ واجتماعات، وهكذا إلىٰ أن ينام، وهذا ليس بصحيح، بل لهم نصيب من التعبد، من قيام ومن تلاوة، وإن كان لا يُقارن بعمل المتقدمين الذين كان ديدنهم النظر في كتاب الله ﷻ، ويوجد من شيوخنا المعاصرين الآن مَن يُضاهي المتقدمين في تلاوة القرآن، مع أنه قائم بأعمال كبيرة جدًّا، فهو يُداوم دوامًا كاملًا، ومُلتزم بدروس، وارتباطات، واجتماعات، ومع ذلك يقرأ القرآن في ثلاثٍ، لكن لا يلزم أن يكون هذا علىٰ مرأىٰ من طلَّاب العلم، وإن كان طلَّاب العلم يحتاجون إلىٰ قُدوات.

حكِّم براهينَه واعمَل بمُحكمِه (٨٨) حِلًّا وحظرًا وما قد حَدَّه أقِمِ

«**حكِّم براهينَه**»، أي: الأدلة التي تدلك علىٰ ما يطلب منك، عليك أن تحكمها في نفسك وفي غيرك.

«**واعمَل بمُحكمِه**» المحكم: الواضح البيِّن، أي: عليك أن تعمل بالنصوص المحكمة الواضحة البينة التي لا خفاء فيها، أما المتشابه، فسلِّم به ولا تَتَبَّعْهُ؛ كما يفعل أهلُ الزيغ، فتهلك.

«**حِلًّا وحظرًا وما قد حَدَّه أقِمِ**»، يعني: أقم حدوده حلالًا وحرامًا؛ لا تتهاون بالحلال، أو تتقحم الحرام.

واطلب معانيه بالنقلِ الصَّريحِ ولا (٨٩) تخُض برأيك واحذَر بطشَ منتَقمِ

«**واطلب معانيه بالنقلِ الصَّريحِ**»؛ مثل ما ذكرنا: أن التفسير ينبغي أن يكون علىٰ الجادَّة عند أهل التحقيق، فيُفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقاويل السلف من الصحابة والتابعين والأئمَّة، «**ولا تخُض برأيك**»؛ لأن التفسير بالرأي مذموم.

«**واحذَر بطشَ منتَقمِ**»؛ فقد جاء في الحديث: «**من قال في القرآنِ بغيرِ علمٍ، فليتبوَّأ مقعده من النار**» أخرجه الترمذيُّ عن ابن عباس[(١)]. وعن جندب مرفوعًا قال: «**من قال في القرآنِ برأيه فأصابَ فقد أخطأ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي وحسَّنه، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٢٩٥٠)، وأحمد (٢٠٦٩). وحسَّنه البغوي في شرح السنة (١١٧)، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٩١).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم (٣٦٥٢)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٢٩٥٢)، وقال الترمذي: «غريب، وقد تكلَّم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حازم، وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، أنهم شدَّدوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم». وقال البيهقي في المدخل (١٢٦): «وفيه نظر». ورمز له السيوطي بالحسن في الجامع الصغير (٨٩٠٠)، وقال المناوي في فيض القدير ٦/ ١٩١: «رمز المؤلف لحسنه، ولعله لاعتضاده، وإلا ففيه سهيل بن عبد الله بن أبي حازم تكلَّم فيه أحمد، والبخاري، والنسائي وغيرهم، وقال الترمذي: تكلَّم فيه بعضهم».

فما علِمت بمحضِ النقلِ منه فقل (٩٠) وكِلْ إلى اللّٰه معنى كلِّ مُنبَهِمِ

«فما علِمت بمحضِ النقلِ منه فقل»، فلا تقل برأيك المجرَّد، فلا يجوز أن يفسِّر القرآنَ مَن ليس عنده شيء من الآلة التي يجب أن تتوافر في المفسِّر، أما الذي قرأ التفاسير - تفاسير السلف، والتفاسير الأخرىٰ المتعلِّقة بفنون القرآن، من إعجاز، وإعراب، وأحكام - وعنده من العلوم ما يؤهِّله للتفسير، فهذا تتكون لديه الملكة التي يستطيع من خلالها أن يفهم القرآن، فإذا سُئل عن معنىٰ آية، استطاع أن يُجيب علىٰ الجادَّة ولو لم يستحضر ما قاله كل شخص بعينه، ولو لم يستطع أن يرد كل كلمة استفادها إلىٰ مصدرها.

ففرق شاسع بين هذا، وبين مَن لا علاقة له بالقرآن ولا بالعلم الشرعيِّ، ويخوض في التفسير فقط بفهمه ورأيه المجرَّدَينِ، وقد أتىٰ بعض المفسِّرين المعاصرين بالعجائب؛ لأنهم فسَّروا القرآن بالرأي، ولم ينطلقوا من تفاسير الأئمة.

فإدامة النظر في كلامِ أهلِ العلمِ في تفسير كلام الله ﷻ، أو في شرح كلام رسوله ﷺ، تُولد تلك الملَكة عند طالب العلم والتي يستطيع من خلالها أن يتعامل مع النصوص؛ لا سيما من كان قد أخذ من كلِّ فنٍّ بما يكفيه وما يُعينه علىٰ فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ، و«**رب مُبلغ أوعىٰ من سامع**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منىٰ (١٧٤١)، وابن ماجه (٢٣٣)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. وجاء عن ابن مسعود، وأبي الدرداء وغيرهما رضي الله عنهم.

وإن كان الأحوط في حقِّه أن يقول: لعل المراد كذا؛ لأن الإتيان بحرف الترجِّي يُخرج من العهدة؛ فالنبي ﷺ لما ذكر السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، نهض فدخل منزله ولم يبين صفتهم، فمن الصحابة من قال: «لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ». ومنهم من قال: «لعلهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله»، وذكروا أشياء، فخرج عليهم النبي ﷺ فلم يُثرب[(١)] عليهم[(٢)]؛ لأن الإشكال في الجزم بمراد الله ﷻ، وأما الإتيانُ بحرف الترجي، فلا يعني الجزم.

والمقصود أنه يُفرَّق بين مَن له عناية بكتاب الله ﷻ، وقد تكونت لديه الأهلية من خلال الخبرة والدُّربة، والممارسة لكلام الأئمَّة، وبين شخص ليس له أدنىٰ ارتباط بكلام الأئمَّة.

«**وكِلْ إلىٰ الله معنىٰ كلِّ مُنبَهِمِ**»، يعني: فوِّض الأمر لله ﷻ، ولا تخُضْ في الأمورِ المنبهمةِ المستغلقةِ التي لا تستطيع أن تُدرك كُنْهَهَا ومداها، فهذا اتركه ولا تقل فيه برأيك: «**من قال في القرآنِ بغيرِ علمٍ، فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»[(٣)]. وفي رواية «**برأيه**»[(٤)].

---

(١) أي: لم يوبِّخهم ولم يقرعهم. ينظر: النهاية ١/ ٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره، وفضل من لم يكتو (٥٧٠٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠)، والترمذي (٢٤٤٦)، وقال: «حسن صحيح»، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

ثم المِرا فيه كفرٌ فاحذَرَنْه ولا (٩١) يستهوينَّك أقوامٌ بزَيغهم

«ثم المِرا فيه كفرٌ فاحذَرَنْه»، وهذا قد جاء في الحديث؛ حيث قال ﷺ: «**المراء في القرآن كفر**»، خرَّجه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة[١]، والمراد بـ«المراء»: إما الامتراء، وهو: الشك، والقرآن لا ريب فيه ولا شك ولا ارتياب، أو المراد به: الجدال العقيم الذي غرض كل طرف فيه الاستعلاءُ ولو حصل بِلَيِّ معاني الأدلة، ورفضها، مما يُوصل في نهايته إلىٰ جَحد ما أثبته الله ﷻ في كتابه.

«ولا يستهوينَّك أقوامٌ بزَيغهم»، أهل الزيغ الذين يتتبَّعون المتشابه، أو الذين أشار إليهم فيما تقدم بقوله: «**دع عنك ما قاله العصري منتحلًا**»؛ فبعض المعاصرين قد أعمَلَ رأيَهُ في النصوص، فصار يضرب يمينًا وشمالًا، ويتخبَّط في كلام الله ﷻ بغير علمٍ، ولا يصيب المراد، وكلامه قد يستهوي السامع، كأن يكون لديه من البيان ومن البلاغة ما يستطيع به سبك الكلام وضبطه، فالقارئ يستهويه مثل هذا الكلام، وإن كان في الحقيقة زائغًا.

وعن مناهيه كُن يا صاح منزجرًا (٩٢) والأمرُ منه بلا تَرداد فالتَزِم

«وعن مناهيه كُن يا صاح منزجرًا»، يعني: يا صاحبي، حذفت منه ياء المتكلم جوازًا، ثم رُخِّم، فحُذفت منه الباء التي هي آخر الكلمة؛ للترخيم.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن (٤٦٠٣)، وأحمد (٩٤٧٩)، وصحَّحه ابن حبان (١٤٦٤)، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم (٢٩٢٢).

«والأمرُ منه بلا تَرداد فالتَزِم»، أي: امتثل الأمر بدون تردُّد، واجتنب النهي بدون خِيَرة، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره: «إذا سمعت الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤] فأرعها سمعك؛ فإنه خير يُؤمر به، أو شر يُنهىٰ عنه»[(١)]؛ وحينئذٍ لا تتردد في الامتثالِ.

وما تشابَه فوِّض للإله ولا (٩٣) تخُض فخوضُك فيه موجبُ النِّقمِ

فالمتشابه لا يعلمه إلا الله، فلا تُتعب نفسك في محاولة إدراكه.

وقد اختلف أهل العلم: في هل الراسخون في العلم يعلمون المتشابه أو لا يعلمونه؟ وهذا يتبع الوقف في ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] وهل الواو في ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ [آل عمران: ٧] عاطفة أو استئنافية؟

فالذي يقول: عاطفة، يقول: إن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه.

والذي يقول: استئنافية، يقول: إن المتشابه لا يعلمه إلا الله جل جلاله، والراسخون في العلم دورهم فقط أن يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[(٢)].

وعلى كل حال، فالتشابه والإحكام أمور نسبية، فلينظر المرءُ في أقوال أهل العلم عن مُراد الله سبحانه وتعالى في الآية، فإذا استُغلقت عليه، ولم يستطع الوصول

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ١٣٠.

(٢) قد ذكر القولين وفصَّل من قال بهما: الطبري في التفسير ٥/ ٢١٧- ٢٢٠، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٢٦٠، ٢٦١.

إلىٰ قول راجحٍ صائبٍ فيها، صارت بالنسبة له من المتشابه، وإذا بان له معناها من خلالِ كلامِ أهلِ العلمِ صارت من المحكمِ.

ولا تُطع قولَ ذي زَيغ يُزخرفه (٩٤) من كلِّ مبتدعٍ في الدِّين متَّهمِ

فالبدع لها بريق، ولها نفوذ إلىٰ القلوب، وأهل البدع قد أُعطي كثير منهم من الذكاء ما يستطيع به الولوجَ إلىٰ القلوب، لكنه لم يعطَ من الزكاء ما يُفرق به بين الحقِّ والباطل، فإذا قرأتَ كلامَ أهلِ الكلامِ انبهرتَ، لكن إذا عرَضتَهُ علىٰ ميزانِ الكتابِ والسنةِ لما وجدتَه شيئًا، بل تجد في نهايته الضلال المبين، حتىٰ إن هؤلاء المتكلِّمين رجع كثيرٌ منهم وندم عند موته[١].

حَيران ضلَّ عن الحقِّ المبينِ فلا (٩٥) ينفكُّ منحرفًا مُعوج لم يَقُمِ

أو: «لم يُقِم»؛ فالمعوج يحتاج إلىٰ إقامة، ويحتاج إلىٰ استقامة، لكن اتباعه للمُتشابه، وانصرافه عن نصوص الوحيين المحكمة، وعنايته وطلبه الحق من غيرهما، يجعله يصل إلىٰ حد الحيرة، وكثير منهم قد أعلن الحيرة في آخر حياته.

(١) كما في وصية الفخر الرازي التي ذكرها السبكي في طبقات الشافعية ٨/ ٩١، وفيها: «ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن». وقد اختلف نص هذه الوصية الذي ذكره السبكي عما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١٧/ ١٣، ١٤، والذهبي في السير ٢١/ ٥٠١؛ ففيهما: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن». وقال ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٣٥٠: «جاء عن إمام الحرمين أنه قال: ركبت البحر الأعظم، وغُصت في كل شيء نهىٰ عنه أهل العلم في طلب الحقِّ فرارًا من التقليد، والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف».

هـو الكتـابُ الـذي مـن قـامَ يقـرَؤه (٩٦) كأنمـا خاطَـب الـرَّحمنَ بـالكلمِ

فكأنك عندما تقرأ القرآن تخاطب الرحمن؛ لأنه كلامه، يعني: أنه إذا أرسل لك شخصٌ رسالة خطية، ووجهها إليك، فهو يخاطبك بهذا الكلام، فالله ﷻ يخاطبك بكلامه وبكتابه، وأنت تقرأ كلام الله بدون واسطة منه إليك، لكننا - مع الأسف - لا نُقيم وزنًا لهذا الكلام، فنقرؤه ولا نتأثر به، ولا يحرك فينا ساكنًا، فلا فرق بين أن نقرأ سورة «هود» أو أي سورة أخرىٰ من القرآن، أو حتىٰ مقالًا في جريدة، أي: نقرأ القرآن وكأنه لا يعنينا.

ولو ضربنا مثالًا فقلنا: لو أن نظامًا جديدًا قد أرسل إلىٰ الجهات الرسمية للعمل بموجبه، فلو استلمه مدير هذه الجهة في آخر الدوام فلن يتركه للغد، بل سيفتحه مباشرة ويتأمله حرفًا حرفًا؛ لأنه قد جاء من الجهات العليا، وسيبدأ من الغد مباشرة بجمع الوكلاء ورؤساء الأقسام ليقرأه عليهم ويتدارسوه فيما بينهم، فإن فهموه فبها، وإلا طلبوا اللوائح التفسيرية. هذا هو الواقع، ولكن هل نصنع مع كتاب الله ﷻ - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - مثل ما نصنع مع أنظمة مخلوقين؟!

هو الصِّـراط هو الحبلُ المتينُ هو الـ (٩٧) ميـزانُ والعـروةُ الـوُثقى لمعتَصـمِ

«هو الصِّراط»، القرآن هو الصراط المستقيم، فإذا امتثلت القرآن فأنت علىٰ الجادة، و"المستقيم" هو أقرب طريق يصل بين نقطتين، يعني: فبدلًا من

أن تذهب يمينًا وشمالًا في طلَبِ مرضاة الله ﷻ، فأقرب طريق يوصل إلىٰ الله ﷻ هو الصراط المستقيم، وهو القرآن.

«هو الحبلُ» الذي من تمسك به، فلن يضِلَّ، «المتينُ»، الذي لا يُقطع.

«هو الميزانُ» الذي تُوزن به الأعمال بدقَّة، ولما كانت الموازين شرعيةً كانت الرفعة لأهل الدين، وأهل الفضل، وأهل الخير، ولما اختلت الموازين اختلت النتائج؛ تبعًا لها، فرُفع الأسافل، ووُضع الأعالي، والله المستعان!

«والعروةُ الوُثقىٰ لمعتَصمِ»، إن الاعتصام به مع السنة، لهو الكفيل بالثبات للإنسان علىٰ الجادَّة.

هو البيانُ هو الذِّكر الحكيم هو التْـ (٩٨) تَفصيلُ فاقْنَع به في كلِّ مُنبهِمِ

فإذا وجدنا في كتاب الله إجمالًا، طلبنا البيان في موضع آخر من القرآن، فإن لم نجد، فمن سنة النبي ﷺ التي وظيفتها بيان ما جاء عن الله ﷻ.

هو البصائرُ والذِّكرى لمدَّكر (٩٩) هو المواعظُ والبُشرى لغير عَمي

فهو الذكرىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾، لكن لمَن؟ والجواب في تتمة الآية: ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

هــو المنــزَّل نــورًا بينًــا وهــدًى (١٠٠) وهو الشِّفاء لما في القلبِ من سَقَمِ

قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤].

لكنَّــه لأولي الإيمــانِ إذ عمِلــوا (١٠١) بمـا أتى فيـه مـن علـمٍ ومـن حِكَـمِ

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فُصِّلَت: ٤٤].

أما على مَن تـولَّى عنـه فهـو عمًـى (١٠٢) لكونـه عـن هُـداه المستنيرِ عَمِـي

إن الذي يعمىٰ عن القرآن سيحشر يوم القيامة أعمىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، يعني: وإن كان مبصرًا في الدنيا؛ لأنه أعرض عن القرآن وعمي عنه، كما أن من حارب الله ﷻ بالربا يُبعث يوم القيامة مجنونًا، كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

فمَـن يُقمـه يكـن يـومَ المَعـاد لـه (١٠٣) خـيرَ الإمـامِ إلى الفِـردوسِ والـنِّعمِ

أي: يكنِ القرآن قائدًا له إلىٰ الفردوس وجنات النعيم.

كما يَسوق أولي الإعراضِ عنه إلى (١٠٤) دارِ المقامعِ والأنكالِ والألمِ

فإما أن يكون القرآن سائقًا وقائدًا إلىٰ جنات النعيم، أو يتبع المُعرِض عنه فيزجُّ في قفاه إلىٰ النار.

وقد أتى النصُّ في الطُّولَين أنهما (١٠٥) ظلٌّ لتاليهما في موقفِ الغَمَمِ

أخرج الإمام مسلم، وأحمد، من حديث أبي أمامة الباهلي[١] رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان[٢]، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»[٣].

(١) هو: صُدَي بْن عجلان بن الحارث، ويقال ابن وهب، ويقال ابن عمرو بن وهب بن عريب بن وهب بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك بن أعصر الباهليّ، سكن مصر، ثم انتقل منها إِلَىٰ حمص فسكنها، ومات بها، وَكَانَ من المكثرين فِي الرواية عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ، وأكثر حديثه عند الشاميين، مات سنة (٨٦هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٦٠٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٣٤٠.

(٢) مثنىٰ غياية، وهي: كل شَيْء أظل الْإِنْسَان فَوق رَأسه مثل السحابة والغبرة والظل وَنَحْوه. غريب الحديث للقاسم بن سلام ١/ ٩٣،و النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير ٣/ ٤٠٣، وفيض القدير؛ للمناوي ٢/ ٦٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٥)، وأحمد (١٧٦٣٧).

وجاء عند مسلم والترمذي، من حديث النوَّاس بن سمعان[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتىٰ بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران**» الحديث[٢].

وأنَّــه في غــدٍ يــأتي لصــاحِبه (١٠٦) مبشــرًا وحَجيجًــا عنــه إن يَقُــم

أي: إن يقم بحدوده، أو إن يَقُمْ به ولم ينم عنه، فهو يأتي حجيجًا عنه ومخاصمًا يوم القيامة، وكما جاء في سورتي البقرة وآل عمران أنهما تحاجان عن صاحبهما، والقرآن إما حجة لك أو حجة عليك[٣].

والملــكَ والخلــدَ يُعطيــه ويُلبســه (١٠٧) تــاجَ الوقــارِ الإلــه الحــقُّ ذو الكــرمِ

أي: يُلبسه الله تاج الوقار، كما أن الوالدين يُكسوان حُلتين علىٰ ما سيأتي بيانه.

---

(١) هو: النوَّاس بن سَمعان الكلابي، ويُقال: الأنصارِي. قال بعضهم: هو ابن سمعان بن خالد بن عَبد الله بن أبي بكر بن كلاب. له ولأبيه صحبة. روىٰ عنه: أبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير الحضرمي. ينظر: الإصابة (٨٨٦١)، التهذيب (٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، (٨٠٥)، والترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة آل عمران (٢٨٨٣).

(٣) إشارة إلىٰ ما أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٢٣)، والترمذي وصحَّحه (٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٢٨٠)، من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

يقال: اقرأ ورتِّل وارق في غرفِ الـ (١٠٨) جنَّـات كي تنتهـي للمَنـزلِ الـنَّعِمِ

أي: المنزل الذي فيه النعيم المقيم، كما جاء في الحديث: «**يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنَّة: اقرأ واصعَد، فيقرأ ويصعد بكلِّ آيةٍ درجةً، حتىٰ يقرأ آخرَ شيء معه**»(١). وجاء أيضًا: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتِّل، كما كنت ترتِّل في دار الدنيا، فإن منزلَتك عند آخر آيةٍ تقرؤها**»(٢). فالذي معه من القرآن الكثير يستمر يقرأ ويرقىٰ ويرتِّل، كما كان يرتِّل في الدنيا، والذي لا يكون عنده إلا شيء يسير، ينتهي ما عنده في مدة يسيرة، فلا يستمرُّ صعوده، وقد جاء في الحديث عند أحمد والدارميِّ: «**اقرأ واصعَد في درَج الجنة وغرفها، فهو في صعودٍ ما دام يقرأ، هذًّا كان أو ترتيلًا**»(٣).

وظاهر النصوص أن الذي يُقال له: اقرأ وارق ورتل هو الحافظ، أما من كانت له عناية بالقرآن، وحاول حفظه وعجز، فلا شك أن فضل الله ﷻ لن يقصر دونه، لكن عليه أن يبذلَ السَّبب.

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن (٣٧٨٠)، وأحمد (١١٣٦٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (١٢٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة (١٤٦٤)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن (٢٩١٤)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٦٧٩٩)، وصحَّحه ابن حبان (٧٦٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٥٠)، والدارمي (٣٤٣٤)، من حديث بريدة رضي الله عنه، وحسَّنه البغوي في شرح السنة (١١٩٠)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٥٩٥٢)، وابن حجر في المطالب (٣٤٧٨).

وحلَّتان من الفردوسِ قد كُسيت (١٠٩) لوالدَيه لها الأكوانُ لم تَقُمِ

يعني: أن الوالدَينِ إذا حَرَصَا علىٰ تحفيظ ولدهما القرآن الكريم، فإنهما يكسيان يوم القيامة حلَّتين من الفردوس، وهذا إذا سعيا في حفظِه للقرآن، ولا شك أن الله ﷻ لا يُخيب الآمال، ولا يُضيع الأعمال؛ لأن بعض الناس يحرص أشدَّ الحرص، ويبذُل جميع الأسباب من أجلِ أن يحفظَ ولده القرآن ولا يتم له ذلك، فله أجر المجاهدة، وبعض الناس بالعكس يكون مهملًا لأولاده، ومع ذلك يرزقهم الله حفظ كتابه.

وقد حدَّثني أحدهم بنفسه قائلًا: «والله، ما علمت أن الأولاد يحفظون القرآن حتىٰ دُعيتُ إلىٰ الحفل وكُرمتُ». وقد كان من بين الحفَظة اثنان من أولادِه.

وعلى كلِّ حال فضل الله لا يُحد، فالذي بذل وعجز فـ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والذي لا يبذل لا يستحقُّ، والنتائج بيد الله ﷻ.

قالا: بماذا كُسيناها؟ فقيل: بما (١١٠) أقرأتما ابنكما فاشكُر لذي النِّعَمِ

جاء في الحديث: «**إذا مات الإنسانُ انقَطع عملُه إلا من ثلاثة**» ومنها: «**أو ولَد صالح يَدعو له**»[(١)] فوصف الصلاح في الولد مظنة أن تُجاب دعوته،

(١) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي وقال: «حسن صحيح» (١٣٧٦)، والنسائي (٣٦٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ما لم يكن ثَم مانع من قبل الوالد؛ ولذا جاء في قول الله ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]، يعني لهذه العلَّة، لكن إذا كان الوالدُ ما ربَّاه صغيرًا، بل أهمله وضيَّعه، وخان الأمانة فيه، فلا يستحق مثل هذه الدعوة، وإن وُجد السبب بدعوة الولد، فالمانع من قبل الأب قد يُحول دون الاستجابة، فهناك أسباب وهناك موانع.

كفى وحسبُك بالقرآنِ معجزةً (١١١) دامت لدينا دوامًا غير مُنصرمِ

«كفىٰ وحسبُك بالقرآنِ معجزةً»، والقرآن إعجازٌ بجميع نواحيه؛ إعجاز بنظمه، وإعجاز بحِكَمِهِ، وإعجاز بأحكامه، وإعجاز بقَصَصه، فهو معجز من كلِّ وجه. والإعجاز في القرآن أمرٌ أذعن له كلُّ فصيح، وطأطأ رأسه أمامه كل بليغ.

والعرب عُرفوا بالبلاغة والفصاحة، وقد تحداهم الله ﷻ أن يأتوا بمثله فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]. ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور، فقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [هود: ١٣]، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]. فما استطاعوا وأعلنوا العجز، ولو كان بمقدورهم مجتمعين أن يأتوا بمثله لما ادخروا وسعًا؛ فالإنسان في موضع التحدي - لا سيما مع مبغضه - يبذل كل ما في وسعه.

والقرآن هو معجزةُ النبي ﷺ الخالدة، الدائمة المستمرَّة إلىٰ قيام الساعة، وهو المناسب لنبوَّته التي لها البقاء إلىٰ يوم القيامة، فالأنبياء لهم معجزات تُناسب أوقاتهم وعصورهم، وتنقضي بانقضاء أدوارهم، ولكن لما كانت رسالة النبي ﷺ إلىٰ الناس أجمعين، خالدةً إلىٰ قيام الساعة، صارت المعجزة الكبرىٰ - هذا القرآن الكريم الخالد - إلىٰ أن يُرفع في آخر الزمان.

والله ﷻ قد تحدَّىٰ بالقرآن، وبعشر سور، وبسورة، لكنه لم يتحدَّ بآية؛ لأن الآية منها القصيرة جدًّا؛ كقوله: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدَّثر: ٢١] وكقوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] والعربي لا يعجز أن يقول الكلمة والكلمتين؛ فلم يقع التحدي بآية، مع أن هذه الكلمات في موضعها لا يُمكن أن يقوم غيرُها مقامَها، فهي معجزةٌ من هذه الحيثيَّة.

وكل من حاول معارضة القرآن والإتيان بمثله، أتىٰ بما يضحك منه الصِّبيان، ومما يدل علىٰ ذلك أن ما يؤثَر عن مسيلمة[١] في هذا الشأن شيء لا يقوله حتىٰ المجانين[٢]. ويُذكر عن أبي العلاء المعَرِّي[٣] - وهو ملحد

(١) هو الكذَّاب أبو ثمامة مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي - نسبة إلىٰ وادي حنيفة - الوائلي، وُلد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة في نجد، عُرف في الجاهلية برحمان اليمامة، ادعىٰ أنه قد أُشرك في النبوة، وأكثر من وضع أسجاع يُضاهي بها القرآن، وفي الأمثال: «أكذب من مسيلمة». توفي سنة ١٢هـ. ينظر: الأعلام؛ للزركلي ٧/ ٢٢٦.

(٢) قد ذكر بعض أقواله الطبري في التاريخ ٣/ ٢٨٤، ومنها: «يا ضفدع ابنة ضفدع، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين».

(٣) هو: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، من أهل معرَّة النعمان من بلاد الشام، كان عالمًا باللغة، حاذقًا بالنحو، جيد الشعر، جزل الكلام، متهمًا في عقيدته. كان قد أصيب بالعمىٰ =

معروف - أنه ألف كتابًا أسماه: «الفصول والغايات في معارضة الآيات»، وهو كتاب مطبوع، لكنه عُدل اسمه إلىٰ «الفصول والغايات في مواعظ البريات»، قالوا: إنه أراد أن يعارض به القرآن. وعلىٰ كل حال فمن قرأ الكتاب يجزم بأنه ليس في مقدورِ أبرعِ الناسِ وأفصحهم معارضةُ شيءٍ يسيرٍ من القرآن الكريم.

«دامت لدينا دوامًا غير مُنصرمِ»، فالتحدي قائم إلىٰ الآن.

لم يَعْترِهْ قطُّ تبديلٌ ولا غِيَرٌ (١١٢) وجلَّ في كثرةِ التَّرْدادِ عن سأمِ

«لم يَعْتَرِهْ قطُّ تبديلٌ»، فالقرآن محفوظ عن التبديل والتحريف والزيادة والنقصان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

«ولا غِيَرٌ»، فما غُيِّر، كما حصل للكتب السابقة؛ لأنهم استُحفظوا فلم يحفظوا، وكتابنا تولىٰ الله ﷻ حفظه، وقد ذكر الحافظ البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ عن يحيىٰ بن أكثم[1]: «أن يهوديًّا دخل مجلسَ المأمون، فتكلَّم فأحسن الكلامَ،

= في صغره؛ لإصابته بمرض الجدري. توفي سنة ٤٤٩هـ. له تصانيف منها: «رسالة الغفران»، و«ديوان سقط الزند»، و«لزوم ما لا يلزم». ينظر: معجم الأدباء؛ لشهاب الدين الرومي ١/ ٢٩٥، وسير أعلام النبلاء؛ للذهبي ١٨/ ٤٣.

(١) هو: أبو محمد يحيىٰ بن أكثم بن محمد بن قطن المروزي. سمع عبد الله بن المبارك، والفضل بن موسىٰ السيناني، وحفص بن عبد الرحمن النيسابوري، وغيرهم. روىٰ عنه: محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو حاتم الرازي، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وغيرهم. كان عالمًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، وولاه المأمون القضاء ببغداد. توفي سنة ٢٤٢هـ. ينظر: تاريخ بغداد؛ لابن النجار ١٦/ ٢٨٢، تهذيب الكمال؛ للمري ٣١/ ٢٠٧.

فدعاه المأمون إلىٰ الإسلامِ ووعَده فلم يُسلم، فلما كان بعد سنة جاء مسلمًا، فدعاه المأمون وسأله عن سببِ إسلامِه، فقال: انصرَفت من حضرتك فأحبَبت أن أمتحنَ هذه الأديان، وأنا مع ما تراني حسنُ الخط، فعمَدت إلىٰ التوراة فكتبت ثلاث نسخ، فزِدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتُريت مني، وعَمدت إلىٰ الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزِدت فيها ونقصت، وأدخلتها البِيعة[1] فاشتريت مني، وعمَدت إلىٰ القرآن فعملت ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلىٰ الورَّاقين، فتصفَّحوها، فلما أن وجدوا فيها الزِّيادة والنقصان، رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظٌ، فكان هذا سببَ إسلامي. قال يحيىٰ بن أكثم: فحجَجت في تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الحديثَ، فقال لي: مِصداق هذا في كتاب الله ﷻ. قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله ﷻ في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فجعل حفظَه إليهم فضاع، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحِجر: ٩]، فحَفظه الله ﷻ علينا فلم يضع»[2].

«وجلَّ في كثرةِ التَّردادِ عن سأمِ»، يعني: فأهل القرآن - الذين لهم عناية بتلاوته - منهم من يختم كلَّ يوم، ومنهم من يختم كلَّ ثلاثٍ، ومنهم من يختم كلَّ سبعٍ، فالذي يختم كلَّ يوم يقرأ القرآن في العام ثلاثمائة وخمسين مرة،

(١) البِيعة: معبد النصارىٰ. المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة: بيع).

(٢) دلائل النبوة؛ للبيهقي ٧/ ١٥٩، ١٦٠.

والذي يختم في ثلاث يقرؤه في العام أكثر من مائة وعشرين مرة، والذي يختم كل سبع يقرؤه خمسين مرة، ومع ذلك كلما قرأه، فكأنه يقرؤه جديدًا، وقد جاء في الخبر: «**لا يخلَق**»، يعني: لا يقدُم كالثوبِ الخَلَقِ البالي الذي يُمل «**على كثرة الردِّ**»[1]. أما كلام البشر فقد تتلذَّذ به أول مرة، ثم تقرؤه ثانية فتستفيد منه، ثم في الثالثة تمله؛ فلا يمكن غالبًا أن تقرأه الرابعة.

مهيمنًا عربيًّا غيرَ ذي عوجٍ (١١٣) مصدقًا جاء في التَّنزيل في القِدَمِ

«**مهيمنًا**» على جميعِ الكتبِ السابقةِ، وهو محتوٍ ومشتملٌ على جميع ما فيها.

«**عربيًّا غيرَ ذي عوجٍ**» بلسان عربيٍّ مبين غير ذي عوج.

«**مصدقًا جاء في التَّنزيل في القِدَمِ**»، يعني: تُصدقه جميع الكتب السماوية.

فيه التَّفاصيل للأحكامِ مع نبأ (١١٤) عما سيأتي وعن ماضٍ من الأممِ

«**فيه التَّفاصيل للأحكامِ**»، فالأحكام مفصَّلة في القرآن تفصيلًا نسبيًّا، وإن كان في بعضها شيء من الإجمال، فيجيء بيانه في الوحي الثاني وهو السنة،

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن (٢٩٠٦)، والدارمي (٣٣٧٤)، من حديث علي رضي الله عنه. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال».

ولا أدلَّ علىٰ هذا التفصيل وعلىٰ عنايةِ القرآنِ بالأحكامِ من الكتبِ الكثيرةِ التي أُلفت في تفسيرِ آياتِ الأحكامِ، والتي بلغ بعضها عشرين مجلدًا، كـ«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبيِّ[1].

«مع نبأ عما سيأتي وعن ماضٍ من الأممِ»، يعني: من أخبار الأمم السابقة، وأخبار ما سيأتي.

فانظُر قوارعَ آياتِ المعادِ به (١١٥) وانظر لما قصَّ عن عادٍ وعن إرَمِ

«فانظُر قوارعَ آياتِ المعادِ به»، يعني: ما يكون في الآخرة، فالقوارع التي تقرع القلوب بأهوالها، مما يقصه الله ﷻ مما يحصل في يوم القيامة، «وانظر لما قصَّ» عن الأمم السابقة؛ «عن عادٍ وعن إرَمٍ».

وانظر به شرحَ أحكامِ الشريعةِ هل (١١٦) ترى بها من عويصٍ غيرِ مُنفصمِ

الظاهر: أنه «من عويص غير منفهم»، وكأن هذا أقرب، فالعويص: المستغلق الذي لا يُفهم، يعني: هل أشكلت آيات الأحكام علىٰ أهلِ العلمِ؟ هل وقفوا أمامها حائرين؟ أبدًا، بل تكلَّموا فيها، وإن اختَلفت فهومهم، لكنهم فهموها.

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي القرطبي، إمام متفنِّن متبحِّر في العلم. توفي سنة ٦٧١هـ. له تصانيف منها: «التذكرة بأمور الآخرة»، و«الأسنىٰ في أسماء الله الحسنىٰ»، و«التذكار في أفضل الأذكار». ينظر: الوافي بالوفيات؛ للصفدي ٢/ ٨٧، والديباج المذهب؛ لابن فرحون ٢/ ٣٠٨.

أم من صلاحٍ ولم يهدِ الأنامَ له (١١٧) أم باب هُلك ولم يزجُر ولم يَلُمِ

«أم من صلاحٍ ولم يهدِ الأنامَ له» فلا خير إلا وقد دلَّ الأمة عليه.

«أم باب هُلك ولم يزجُر ولم يَلُمِ»، وهذا في القرآن واضح، فأبواب الخير قد دلَّ الناس وأرشدهم إليها، وأبواب الشر أوصدها، وزجر عنها.

أم كان يُغني نقيرًا عن هدايته (١١٨) جميع ما عند أهلِ الأرضِ من نظمِ

«من نَظَمِ» أو «من نُظُمِ»، إما ما نظَمه البشر في كلامِهم ومؤلَّفاتهم المنظومة والمنثورة، أو من نُظم تُفرض على الناس وتُسن عليهم، فهذه لا تغني نقيرًا عما جاء في القرآنِ.

أخبارُه عظةٌ أمثالُه عِبر (١١٩) وكلُّه عجبٌ سحقًا لذي صمَمِ

يعني: مَن صمَّ أذنيه عن سماعِ القرآنِ وعن فهمِه فبعدًا له.

لم تلبَث الجنُّ إذ أصغَت لتسمَعَه (١٢٠) أن بادروا نُذرًا منهم لقومِهِم

يعني: ما جاء في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

اللهُ أكبر ما قد حازَ من عبرٍ (١٢١) ومن بيانٍ وإعجازٍ ومن حكمِ

«**الله أكبر**» تعجب واستعظام، «**ما قد حازَ من عبرٍ ومن بيانٍ وإعجازٍ ومن حكمِ**»، أي: ما قد حاز القرآن من عبرٍ وعظاتٍ، ومن بيانٍ وبلاغةٍ وإعجازٍ، ومن حِكَمٍ وأحكامٍ.

واللهِ أكبر إذ أعْيَت بلاغتُه (١٢٢) وحسنُ تركيبِه للعربِ والعجمِ

فكلٌّ ينهل من مَعينه ولم ينضب، وكل مَن جاء من المفسِّرين علىٰ تتابعِ العصورِ، ومَرِّ القرونِ والدهورِ، قد أخرج من عجائبه، ولن تنقضي هذه العجائب.

كم ملحدٍ رام أن يُبدي معارضةً (١٢٣) فعاد بالذلِّ والخسرانِ والرَّغَمِ[1]

وقد ذكرنا ما أُثر عن مُسيلمة، وما ألَّفه أبو العلاء المعرِّي في هذا الباب، وغيرهما.

هيهات بعدًا لما راموا وما قصَدوا (١٢٤) وما تمنَّوا لقد باءوا بذُلهمِ

فهذا مستحيل بعيد.

---

(١) الرَّغم - ويُثلث -: الذل والهوان. ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي (باب الميم، فصل الراء ثم الغين).

خابَت أمانيهمُ شاهَت وجوهُهمُ (١٢٥) زاغَت قلوبُهمُ عن هَديه القِيَمِ

«خابَت أمانيهم»، أي: خابوا وخسروا حينما قصدوا إلىٰ المعارضة.

«شاهَت وجوهُهمُ زاغَت قلوبُهم عن هَديه القِيَمِ»، فمثل هؤلاء لا يوفَّقون؛ إذ كان مجرَّد الإعراض عنه عقوبته كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فكيف بمن تصدَّىٰ لمعارضته أو لنقده؟! وقد أُثر عن بعضِ الأدباءِ المعاصرين القول: لم يسلَم من قلمي الأحمر ولا القرآن. مادحًا تمكنه في اللغة والأدب وعلوم العربية، وقلمه الأحمر كناية عن القلم الذي يُعدِّل ويصحِّح به الكتب. وهذا ضلال وزيغ، نسأل الله الثبات.

كم قد تحدَّى قريشًا في القديمِ وهم (١٢٦) أهلُ البلاغة بين الخلقِ كلِّهمِ

تحداهم فلم يستطيعوا أن يُعارضوه، وأعلنوا الفَلَس والعجز.

وهو مُعجز بذاته، لا كما تقوله المعتزلة[1]: إنه معجز بالصَّرْفة، أي: أنهم

(١) المعتزلة: فرقة أسسها واصل بن عطاء، وكان في حلقة الحسن البصري ثم اعتزله بسبب مسألة مرتكب الكبيرة، ثم تطورت عقيدة المعتزلة، فأصبح لهم خمسة أصول مشهورة؛ وهي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تفرقوا بعد ذلك إلىٰ عدة فرق. ينظر: الفرق بين الفرق (ص: ٩٣ - ١٠٠)، ومقالات الإسلاميين (ص: ١٥٥ - ٢٧٨)، والملل والنحل ١/ ٤٣ - ٨٤.

كانوا قادرين علىٰ معارَضته، لكن الله صرَفهم عن ذلك[١]. وإذا كانوا قادرين لم يَصر معجزًا؛ كعجز الأعمىٰ عن القراءةِ، فالقراءة في مقدورِ الناس كلِّهم، لكن الأعمىٰ مَصروف عنها، فيكون حال العرب في معارضته كحال الأعمىٰ، وهذا قول باطل.

بمثلـــه وبعَـــشرٍ ثـــم واحـــدةٍ (١٢٧) فلـم يرُومـوه إذ ذا الأمـرِ لم يُـرَمِ

«بمثله» تحداهم أن يأتوا بمثله، «وبعَشرٍ» أو يأتوا بعشر سور، «ثم واحدةٍ» أو يأتوا بسورة واحدة، «فلم يرُوموه إذ ذا الأمرِ لم يُرَمِ» لم يُقصَد مثل هذا الأمر؛ لأنهم عجزوا وأعلنوا عجزهم.

الجنُّ والإنسُ لم يأتوا لو اجتَمعوا (١٢٨) بمثلـــه ولـــو انضـــمُّوا لمـــثلِهم

«الجنُّ والإنسُ لم يأتوا لو اجتَمعوا بمثله» ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. «ولو انضمُّوا لمثلِهم»، يعني: ولو كان مثلهم معهم ما استطاعوا.

(١) أي: أن الله صرَف قلوبَ الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام، وذلك بصَرْف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلبِ القدرةِ التامةِ، أو بسلبِهم القدرة المعتادة في مثله سلبًا عامًّا. ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح؛ لابن تيمية ٥/ ٤٢٩.

أنىَّ وكيــف وربُّ العــرشِ قائلُــه (١٢٩) سبحانه جلَّ عن شِبْهٍ له وسَمِي

يعني: أن ابن آدم الذي يخفىٰ عليه ما بين يديه وما بين جنبيه، كيف يأتي بكلامٍ يُعارض به كلام من يعلم السرَّ وأخفىٰ، ومن خلق الخلق وعرَف ما جبَلهم عليه، فكيف يُقارن كلام هذا بكلام الله ﷻ؟! تعالىٰ الله عن المثيل والسمِيِّ.

مـا كـان خلقًـا ولا فيضًـا تصـوَّره (١٣٠) نبيُّنـا لا ولا تَعبـير ذي نَسَـمِ

«ما كان خلقًا»، يعني: أن القرآن ليس مخلوقًا كما تقول الجهمية[1] والمعتزلة، فلم يخلق الله ﷻ القرآن في شيء ثم نطق به، بل هو كلامه المسموع بحرفٍ وصوتٍ، قديم النوع، حادث متجدِّد الآحاد، يتكلم متىٰ شاء، إذا شاء، بما شاء.

(١) الجهمية: إحدىٰ الفرق الكلامية التي قامت علىٰ البدعِ الكلاميةِ، والآراءِ المخالفةِ لعقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، تُنسب للجَهم بن صفوان، الذي أخذ عن الجَعد بن درهم، الذي أخذ عن أبان بن سَمعان اليهودي. وقد قسَّم شيخ الإسلام الجهمية إلىٰ ثلاث درجات: **الأولىٰ**: وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله تعالىٰ وصفاته. **الثانية**: وهم المعتزلة ونحوهم، الذين يُقرون بأسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ في الجملة لكنهم ينفون صفاته، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون. **الثالثة**: وهم الكثير من الفرق الكلامية وطائفة من أهل الحديث، الذين يقرُّون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكنهم يردُّون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية ويتأوَّلونها. وفي هذا القسم يدخل محمد بن كلاب ومن اتبعه. وتتلخص آراء الجهمية العقدية في إنكار جميع أسماء الله تعالىٰ وصفاته، وجعلها جميعًا من باب المجاز، وفي القول بالإرجاء، وأن القرآن الكريم مخلوق، بالإضافة إلىٰ نفي عذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله تعالىٰ، وغير ذلك. ينظر: الفتاوىٰ الكبرىٰ؛ لابن تيمية ٦/ ٣٧٠- ٣٧٢، ومقالات الإسلاميين؛ أبي موسىٰ الأشعري (ص: ٢٧٩)، والفرق بين الفرق؛ لأبي منصور الأسفراييني (ص: ١٩٩).

«ولا فيضًا تصوَّره نبيُّنا» كما تقول الفلاسفة: إنه فاض علىٰ قلبِه من العقلِ الفيَّاضِ الذي هو جبريل عليه السلام[1].

«لا ولا تَعبير ذي نَسَمٍ»، أي: ذي نفس من المخلوقين، فليس من كلامِ المخلوقِ، ولا من كلامِ البشرِ.

بل قاله ربُّنا قولًا وأنزَله (١٣١) وحيًا على قلبِه المستيقظِ الفَهِمِ

أي: علىٰ قلب محمد بواسطة جبريل عليهما الصلاة والسلام.

والله يشهَد والأملاكُ شاهدةٌ (١٣٢) والرُّسْل مع مُؤمني العُربان والعجمِ

فالكل يعترف بهذا ويشهد به.

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ؛ لابن تيمية ١٢/ ٥٥٦، وشرح الطحاوية؛ لابن أبي العز ٢/ ٤٠٢.

الوصيـة بالسنّـة

لما أنهىٰ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوصية بكتاب الله ﷻ - بعد الوصايا العامة التي أسداها لطلاب العلم -، أوصىٰ بسنة نبيه ﷺ، وهما المصدران الأصيلان للتشريع، فالسنة صِنو[1] القرآن، وتثبت بها الأحكام الزائدة علىٰ ما في القرآن، وهي بمنزلته من حيث الاحتجاج، وإن جعلها أهلُ العلم تاليةً له باعتبارِ القائلِ، فالقرآن كلام الله ﷻ، والسنة كلام نبيه ﷺ، وأيضًا باعتبارِ الثبوتِ، فثبوت القرآن قطعيٌّ، والسنة فيها ما هو كذلك وفيها ما هو دونه في الثبوت وفيها ما لا يثبت.

والسنة: هي ما يُضاف إلىٰ النبي ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو وصفٍ، أو تقريرٍ، وأكثر ما تُطلق «السُّنةُ» علىٰ السُّنةِ العملية، وأما السنة القولية، فأكثر ما يُطلق عليها: «الحديث». وعلىٰ كل حال فالسنة تشمل القولَ والعملَ، وإن كان إطلاقُها علىٰ العمل أكثر، والحديث أيضًا يشمل القول والعمل، وإن كان إطلاقُه علىٰ القول أكثر.

---

(١) الصِّنو: الأخ الشقيق، يقال: هو صِنو أخيه، وهما صِنوان. تهذيب اللغة؛ للأزهري ١٢/ ١٧٠، ومقاييس اللغة؛ لابن فارس ٣/ ٣١٢.

ارو الحديثَ ولازِم أهلَه فهم النـ (١٣٣) ـنَاجون نصًّا صريحًا للرسول نمُي

«ارو الحديثَ»، يعني: اعتنِ بالحديث من حيث الرواية، فعليك أن تعنىٰ به وبأسانيده، وبدرجاته من حيث الثبوت وعدمه، وترويه بإسنادك إن تيسَّر ولم يُشغلك ذلك عن تحصيل المهمات؛ لأن بعض الطلاب يحرص علىٰ روايةِ الحديثِ، ويجمع الإجازات الكثيرة لأجل ذلك، فينتقل من بلدٍ إلىٰ بلدٍ من أجل أن يَروي بالإجازة عن فلانٍ أو فلانٍ، المرضي وغير المرضي؛ لمجرد اسم الرواية، فيُضيِّع عمره وأوقاته وجهده في التنقُّل؛ من أجل أن يُقال: عنده مائة إجازة، أو أكثر أو أقل.

وهذا كله يكون علىٰ حسابِ تحصيلِ العلمِ، وهذه حقيقة مرة، بل يُغنيه عن ذلك ويكفيه أن يُدرك إجازةً من شيخٍ يتشرَّف بالانتساب إليه.

«ولازِم أهلَه»، المراد به من يعتني به علمًا وعملًا وتعليمًا، فلا يكفي أن يكون حافظًا للحديث من دون علمٍ، ومن دون عملٍ، بل لا بد أن يكون عالمًا بما يحفظ، عاملًا به.

«فهم النَّاجون» قد ذكر النبي ﷺ «**أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»(١). وذكر عليه السلام الفرقة الناجية، وهي الطائفة المنصورة إلىٰ قيامِ السَّاعة(٢)،

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين (١٤٥)، وابن ماجه (٣٩٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وجاء عن ابن عمر، وابن مسعود، وسعد، وجابر، وأنس، وعبد الله بن عمرو، وعمرو بن عوف وغيرهم رضي الله عنهم.

(٢) إشارة إلىٰ ما أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الشام (٢١٩٢)، وابن ماجه، =

وقد جاء تفسيرهم عن الإمام أحمدَ وغيره، قال أحمد: «إن لم يكونوا أهلَ الحديثِ فلا أدري من هم»[(١)]. فعامَّة أهل العلم على أن المرادَ بهم أهلُ الحديث[(٢)].

«**نصًّا صريحًا للرسول نُمي**» يعني: رُفع إلى النبي ﷺ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام في تفسيرِ الطائفةِ المنصورةِ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٣)]، المتبعون هديه، العاملون بما يسمعون من أقوالِه، والمقتدون بما يُنقل من أفعالِه عليه الصلاة والسلام.

= مقدمة السنن، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (٦)، وأحمد (١٥٥٩٦)، وصحَّحه ابن حبان (٦١)، من حديث معاوية بن قرة، عن أبيه رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «**لا تزال طائفة من أمَّتي منصورين، لا يضرُّهم من خذلهم حتى تقوم السَّاعة**». قال الترمذي: «قال محمد بن إسماعيل: قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث: وفي الباب عن عبد الله بن حوالة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو وهذا حديث حسن صحيح».

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٣٧، ٤٣)، والعلائي في إثارة الفوائد ١/ ٨٢. وذكره برهان الدين التنوخي في نظم اللآلي (ص: ٢٧).

(٢) ممن قال به: عبد الله بن المبارك؛ أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٤٢)، وذكره برهان الدين التنوخي في نظم اللآلي (ص: ٢٦، ٢٧).
ويزيد بن هارون؛ أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٤١)، وإسماعيل الأصبهاني في الحجة (٩٩)، والعلائي في إثارة الفوائد ١/ ٨١.
وعلي بن المديني؛ أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٤٥)، والعلائي في إثارة الفوائد ١/ ٨٣.
والبخاري؛ أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٤٦)، وإسماعيل الأصبهاني في الحجة (٩٨)، والعلائي في إثارة الفوائد ١/ ٨٢.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه» وفي بعض نسخ الترمذي: «هذا حديث حسن مفسر...». وقال الحاكم: «لا تقوم به الحجة». وقال اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/ ١١٢: «وفي حديث ثابت فقال: ما أنا عليه وأصحابي». وقال بثبوته أيضًا البغوي في شرح السنة ١/ ٢١٣.

سامِتْ منابرَهم واحمِلْ محابرَهم (١٣٤) والزَم أكابرَهم في كلِّ مزدَحَم

«سامِتْ منابرَهم»، يقال: سمَت يسمُت بالضم: أي قصَد، يعني: اقصِد منابرهم[١]. والمسامَتة هذه إما أن تكون بالقصد، أي: يقصدها، أو ليكونَ علىٰ سَمتها أي: قريبًا منها؛ لأن ما كان علىٰ سَمت الشيء كان محاذيًا ومقاربًا له.

«واحمِلْ محابرَهم» التي يكتبون بها، فاخدُمهم بحمل محابرهم، واصبر علىٰ ذلك، فالعلم لا يُستطاع براحة جسمٍ[٢]، ولا بادعاء نِدِّية، بل مهما بلغ طالب العلم، فلا بد أن يتواضَع بحمل محبرة الشيخ، أو متاعه ونحو ذلك، فلا بد أن يعرف الطالب منزلته من منزلة شيخه.

وقد يكون قصد الناظم بقوله: «واحمِلْ محابرَهم»، أنِ احملْ محبرةً مثل محابرهم، التي تجعلك شبيهًا بهم، فهم يكتبون، وأنت معك محبرة مثل محابرهم تكتب عنهم ما يَنطقون به.

«والزَم أكابرَهم»، فالعلم إنما هو عند الكبارِ، والأجِلَّة، فإذا وُجد في البلد من الكبارِ أحد، فلا تبغِ به بدلًا من الصِّغار، ولو أعجبك بريقُ لفظه؛ فبعض طلاب العلم الصغار يكون عنده تفنُّن في العبارات يجلب إليه طلاب العلم، وهذا قد لا تجده عند الكبير الذي هو فوقه بمراحل في العلمِ والعملِ، فيعزف عنه الطلاب لهذا السبب.

(١) ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي ٤/ ٥٦٧، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ للجوهري ١/ ٢٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ١/ ٤٢٨، عن يحيىٰ بن أبي كثير.

«في كلِّ مزدَحَم»؛ لأن بعض الناس يُؤثر الراحة، فتجده يعزف عن المكانِ الذي فيه أدنىٰ كُلفة، فإذا رأىٰ عند الشيخ جموعًا غفيرةً، عزف عن مزاحمة الناس؛ لأنه سيدخل بتعبٍ ويخرج بتعبٍ، فيُؤثر الراحة عند المقلِّين، بحجة أنه سيكون هناك متَّسع للتفاهُم والسؤال والجواب بكل راحةٍ وبساطةٍ، وليس قصده ذلك - والله أعلم -، وإنما يقصد الراحة، وأن يدخلَ ويخرج وقتما يريد، وأن يجد عمودًا يتكئ عليه، بل ويغفو عنده إن تيسَّر له ذلك.

وبعضهم يفعل هذا في صلاةِ الجمعةِ، فيقصد المسجد قليل الروَّاد؛ ليجد مكانًا باردًا يتَّكئ فيه، فهذا قد لا يجده في المساجدِ المزدحمةِ التي فيها الخطباء الذين يُفيدون الناس. وقد يُضطر الإنسان إلىٰ هذا أحيانًا، فمثلًا في رمضان ومع حرارة الجوِّ قد لا يجد المرء مكانًا داخل المسجد الحرام - الذي فيه الصلاة بمائة ألف صلاة - إلا في درج أو شمس، فيُؤثر أن يذهب إلىٰ أيِّ مسجد آخر داخل مكة - ومكة كلها حرم - ليجد مكانًا في الصف الأول، أو متكئًا باردًا يسمع فيه الخطبة، وإن كان حريصًا علىٰ خطبة الحرم سمعها حين تُعاد.

والمقصود أن علىٰ المرء أن ينظرَ في الباعث الذي جعله يترك هذا المكان ويذهب إلىٰ غيره، فإن كانت المصلحة الراجحة - كزيادة علم الشيخ ودينه - هي التي تحرِّكه، أُجر عليها؛ لأنه لا يلزم من كثرة الحضور أن يكون الشيخ أعلم من غيره، بل قد تكون الكثرة مرَدها لما عند هذا الشخص من المخالفة، ومن الإثارة ونحوها، فالناس تشرئبُّ نفوسهم إلىٰ مثل هذا، ويعزفون عن العالم؛ لأنه علىٰ الجادة، بحجة أن دربَه معروف ولا جديد عنده.

اسلك منارَهمو والزَم شِعارَهم (١٣٥) واحطُط رِحالك إن تنزِل بسُوحِهم

«اسلك منارَهمو»، أي: منار العلم؛ لأن العلم إنما يكون عند هؤلاء الأئمة الذين هم كالمنار الذي ينير الطريق للسالكين.

«والزَم شِعارَهم» الذي هو العلم والتعليم، وهداية الناس وإرشادهم، فتعلَّم منهم، واقتفِ آثارهم؛ فتُخلِّص نفسك من ظلمة الجهل، وتتنوَّر بالعلم الشرعي، ثم بعد ذلك تعمل بما عَلِمت، وتعلِّم النَّاس وتُوجِّههم.

«واحطُط رِحالك إن تنزِل بسُوحِهم»، فأهل الحديث هم بُغيتك، إذا أردت الحديث فهم أهله، وإذا أردت فقهًا فلا فقه إلا بحديث، وإذا أردت علم التفسير فلا تفسير إلا بالمنقول والمأثور، فكل شيء عندهم.

هم العدولُ لحملِ العلمِ كيف وهم (١٣٦) أولو المكارِمِ والأخلاقِ والشِّيَمِ

«هم العدولُ لحملِ العلمِ»، كما جاء مرفوعًا: «يحمل هذا العلمَ من كل خلفٍ عدولُه»[1].

«كيف وهم أولو المكارِمِ والأخلاقِ والشِّيَمِ» هذه صفة أهل الحديث، فالغالب أن أهلَ العلمِ هم أهلُ العملِ، فهم الذين يمتَثلون الأوامرَ والنواهي،

(١) سيأتي تخريجه قريبًا مفصلًا.

وكما جاء: «**العلم بالتعلُّم، والحلم بالتحلُّم**»(١)، فإذا سَمِع قول الرسول ﷺ: «**لا تغضب**»(٢) امتثل فلم يغضب، وهذا الأصل، إلا أن الناس يتفاوتون في طباعِهم، فقد تجد فيمن يحمل العلم مَن جُبِل علىٰ شيء من شدَّة الطبع، وهذا عليك أن تصبر علىٰ طبعه، وعلىٰ جفائه، فهو إن لم يمتثل الأمر، لا يسمىٰ ما معه علمًا، فالعلم الذي لا يُتوج بالعمل ليس بعلم حقيقةً.

هم الأفاضلُ حازوا خيرَ مَنقبةٍ (١٣٧) هم الأُولى بهم الدِّين الحنيفُ حُمي

«**هم الأفاضلُ حازوا خيرَ مَنقبةٍ**»، يعني: حازوا الفضائل والمناقب، ولو لم يكن لهم إلا نسبتهم إلىٰ النبي ﷺ لكفىٰ، فهم حملة علمه ﷺ،

(١) روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة، منهم:
١- أبو الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا؛ أخرجه مرفوعًا: الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، وفي مسند الشاميين (٢١٠٣)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٢٤٢)، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٧٤ وغيرهم. وقال أبو نعيم: «غريب». وضعَّفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٨٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٣٨): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو كذاب». وأخرجه موقوفًا: ابن أبي إياس في العلم والحلم (١١٦)، وأبو خيثمة في العلم (١١٤)، والبيهقي في المدخل (١٤٩٦)، وفي الشعب (١٠٢٥٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٠٣) وغيرهم.
٢- أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم (٢)، والدارقطني في العلل (٢٠٣٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٣).
وقد رجح الدارقطني في العلل (٢٠٣٧) بعد أن فصل في طرقه؛ أن المحفوظ إنما هو من قول أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفًا.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠)، وقال: «حسن صحيح»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وحملة حديثه وكلامه، والمهتمون بسيرته وشمائله، ويكفيهم أنه ﷺ إمامهم، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

«هم الأُولىٰ بهم الدِّين الحنيفُ حُمي»، فالدين لا يحمىٰ إلا بالنصوصِ، فلا يحمىٰ بالكلامِ والجدلِ الخالي من الأدلةِ الصحيحةِ الصريحةِ، وهم أهل النصوص، والمفترض في كلِّ من يتصدىٰ لعلمِ الحديثِ أن يكونَ علىٰ ذكر من كلامِ الله ﷻ، وأن تكون له عناية بكتاب الله ﷻ؛ امتثالًا للنصوصِ الواردةِ في الحث علىٰ كتاب الله ﷻ.

هم الجهابِذةُ الأعلامُ تعرِفهم (١٣٨) بين الأنام بسيماهم ووَسْمهِم

«هم الجهابِذةُ الأعلامُ تعرِفهم»، والجهابذة: جمع جهبذ، وهو الناقد الخبير[(١)]. ويعني بهم: أهل الحديث، فهم أهل النقد، وغيرهم لا يُعنىٰ بالنقد، فمثلًا أهل القرآن وأهل التفسير لا يُعنَوْنَ بالنقد، ولا حاجة لهم إلىٰ النقد في الجملة؛ لأن القرآن ثابت ثبوتًا قطعيًّا؛ فلا يمكن أن يُعرض لموازين النقد لإثباته أو ردِّه، وأهل الفقه غالبًا يستدلُّون بالأحاديثِ من غير تمحيصٍ ولا نظرٍ ولا رويةٍ، وهكذا سائر العلوم، أما أهل السنة والحديث، فهم أهل النقدِ، هم الذين إن ثبت الحديث فهو عُمدتهم ومُعوَّلهم، وإن لم يثبت ردُّوه ورفضوه، وليس هذا الأمر إلا لهم، فلا يُمكن أن يأتي مفسِّر فيصحِّح ويضعِّف

(١) جَهبَذ وجِهبِذ. ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي ٩/ ٣٩٢.

إن لم يكن من أهلِ الحديثِ، ولا يُمكن أن يأتي فقيه فيصحِّح ويضعِّف إن لم تكن له عناية بالحديثِ.

«**بين الأنام**»، أي: بين الناس كلِّهم.

«**بسيماهم ووَسْمهمِ**»، فلا شك أن السنة لها نور في الوجه، وكلُّ واحد يهتمُّ بما يسمعه عن رسول الله ﷺ، فله نصيبه بحسب اتباعه واقتدائه، وترون بعض الناس ممن له اقتداء واتباع له هيبة في النفوس، وله نصيب من: «**نصرتُ بالرعب**»[(١)] بقدر ما عنده من الاقتداء بالنبي ﷺ.

فأهل الحديث يطلعون أكثر من غيرهم على أوصافه ﷺ وعلى شمائله؛ فيقتدون به؛ فتكون سيماهم مطابقةً لسيما النبي ﷺ في الأمور الاختيارية، أما في الأمور الإجبارية فلا يمكن، فليس في استطاعة أحد أن يُصيِّر نفسه أزهر اللون أو رَبْعة[(٢)]؛ ليكون كالنبي ﷺ. وخير ما يُعين طالبَ العلم على الاقتداء بالنبي ﷺ، والاهتداء بهديه، والاستنان بسنته؛ معرفةُ خصائصه وشمائله، وأخلاقه، ومعجزاته ﷺ، فهذه هي التي تقرِّبه إلى القلوب.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (٢٩٧٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (٥٢٣)، والترمذي وقال: «حسن صحيح» (١٥٥٣)، والنسائي (٣٠٨٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الرَّبْعة: الرجل المتوسط القامة بين الطُّول والقصر. ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي (باب العين، فصل الراء ثم الباء).

هم ناصرو الدِّين والحامون حَوزتَه (١٣٩) مـن العـدوِّ بجـيشٍ غـيرِ مُنهـزِمِ

ينصرون الدين بما عندهم من نصوصِ الكتابِ والسنةِ، ويحمونه من كل مبتدع أو مارق.

هـم البـدورُ ولكـن لا أُفـولَ لهـم (١٤٠) بـل الشُّموس وقـد فـاقوا بنـورِهم

«هم البدورُ»، أي: الأقمار «ولكن لا أُفولَ لهم»، فالقمر كما هو معروف يأفل، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ [الأنعام: ٧٧]. أما العلماء، فموجودون في الوقت كلِّه، لا يأفلون، ولا يغيبون عن الأنظارِ حتىٰ تقوم الساعة.

«بل الشُّموس وقد فاقوا بنورِهم»، أي: وهم الشموس، والشموس تغيب وتأفل، وهم لا يغيبون؛ لأن نور القرآن باق حتىٰ يرفع في آخر الزمان، كلما مات عالم خلَّفه غيره، وأيضًا فإنهم وإن فقدت أجسادهم، فعلمهم باق من بعدهم.

لم يبق للشَّمس من نـورٍ إذا أفلَـت (١٤١) ونـورُهم مـشرقٌ مـن بعـد رَمْسِـهِم

«لم يبق للشَّمس من نورٍ إذا أفلَت»، يعني: إذا طلبْتَها بالليل لم تجدْها، لكن العالم تجده بالليل، والقمر تطلبه بالنهار فلا تجده، والعالم تجده بالنهار.

«ونورُهم مشرقٌ من بعد رَمْسِهِم»، أي: حتىٰ بعد موتهم، فهم موجودون، موجودون بآثارهم، بمؤلَّفاتهم، بطلابهم، بعلمهم الذي نشروه، وبلغوه الآفاق.

لهـم مقـامٌ رفيـعٌ لـيس يُدركـه (١٤٢) مـن العبـاد سـوى السَّـاعي كسَـعيهِمِ

«لهـم مقـامٌ رفيـعٌ لـيس يُدركـه» لا يُـدرك مقـامهم أحـد «مـن العبـاد سـوىٰ السَّاعي كسَعيهمِ»، فلا يُمكن أن يلحقَ بأهل الحديث شخص بمجرد التمنِّي، ومجرد التشبُّه الظاهر من غير بذلٍ، بل يجب أن يتعب كما تعبوا، فهذا العلم لا يُستطاع براحةِ الجسمِ، فإذا أردت أن تكون مثلهم أو قريبًا منهم، فاتعب مثل تعبهم.

أبلِـغ بحجَّـتهم أرجِـح بكِفَّـتهم (١٤٣) في الفضلِ إن قِستهم وزنًا بغَـيرهِمِ

«أبلِغ بحجَّتهم» ما أبلغ حجتهم! فحجتهم بالغة؛ لأنها مُستقاة من مشكاة النبوة.

«أرجِح بكِفَّتهم»، وما أرجح كفتهم! فإذا وُزن المحدث بغيرِه، رجحت كِفته؛ لأنه يعتني بخير الكلامِ، وبخير الهدي.

«في الفضلِ إن قِستهم وزنًا بغَيرهمِ»، قد يقول قائل: إن أهل القرآن أرجح من أهل الحديث، لكن حقيقةً لا يُتصور أن يكون صاحبُ حديث ليس من أهلِ القرآنِ، فلا يوجد أحد من الأئمة ليست له عناية بالقرآن؛ إذن فهم أهل القرآنِ وزيادة، لكن قد يُوجد من يعتني بالقرآنِ ولا صلة له بالحديثِ.

كفـاهُمو شرفًـا أن أصـبَحوا خلفًـا (١٤٤) لسـيِّد الحُنَفَـا في دينِـه القِـيَمِ

فهؤلاء هم الذين يخلفون النبي ﷺ في تبليغ سنته لمن يأتي بعده.

يحيـون سـنَّته مـن بعـده فلهُـم (١٤٥) أولى بـه مـن جميـعِ الخلـقِ كلِّهِـمِ

«يحيون سنَّته من بعده»، ومن أحيا سنةً، فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة[١]، وقد أفَلتِ السنةُ وغابت شمسها قرونًا من بعد القرن العاشر إلىٰ أن قيَّض الله ﷻ لها في العصور المتأخِّرة من يُحييها، فقيَّض الله للسنة في باب الرواية والتَّصحيح والتَّضعيف الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وقيَّض الله لها في باب الدراية، لمن يعمل بها ويطبِّقها ويتفقَّه فيها الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو في هذا الباب ليس له نظير، ففِقْهه هو فقه السنة، وقيَّض الله أيضًا من يحفظها من الإخوةِ المشايخِ الفضلاءِ، فنسأل الله ﷻ أن لا يحرمهم أجر هذه السنَّة، وأجر من عمل بها.

«فلهُم أولىٰ به من جميعِ الخلقِ كلِّهِمِ»، هم أولىٰ الناس بالنبي ﷺ، وهم صحابته الحقيقيون «إن لم يصحبوا نفسَه أنفاسَه صَحِبوا»[٢].

(١) إشارة إلىٰ ما أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلىٰ هدىٰ أو ضلالة (١٠١٧)، والترمذي (٢٦٧٥)، والنسائي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (٢٠٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفيه: «**من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة، فعمل بها بعده، كُتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء**».

(٢) هذا عجز بيت من منظومة لأبي عامر النَّسوي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ذكر بيتين منها أبو موسىٰ المديني في اللطائف بإسناده إلىٰ أبي عامر النسوي. والبيت كاملًا:

أهـلُ الحـديثِ هـمُ آلُ الرسـولِ وإن لـم يصـحَبوا نفسَـه أنفاسَـه صـحِبوا

يروون عنه أحاديثَ الشريعةِ لا (١٤٦) يألون حفظًا لها بالصدرِ والقلمِ

«يروون عنه أحاديثَ الشريعةِ لا يألون حفظًا لها»، يعني: لا يقصرون في حفظها «بالصدرِ والقلمِ» يضبطونها ويحفظونها في صدورهم إن تيسر، وإلا ففي كتبهم.

ينفون عنها انتحالَ المبطِلين وتحـ (١٤٧) ـريفَ الغلاةِ وتأويلَ الغَويْ اللَّئِمِ

اللئم يعني به: اللئيم، وقد جاء في الحديث: «**يحمل هذا العلمَ من كل خلفٍ عُدولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين**»[(١)]، والحديث

(١) روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة، منهم:
١. أبو هريرة رضي الله عنه: أخرجه ابن أبي إياس في العلم والحلم (٢١١)، والبزار (٩٤٢٣)، والطبراني في مسند الشاميين (٥٩٩)، والخطيب البغدادي في الجامع (١٣٤)، وفي شرف أصحاب الحديث (٤٧) وغيرهم. وضعَّفه البزار بنكارة أحد رواته. وذكر الخطيب بعده في الجامع بإسناده إلىٰ عيسىٰ بن صبيح أنه قد صحَّحه.
٢. عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أخرجه البزار (٩٤٢٣)، والعقيلي في الضعفاء (٤). وضعَّفه البزار بنكارة أحد رواته.
٣. ابن عمر رضي الله عنهما: أخرجه ابن عدي في الكامل (٨٤٣)، وتمام في الفوائد (٨٩٩)، والهروي في ذم الكلام وأهله (٧٠٧) وغيرهم.
٤. أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٤٨)، وابن عساكر ٧/ ٣٩، والعلائي في إثارة الفوائد (١١)، وفي بغية الملتمس (ص: ٣٤). وقال العلائي: «حديث حسن غريب» زاد في بغية الملتمس: «صحيح».
٥. أبو الدرداء رضي الله عنه: أخرجه الطحاوي في شرح المشكل (٣٨٨٤)
٦. معاذ بن جبل رضي الله عنه: أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (١٠).
٧. ابن مسعود رضي الله عنه: أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٤٩). =

لا يسلَم من كلامٍ، وحسَّنه بعض الأئمَّة، وثبتت صحَّته عن الإمامِ أحمد وغيره، وفيه بيانٌ لشرف أهلِ الحديثِ.

أدَّوا مقالَتَه نُصحًا لأمَّته (١٤٨) صانوا رِوايتها عن كلِّ متَّهمِ

«**أدَّوا مقالَتَه نُصحًا لأمَّته**»، أدَّوا مقالَته كما سمعوها، نصحًا للأمة وإبراءً للذمَّة من معرَّة الكتمان، فلم يبخلوا ولم يكتموا شيئًا من العلم، بل بذلوه لمن يستحقُّه.

= ٨. ابن عباس رضي الله عنهما: أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٧٠٤).

٩. جابر بن سمرة رضي الله عنه: أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٧٠٦)، وابن الجوزي في الموضوعات (٤).

١٠. أبو أمامة رضي الله عنه: أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣)، وابن عدي في الكامل (٨٤٩).

١١. علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخرجه ابن عدي في الكامل (٨٤٢).

١٢. أنس رضي الله عنه: أخرجه ابن عساكر ٥٤/ ٢٢٥.

١٣. إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلًا: أخرجه ابن أبي إياس في العلم والحلم (٢١٠)، وابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الكبير (٢٠٩٥٢)، وفي المدخل (٧٣١) وغيرهم. قال البيهقي في المدخل: «وروي من أوجه أخر ضعيفة». وذكر الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٥٠) بإسناده إلىٰ أحمد بن حنبل أنه قد صحَّحه. ونقل تصحيح أحمد أيضًا العلائي في بغية الملتمس (ص: ٣٥). وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/ ٤١١: «وهذا الحديث مرسل، وإسناده فيه ضعف، والعجب أن ابن عبد البر صحَّحه، واحتج به علىٰ عدالة كل من نسب إلىٰ حمل العلم».

١٤. إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، عن ثقة عنده من أشياخه: أخرجه ابن وضاح في البدع (٢)، وابن عدي في الكامل (٨٥٤)، والبيهقي (٢٠٩٥٣) وغيرهم.

وقال ابن حجر في الإصابة ١/ ٤٣٠: «وقد أورد ابن عدي هذا الحديث من طرق كثيرة كلها ضعيفة. وقال في بعض المواضع: رواه الثقات، عن الوليد، عن معان، عن إبراهيم، قال: حدثنا الثقة من أصحابنا: أن رسول الله ﷺ، فذكره».

«صانوا رِوايتها عن كلِّ متَّهمِ»، بيَّنوا أحوال الرواة، فبينوا مَن يُحمَل عنه العلم من الثقات، ومن لا يستحقُّ أن يُحمل عنه، فقاموا بكلِّ حزمٍ وعزمٍ وقوةٍ في نفي ما أُلصق بالسنة من غيرها، ووضعوا القواعد للجرحِ والتعديلِ، فعدَّلوا وجرَحوا، وحَفظوا وبلَّغوا، فلم يألوا في ذلك جهدًا.

لم يُلههم قطُّ من مالٍ ولا خَولٍ (١٤٩) ولا ابتياعٍ ولا حرثٍ ولا نعَمِ

«لم يُلههم قطُّ من»، «من» زائدة لتأكيد النفي، «مالٍ»، أي: لم يشتغلوا بأموالهم و ينصرفوا عن السنة، بل جنَّدوا أنفسهم للسنة حفظًا، وتعليمًا، وشرحًا وتحفيظًا، وعملًا بها، ودلالةً للناس عليها.

«ولا خَولٍ»، الخول: سائر النعم من نعم وعبيد ونحو ذلك[1]، فما لهم همٌّ في شيء من متاعِ الدنيا، فكل ما يُتخوَّل من متع الدنيا تركوه؛ اهتمامًا بالسنة.

«ولا ابتياعٍ»، صفق بالأسواق، «ولا حرثٍ ولا نعَمِ»، فلم تُلههم زراعة، ولا ماشية، من إبل، أو بقر، أو غنم، ولا غيرها من سائر الأموال، بل تفرَّغوا للسنة، فتعلَّموها وعلَّموها الناس، وجنَّدوا أنفسهم للعناية بها.

(١) ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي ٢٨/ ٤٤٤.

هـذا هـو المجـدُ لا ملـكٌ ولا نسَـب (١٥٠) كـلا ولا الجمـعُ للأمـوالِ والخـدمِ

«هـذا هـو المجـدُ» والرفعـة في الـدنيا والآخـرة، «لا ملـكٌ» يعني: هـذا هـو المجد الحقيقي الـدائم، أمـا مجـد الملـك، فهـو مجـد زائـل زائـف، وهـو فقـط بالنسبة للنَّظرة القريبة، يعني: في نظرة الدنيا وأهلها، فحتىٰ لو افترضنا أنـه ملَـك نصـف قـرن، فسـتكون النهايـة والندامـة، وقـد جـاء عـن النبـيِّ ﷺ: «**إنكـم ستَحرصون علىٰ الإمارةِ، وستكون ندامةً يـوم القيامـة، فـنعم المرضـعة، وبئسـت الفاطمة**»[(١)] فالتبعات عظيمة.

«**ولا نسَب**»، فلو افترضنا أن شخصًا من نسل النبي محمد ﷺ، ثـم بعـد ذلـك بطَّأ به عمله، فلم يعمل بهذا العلم ولـم يرفـع بـه رأسًـا، فهـذا لـيس عنـده شـيء مـن المجدِ، نعم هو من ذوي القربىٰ ويتشرَّف بالانتساب إلىٰ النبيِّ ﷺ، لكـن الكـلام علىٰ أهلِ الاتباعِ من ذوي القربىٰ، الذين يُحبُّوْن في الله وفي رسوله ﷺ.

«**كلا ولا الجمعُ للأموالِ والخدمِ**»، فماذا بعد جمع المال؟ فحتىٰ وإن صار من أثرياء العالم، فلا فائدة للمال إن صار يتخبط فيه، فيقوي به جوانب الشرور، ويستعمله في إضعافِ الخيرِ وأهلِه، كما هو حال كثير ممن رأىٰ نفسه قد استغنىٰ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص علىٰ الإمارة (٧١٤٨)، والنسائي (٤٢١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ١٢٦: «قال الداودي: نعم المرضعة أي في الدنيا، وبئست الفاطمة أي بعد الموت؛ لأنه يصير إلىٰ المحاسبة علىٰ ذلك، فهو كالذي يُفطم قبل أن يستغني، فيكون في ذلك هلاكه. وقال غيره: نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة وتحصيل اللذات الحسية الوهمية حال حصولها، وبئست الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة».

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٧] إن دُعي إلىٰ خير امتنع، وإن دعي إلىٰ مخالفة بادر، فكثير من الناس قد ابتُلي بالمال فأخفق، وكثير من الناس ابتلي بالفقر فصبر، والصبر علىٰ الفقر أسهل من الصبر علىٰ توجيه الأموال فيما يُرضي الله ﷻ، وإن كان يوجد مَن استغل هذا المال في مرضاة الله ﷻ.

فكلُّ مجدٍ وضيعٌ عند مجدِهمو (١٥١) وكلُّ ملكٍ فخدَّام لمُلكهمِ

«**فكلُّ مجدٍ وضيعٌ عند مجدِهمو**»، فتجد العالم في ثيابه الرثَّة، وهيئته المتواضعة يهابه أصحاب الأموال والمناصب في أبهاتهم، وهذا هو الحاصل، والواقع شاهد بذلك، فالله ﷻ يزرع الهيبة في قلوب أرباب الدنيا لأهلِ العلم.

ولا شك أن أصحاب المناصب العالية - لا سيما مَن كان عنده شيء من العقل، وشيء من الحكمة - يقدِّمون أهل العلم، إما ابتغاءً لوجه الله ﷻ؛ يتقرَّبون بذلك قربة - وهذا موجود وهو المفترض في الوالي المسلم - أو لجعلهم واسطةً بينهم وبين عامة الناس؛ لأن عامة الناس يثقون بأهلِ العلمِ ويحبونهم، فإذا رأوا هذا الوالي يقدِّر أهل العلم قرُب من قلوبهم؛ لأنك ستُحب مَن يُقدِّر مَن تحب، وستُجِله وتقدره، كما تحبُّ مَن يحترم ويعظِّم والدك حتىٰ وإن كنت لا تعرفه، ولو كان بينك وبينه خلاف، وهذا بخلاف ما إذا نفض الوالي يده من أهلِ العلمِ، ومن أهلِ الخيرِ والصلاحِ، فهذا ليس عنده شيء من الحكمةِ.

«وكلُّ ملكٍ فخدَّام لمُلكهمِ»، فالوالي العاقل هو مَن يجعل من نفسه خادمًا للعالم، بمعنىٰ: أن يُنفذ ما يحكم به العالم، فالأصل في الوالي أنه إذا صدر الحكمُ الشرعيُّ من العالم بادَر ونفَّذ، ولم يجعل لنفسه خيارًا، وحينئذٍ يكون ملكه لخدمةِ الدينِ وخدمةِ الشرعِ، أما إذا كان الوالي يُنازع العالم، ويجعل بينه وبين العالم جفوة، وإذا حكم العالم بحكم - وهو الذي ولَّاه وقلَّده هذا الأمر - ناقضه واعترض عليه، فلا يستقيم مع مثل هذا ملك، فوظيفة الولاة خدمة الشرع، وبهذا يَشرُفون، وينالون المنازل العالية في الدنيا والآخرة.

والأمنُ والنورُ والفوزُ العظيمُ لهم (١٥٢) يومَ القيامةِ والبُشرى لحزبِهم

لأهل العلم، لا سيما العلماء بالسنة؛ فإن لهم النصيب الأوفر من هذه الأوصاف التي كمالُها للنبي ﷺ، وبقدر اقتداء العالم بالنبي ﷺ وبقدر إرثه من ميراثِ النبوةِ يكون نصيبه من هذه الأوصافِ.

فإن أردت رُقيًّا نحو رُتبتهم (١٥٣) ورُمت مجدًا رفيعًا مثل مجدِهم

فكل أحد يتمنىٰ أن يكون مثل الإمام أحمد، أو مثل سفيان، أو علي بن المديني، حتىٰ المتأخرين؛ كابن باز، أو ابن عثيمين، أو الألباني رحمهم الله، فكل طالب علم يتمنىٰ أن يصل منزلتهم، والأمر ليس بالتمني، بل بأن يسلكَ المسالكَ التي سلكوها، فهم بشر مثلك، وقد يوجد في أوساط طلاب العلم مَن أُعطي من الحفظِ والفهمِ ما قد يكون أكثر منهم، فعليك أن تسلك مثل ما سلكوا.

فاعمدْ إلى سلَّم التُّقوى الذي نصَبوا (١٥٤) واصعَد بعزمٍ وجِدٍّ مِثل جِدِّهِم

فلا تسترخِ وتجنح إلىٰ الراحة، ففي الأثر عن يحيىٰ بن أبي كثير[١] قال: «لا يُستطاع العلم براحةِ الجسمِ»[٢]، وهذا الأثر ذكره الإمام مسلم بعد أن ساق جملةً من أحاديث مواقيت الصلاةِ، ثم أورده، ثم أكمل أحاديث المواقيت، فضرب الشرَّاح كلَّ وادٍ وفجٍّ لإيجاد المناسبة لهذا الكلامِ، والأقرب أن سبب ذلك الدقَّة التي اتبعها الإمام مسلم في سياق هذه المتون والأسانيد، فكأن مسلمًا رَحِمَهُ اللَّهُ قد انبهر وأعجبه حسن سياق هذه الطرق، فأورد هذا الأثر بين تلك الأحاديث التي يتصل بعضها ببعض؛ لينبه بهذا سائرَ طلَّاب العلم أن يتعبوا، فالعلم لا يأتي بالراحة[٣]، والعلماء يقولون: «أعط العلم كلَّك لتنالَ بعضه»[٤]، أما إذا أعطيته بعضك، فغالبًا لن تنال شيئًا.

(١) هو: أبو نصر يحيىٰ بن أبي كثير الطائي، واسم أبي كثير صالح بن المتوكل، وقيل غير ذلك. روىٰ عن: أنس، وعكرمة، وعطاء وغيرهم. روىٰ عنه: ابنه عبد الله، وأيوب السختياني، والأوزاعي وغيرهم. وهو ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل. توفي سنة ١٣٢هـ وقيل سنة ١٢٩هـ. ينظر: تهذيب الكمال؛ للمري ٣١/ ٥٠٤، تقريب التهذيب؛ لابن حجر (٧٦٣٢)، وتهذيب التهذيب؛ لابن حجر (٥٣٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس (٦١٢).

(٣) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم ٥/ ١١٣، ١١٤.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٦/ ٣٦٧، وفي الجامع لأخلاق الراوي (١٥٢٣)، من قول أبي يوسف القاضي. وأخرجه أيضًا في تاريخ بغداد ٦/ ٦٢٣ من قول النَّظَّام.

واعكُف على السنَّة المثلى كما عكَفوا (١٥٥) حفظًا مع الكشفِ عن تفسيرِها ودُم

«**واعكُف**» لازِم؛ لأن العكوف والاعتكاف ملازمة الشيء، فلا يُقال: فلان عكف عند فلان ساعة، أو دخل المسجد واعتكف مدَّة إذا كان أخذ غرضًا وخرج، بل العكوف والاعتكاف طول الملازمة.

«**علىٰ السنَّة المثلىٰ كما عكَفوا**»، فلا يصح أن يدعي شخص أنه من أهل السنة، وليس في جوفه شيء منها، ولا له عناية بكتب السنة، ولا قراءة في كتبِ السنةِ، ولا في شروح السنة، فهذه مجرَّد دعوىٰ.

«**حفظًا**» فالأئمة حفَّاظ، ولا ينال الإنسانُ هذا الوصفَ إلا إذا حفِظ وفهم، اللهم إلا إذا حاول الحفظَ وعجز، فهذا يعذر، ويبقىٰ أن الفهم والتدوين والتأليف أيضًا مما يجعل الإنسان يُوصف بهذا الوصفِ.

«**مع الكشفِ عن تفسيرِها ودُم**»، فبعض الناس له عناية بالمتونِ دون العناية بالشروحِ، وإدامةُ النظر في الشروح تُعطي طالب العلم ملَكة يستطيع من خلالها أن يفهَم السنة، بل ويشرح منها ما لم يُشرح قَبل؛ فأحاديث البخاري ومسلم وباقي الستة مخدومة مشروحة، أما غير تلك الدواوين، فقد تأتيك فيها أحاديثُ لم تشرح، فقد يمر بك حديثٌ في الطبراني مثلًا، أو في مسند أحمد لم يسبق شرحه، فلا تقف أمامه وكأنه من الطلاسم، بل تجتهد أنت في شرحه؛ لأنه قد تولَّدت عندك الملكة، وصرت تستطيع أن تتعاملَ مع النصوصِ، كما قلنا في نظيرِه بالنسبة لمن يُديم النظر في كلامِ السلفِ في تفسيرِ كلامِ الله ﷻ.

واقـرأ كتابًـا يُفيـد الاصـطلاح بـه (١٥٦) تدري الصَّحيح من الموصوفِ بالسَّقَمِ

فـلا يُعقـل أن طالـب الحـديث لا يعـرف المصـطلح؛ لأن المصـطلح هـو القواعد المُعرِّفة بحال الراوي والمروي، فلا بد من معرفته، ولا بد من التدرج فيه، فقراءة كتاب واحد لا تكفي، حتىٰ وإن كان كبيرًا؛ لأن الكبير لن يُفهم إلا بقراءة كتاب صغير قبله، فلا بد أن تتدرج في ثلاثة كتب أو أربعة: واحدٍ تلو الآخر، فتبدأ بما يُناسب المبتدئ، ثم بعد ذلك ما يُناسب المتوسط، ثم ما يُناسب المتقدم والمنتهي، في طريقة ذكرناها في «مقدمة الألفية»[(١)]، يرجع إليها من أرادها.

فهي المحجَّة فاسلُك غير منحرفٍ (١٥٧) وهي الحنيفيَّة السَّمحاءُ فاعتَصِمِ

«**فهي المحجَّة**» الطريق الواضح البين؛ «**فاسلُك غير منحرفٍ**» لا يمينًا ولا شمالًا، بل اسلك الصراطَ المستقيمَ، اسلك هذه المحجةَ البيضاءَ؛ كما جاء: «**تركتُكم علىٰ البيضاءِ ليلها كنهارها**»[(٢)].

«**وهي الحنيفيَّة السَّمحاءُ فاعتَصِمِ**»، أي: اعتصم بدينك، اعتصم بكتاب ربك وسنة نبيك ﷺ.

(١) ينظر: صعود المراقي إلىٰ ألفية العراقي ١/ ١٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن ماجه، مقدمة السنن، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٣)، وأحمد (١٧١٤٢)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. وقال أبو نعيم الأصبهاني في المستخرج علىٰ مسلم (٢): «وهذا حديث جيد من صحيح حديث الشاميين».

وحيٌ من اللّه كالقرآنِ شاهدُه (١٥٨) في سورةِ النجمِ فاحفَظه ولا تهمِ

«وحيٌ من الله كالقرآنِ شاهدُه» السنة وحي من الله ﷻ كالقرآن «في سورةِ النجمِ فاحفَظه ولا تهمِ»، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

خيرُ الكلامِ ومن خيرِ الأنامِ بدا (١٥٩) من خيرِ قلبٍ به قد فاه خيرُ فمِ

«خيرُ الكلامِ ومن خيرِ الأنامِ بدا»، كما في الحديث: «أما بعد: فإن خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ»[1]، فخير الكلامِ هو كلام الله تعالىٰ، وإذا قلنا: إن السنة وحي، فهي مثل كلام الله، إذًا فهي خير الكلام بعد كلام الله، خرجت من خير الخلق «من خيرِ قلبٍ» ومن أسلمِ قلبٍ، ومن أطهرِ قلبٍ، ومن أنصحِ قلبٍ.

«به قد فاه خيرُ فمِ» وهو فمه ﷺ أطيب الأفواه.

وهي البيانُ لأسرارِ الكتابِ فبالـ (١٦٠) إعراضِ عن حكمِها كن غيرَ متَّسمِ

«وهي البيانُ لأسرارِ الكتابِ»، يعني: أنها مبينة لما جاء مجملًا في القرآن، فما أجمل فيه يُبينه النبي ﷺ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، وابن ماجه (٤٥)، من حديث جابر رضي الله عنه.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]؛ فوظيفته ﷺ البيان.

«فبالإعراضِ عن حكمِها»، عن حكم السنة «كن غيرَ متَّسمِ»؛ لأنك إذا أعرضت عن المبيِّن فلن تفهم المبيَّن، ولو ادَّعيت أنك من أهل الله وخاصَّته، ومن أهل العناية بالقرآن؛ لأنه سيرد عليك أشياء تحتاج إلىٰ بيانٍ، وبيانها في السنة، فالمفترض أن تعتني بالسنة كعنايتك بالقرآن.

حكِّم نبيَّك وانْقَدْ وارضَ سنَّته (١٦١) مع اليقينِ وحول الشكِّ لا تَحُمِ

«حكِّم نبيَّك»، يعني: إذا قال: افعل، فافعل، وإذا قال: لا تفعل، فلا تفعل، وإذا قال بمحبة فلان، فأحبه، وإذا قال بحبِّ عملٍ، فكذلك، وإذا قال: أبغض، فأبغض، فلا يكون لك خيار، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]؛ فإذا قضىٰ الله ورسوله أمرًا فلا بد من السمع والطاعة. يعني: حكِّمهما في نفسك وفي غيرك، وابدأ بنفسك؛ لتكون قدوةً للناس، فالنبي ﷺ لما وضع الدماء والربا في خطبة الوداع قال: «**أوَّل دم أضعُ من دمائنا دم رَبيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأوَّل ربًا أضعه رِبانا ربا العبَّاس**»[1]؛ لأنه لا يُمكن أن يكون قدوةً وهو يفرض علىٰ الناس ويترك نفسَه، أو يفرض علىٰ أولادِ الناسِ ويترك أهلَه وأولادَه، بل يجب أن يبدأ بنفسه.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ما جاء في حجة النبي ﷺ (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، من حديث جابر رضي الله عنه.

«وانقَد» أمرٌ من الانقياد، أي: حَكِّمِ الشرعَ وانقدْ له.

«وارضَ سنَّته»، ارضَ بها، ولا تبغِ بها بديلًا، ولا تخالفها.

«مع اليقينِ» بدون تردُّد.

«وحول الشكِّ لا تَحُمِ»، أي: ابعد نفسك عن الشكِّ والريب، وألزِمها باليقين الذي لا تردد فيه ولا ريب.

واعضُض عليها وجانِبْ كلَّ محدَثةٍ (١٦٢) وقل لذي بدعةٍ يدعوك لا نَعَمِ

«واعضُض عليها»، عضَّ علىٰ سنة نبيِّك بنواجذك، فإذا سمعت حديثًا فيه أمرٌ، فبادر بالعمل به، وإذا سمعت حديثًا فيه نهيٌ عن شيء، فبادر بتركه والبعد عنه.

«وجانِبْ كلَّ محدَثةٍ»، يعني: التزم السنةَ وجانب البدعة، كما جاء: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي، عضوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدَثات الأمورِ**»[(١)] فقوله ﷺ: «**وإياكم**» تحذير من محدثات الأمور ومن البدع، فإن كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ[(٢)].

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه، مقدمة السنن، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) إشارة إلىٰ حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا الذي أخرجه بلفظه: النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة (١٥٧٨)، وصحَّحه ابن خزيمة (١٧٨٥). وأخرجه دون قوله: «وكل ضلالة في النار» مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، وابن ماجه (٤٥).

«وقل لذي بدعةٍ يدعوك لا نَعَمِ»؛ فلا سمع ولا طاعة لمن يدعوا إلىٰ خلاف ما بلَغه النبي ﷺ، و سلف هذه الأمَّة وأئمَّتها.

فما لذي رِيبة في نفسِه حرجٌ (١٦٣) مما قضى قطُّ في الإيمانِ من قسَمِ

ليس له قسم، ولا نصيب.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أقوى زاجرًا لأُولي الـ (١٦٤) ألبابِ والملحدُ الزِّنديقُ في صَمَمِ

«﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾» قوله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] هو «أقوىٰ زاجرًا لأُولي الألبابِ» للشخصِ العاقلِ ذي اللبِّ والعقلِ السليمِ، الذي يحرص علىٰ نجاةِ نفسِه.

وقد وقع أن شخصًا كبير السن صارت له خصومةٌ عند أحدِ القضاة، فلما انتهت وحُكم عليه، قيل له: يجوز لك حسب اللَّائحة أن تعترض وترفع الأمر لمحكمة التمييز، فطأطأ رأسه وبَكىٰ قائلًا: كيف أعترض علىٰ حكم الله، والله ﷻ يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؟! يعني: حتىٰ لو افترضنا أن الحكم خاطئ، لكنَّ مقدِّماته الشرعية مُلزمة لي ولغيري.

ولا يعني هذا أن وجود المحاكم العُليا - من التمييز ومجلس القضاء- خطأ؛ فكثرة المشاكل وكثرة الناس تَستدعي كثرة القضاة، وكثرةُ القضاة

تَستدعي التفاوت الكبير بينهم، والقاضي الحدَث السن، الجديد علىٰ القضاء يُمكن أن يخطئ؛ فرفع الأمر للتمييز واللُّجوء للمحاكم العليا ليس فيه اعتراض علىٰ حكم الله، بل هذا ينتقل من حكم الله علىٰ يد هذا القاضي الصغير، إلىٰ حكم الله علىٰ يد قاضٍ أكبر منه، فهو ما زال في دائرة حكم الله ﷻ، ولا إشكال في مثل ذلك، والحاجة داعية إليه، وإنما الإشكال فيما لو لم يرض بالحكم الشرعيِّ وانتقل إلىٰ حكمِ القانونِ المدنيِّ؛ بحجَّة أن قوانينه ثابتةٌ ومضبوطةٌ ومتقنةٌ، فهو في هذا مثل المنافق الذي لم يرض بالنبيِّ ﷺ ورضي بحكمِ اليهود[1].

ولا شك أن صنيع هذا الرجل الباكي - عندما قيل له: لك الحق في الرفع إلىٰ التمييز- مما يُحمد عليه؛ لتسليمه التام، فأصحاب العقول يُسلمون ويرضون، والخير موجود في أمة محمد ﷺ إلىٰ قيام الساعة.

«**والملحدُ الزِّنديقُ في صَمَمِ**»، في صممٍ عن سماع الحق، ومن باب أولىٰ عن العمل به.

(١) إشارة إلىٰ القصة التي أخرجها المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧١١)، والطبري في التفسير ٧/ ١٨٩ من حديث الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «كان رجل من الأنصار ممن يزعم أنه مسلم بينه وبين رجل من اليهود خصومة، فجعل الذي من الأنصار يدعو اليهودي إلىٰ أن يحاكمه إلىٰ أهل دينه؛ لأنه قد عَلم أنهم يأخذون الرِّشوة في الحكم، وكان اليهودي يدعوه إلىٰ أن يحاكم إلىٰ النبي ﷺ - أو قال: إلىٰ المسلمين- لأنه قد علم أنهم لا يأخذون الرشوة في الحكم، فاتفقا علىٰ أن يتحاكما إلىٰ كاهن من جهينة...».

في الفرائض والآلة
والتحذير من العلوم المبتدعة

لما ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوصية بكتاب الله ﷻ، وسنةِ نبيِّه ﷺ، ذكر ما يُعين علىٰ فهمِ الكتابِ والسنةِ؛ فبدأ بالفرائضِ والآلةِ، وحذَّر بعد ذلك من العلومِ المبتدعةِ، بدأ بالفرائض التي هي قسمة تركة المواريث وما يتعلَّق بها، فقال:

وبالفرائضِ نصفِ العلمِ فاعْنَ كما (١٦٥) أوصى الإلهُ وخيرُ الرُّسلِ كلِّهمِ

«**وبالفرائضِ نصفِ العلمِ فاعْنَ**»، يعني: كما جاء عند الترمذيِّ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعلَّموا القرآنَ والفرائضَ، وعلِّموها الناس؛ فإني مقبوض**»[(١)] قال أبو عيسىٰ: «هذا حديث فيه اضطراب... ضعَّفه أحمد بن حنبل وغيره»، وضعفُهُ ظاهر؛ لأن في إسنادِهِ شهر بن حوشب[(٢)(٣)].

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض (٢٠٩١).

(٢) هو: أبو سَعِيد شهر بن حوشب الأشعري. روىٰ عن: أبي هُرَيرة، وأبي ذر، وعائشة وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. روىٰ عنه: قتادة، وثابت البناني، وبديل بن ميسرة، وجماعة. مختلف فيه؛ فقد ضعَّفه: شعبة، وموسىٰ بن هارون، والنسائي، وابن حبان، وأبو أحمد الحاكم، وابن عدي، والبيهقي، وابن حزم. ووثَّقه ابن معين، والعجلي، ويعقوب بن شيبة، وقال أحمد، وأبو زرعة: «ليس به بأس». وقال البخاري: «حسن الحديث». توفي سنة ١١٢هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: تهذيب التهذيب (٦٢٥). وقال في التقريب (٢٨٣٠): «صدوق كثير الإرسال والأوهام».

(٣) وفي إسناده أيضًا عند الترمذي: «محمد بن القاسم الأسدي» قال الحافظ في التقريب (٦٢٢٩): «كذَّبوه».

والحديث عند ابن ماجه، والحاكم بلفظ: «**يا أبا هريرة، تعلَّموا الفرائضَ وعلِّموها؛ فإنها نصفُ العلمِ، وهو يُنسىٰ، وهو أوَّل شيء يُنزع من أمَّتي**»(١)، وهذا الحديث صحَّحه الحاكم، وفيه نظر(٢)؛ لأن في إسنادِه حفص بن عمر، وقد ضعَّفه البخاري، والنسائي، وأبو حاتم وغيرهم(٣).

والمقصود: أن الحديث ضعيف، وأهل العلم يذكرون هذا في بيانِ فضلِ علمِ الفرائضِ، ويوجِّهون معناه بأن العلم منه ما يتعلَّق بما قبل الوفاة وما يتعلَّق بما بعد الوفاة، فالعلوم كلُّها علاقتها بما في الحياة، أما بالنسبة للفرائض، فهو متعلق بقسم التركات، وهي بعد الوفاة.

«**كما أوصىٰ الإله**»، أي: كما أوصىٰ الإله في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١] «**وخيرُ الرُّسل كلِّهم**»، كما تقدم.

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفرائض، باب الحث علىٰ تعليم الفرائض (٢٧١٩)، والحاكم (٨١٦٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في التهذيب ٢/ ٤٠٩ في ترجمة حفص بن عمر: «وقال الحاكم: يروي عن أبي الزناد وعقيل مناكير... ثم غفل الحاكم، فأخرج حديثه المذكور في المستدرك».

(٣) هو: حفص بن عمر بن أبي العطَّاف السهمي. روىٰ عن: أبي الزناد. وعنه: ابن أبي فديك، وأبو ثابت المدني، وإبراهيم بن المنذر وغيرهم. قال البخاري، وأبو حاتم، وابن عدي: «مُنكَر الحَدِيث»، وبنحو ذلك قال الحاكم، وأبو سعيد النقاش. وزاد البخاري: «رماه يحيىٰ بالكذب». وضعَّفه النَّسائي، وابنُ حبَّان، وابن حجر. توفي بعد سنة ١٨٠هـ. ينظر: التهذيب؛ لابن حجر (٧١٦). والتقريب؛ لابن حجر (١٤١٨).

مـن فضـلِها أن تـولَّى اللهُ قِسـمَتها (١٦٦) ولم يكِلْهـا إلى عـربٍ ولا عجَـمِ

«**من فضلِها أن تولَّى اللهُ قِسمَتها**» في كتابه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١]... إلىٰ آخر آيات المواريث.

«**ولم يكِلْها إلىٰ عربٍ ولا عجَمٍ**»، بل تولىٰ الله ﷻ قسمة الحقوقِ المتعلِّقةِ بالتركةِ لأصحابِ الفروضِ، وللعصبةِ وغيرهم من الوارثين، فبيَّنها بالتفصيل مع شروطها، وما جاء في السنة من قدرٍ زائدٍ علىٰ ما في القرآن، فهو مجرد توضيح مع أحكامٍ قليلةٍ جدًّا، فجملة أحكامِ المواريثِ مُسطرة في سورة النساء.

وهذا العلم في غايةِ الأهميةِ، ومع ذلك فحصرُه ممكن، يعني: لو عكف عليه طالبُ العلم أسبوعًا لأتقنه، فهو علم منضبط؛ ولذا فهو أوَّل علم دخل في الآلات الحاسبة؛ كالحاسب الآلي وغيره، فقد دخل قبل ربع قرن، يعني: قبل أن يشيع استعمال العلومِ كلِّها في الآلات.

وطالب العلم يُمكن أن يدركه بمجرَّد حفظ «الرحبيَّة»[1]، وقراءة شروحها، فالرحبية (١٧٠) بيتًا، فإدراكها سهل، وأيضًا فآيات الفرائض واضحة ومعدودة، فيسهل علىٰ طالب العلم أن يُقارن ما جاء في كتبِ الفرائضِ، وما جاء في القرآنِ الكريمِ.

(١) هو: كتاب «بغية الباحث عن جمل المواريث» لأبي عبد الله محمد بن علي الرَّحَبي الشافعي (ت٥٧٧هـ).

والتأليف في الفرائض على نوعين:

- **النوع الأول:** علىٰ الوارثين؛ كما جاء في القرآن الكريم.
- **النوع الثاني:** علىٰ الفروض المقدَّرة، ثم التعصيب، ثم ذوي الأرحام، علىٰ طريقةِ أهلِ العلمِ في الفرائضِ.

وكلُّها أمرها منضبط علىٰ حدٍّ سواء، يعني: سواءٌ قرأها الطالب علىٰ طريقةِ القرآنِ في بيان الوارثين مع شروطِهم، أو علىٰ طريقةِ التأليفِ عند أهلِ العلمِ علىٰ الفروضِ وأصحابها، فالأمر سهل.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ مع ما بعدَها اتَّصلت (١٦٧) وفي الكلالَةِ أخرى فادنُ واغتَنِم

يعني: الكلالة فيها آيتان، منها آية متصلة بآيات المواريث، ومنها آية متأخِّرة، وهي آية الصيف[١] التي هي آخر سورةِ النساءِ.

وخُذ إذا شِئت ما قد تستَعين به (١٦٨) من آلةٍ تُلْفِها حلاًّ لمنبَهِم

فهناك علوم تُعين علىٰ فهم نصوص الوحيين؛ كعلوم العربية بفروعها الاثني عشر[٢]، التي بلا شك لا يستغني عنها طالب العلم؛ لأن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، والنبي ﷺ عربي، وحديثه بلغة العرب، وهذا إنما يُفهم من خلالِ معرفةِ العربيةِ.

(١) قال النووي في شرحه علىٰ مسلم ١١/ ٥٧: «لأنها نزلت في الصيف».

(٢) تقدم في (ص: ١٠٠).

كالنَّحوِ والصرفِ والتجويدِ مع لغةٍ (١٦٩) يُدرى بها حلُّ ما يخفى من الكلِمِ

«كالنَّحوِ والصرفِ» والبيان، والمعاني، والبديع، والوضع والاشتقاق، وغيرها من فروع العربية، «والتجويدِ» وهذا يُعين علىٰ أداءِ القرآنِ علىٰ الوجهِ المطلوبِ.

«مع لغةٍ» لا شك أن النحو والصرف فرعٌ من فروعِ اللغةِ، لكنه لما عطفه علىٰ اللغةِ دلَّ علىٰ أنه أراد باللغة بقية الفروع مما يشمل مفردات اللغة، وفقهها، وكل ما يتعلَّق بلغة العرب.

ونحتاج أيضًا إلىٰ علومِ الحديثِ، وأصولِ الفقهِ، وقواعدِ التفسير، وغيرها من العلومِ التي تُعيننا علىٰ فهمِ النصوصِ.

«يُدرىٰ بها حلُّ ما يخفىٰ من الكلِمِ»، يعني: من كلام الله ﷻ، وكلام نبيه ﷺ.

واحذَر قوانين أربابِ الكلامِ فما (١٧٠) بها من العلمِ غير الشكِّ والتُّهمِ

فعلم الكلام يُورث الشك؛ لأنه عبارة عن قوانين وقواعد زعَم واضعها أنها تعصِم رأيه من الخطأ، ولو لم يعتمد علىٰ كتابٍ ولا علىٰ سنةٍ، فهم يُريدون أن يكيِّفوا العقلَ البشريَّ علىٰ قواعِدهم، وكثير من الأمورِ المتعلقةِ بالعقلِ البشريِّ تخفىٰ علىٰ جميعِ الناسِ، فلا يعلمها إلا الله ﷻ، فهم يريدون أن يتكلَّموا في أمور لا يُدركون حقيقتها ولا كُنْهَهَا، ويسترسلون مع عقولهم المجرَّدة، فيضعون المقدمات ويرتِّبون عليها النتائج، وهذه القواعد والمقدِّمات إذا لم تعتمد علىٰ

كلامِ الله ﷻ؛ فإن النتائج لن تكون سليمةً، فعلم الكلام علم غثٌّ، كما قال ابن تيمية: «لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد»[١].

وإن كان يسوغ للمتمكِّن من علومِ الكتابِ والسنةِ، المستحضرِ للعلومِ الشرعيةِ؛ أن يتعلَّم من علم الكلام ما يفهم به أقوالَ المخالفين، بحيث يستطيع الردَّ عليهم ونقضَ قواعدِهم بقواعدِهم، آمنًا على نفسه من الزلل والخطأ؛ ولذا لما ردَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الجهمية في «نقض التأسيس» مدحه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

وكذلك التأسيس أصبح نقضُه أعجوبةً للعالم الربَّاني

ومن العجائبِ أنَّه بسلاحِهم أرداهمُ تحت الحضيضِ الداني[٢]

فالذي لا يعرف سلاحهم، وطريقة كلامهم؛ لا يستطيع الردَّ عليهم.

لكنَّ المسلم الذي يُريد نجاة نفسه يكفيه أن يقتصرَ على نصوصِ الوحيين، وما يُعين على فهمهما، ويبقى أن الردَّ على المخالفين فرض كفاية، يتولَّاه من تأهَّل لذلك، فلا يلزم كل الناس أن يدرسوا المنطقَ وعلمَ الكلامِ - كما قُرر في بعض الكليات الشرعية -، فالمرحلة الجامعية فيها الطالب الضعيف والجيد، والغبي والذكي، وفيها الذي يُخشى عليه من الانحراف، أما مرحلة الدراسات العليا فهذه لا مانع من أن يُنتقى منها مَن يتصف بالذكاء والتدين؛ فيدرس ويطَّلع على مخالفات القوم؛ ليردَّ عليهم بأقوالهم.

---

(١) مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية ٩/ ٨٢.

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٢٣٠).

وكل هؤلاء المتكلِّمين أفضىٰ أمرهم إلىٰ الشكِّ والحيرة، فمنهم من كُتب له الندم والتوبة، ومنهم من كتب الله له الاستمرارَ علىٰ ما عنده من شُبهات، فمات علىٰ ذلك، والله يتولىٰ الجميع.

قاموس فلسفةٍ مِفتاحُ زندَقةٍ (١٧١) كم من ملمٍّ به قد باء بالنَّدمِ

«**قاموس فلسفةٍ**»، يعني: الكتاب الذي يجمع الاصطلاحات الفلسفية، «**مِفتاحُ زندَقةٍ**» إذا اعتمد عليه الإنسان، وأعرض عن الكتاب والسنة، فسيئول به الأمر في نهايته إلىٰ الزندقة، فلا يعصمه من الزلل إلا الاعتصام بالكتابِ والسنةِ.

«**كم من ملمٍّ به قد باء بالنَّدمِ**»، فكم نُقل من توبةٍ لهؤلاء وندمٍ، حتىٰ تمنَّوا لو أنهم لم ينظروا في علمِ الكلامِ، ولأهلِ العلمِ كلام شديد في حكمهم علىٰ أهلِ الكلامِ؛ كقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: «حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا علىٰ الإبلِ، ويُطاف بهم في العشائرِ والقبائلِ، ويُنادىٰ عليهم: هذا جزاءُ من ترَك الكتابَ والسنةَ وأقبل علىٰ الكلامِ»[(١)]. والمقصود أنه علمٌ لا حاجة لطالبِ العلمِ إليه، إنما يحتاجه فئة ممن يتصدىٰ للردِّ عليهم.

(١) أخرجه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (١١٤٢). وذكره أبو العباس القرطبي في المفهم ٦/ ٦٩١.

راموا بها عَزل حكمِ اللّٰه واقترحوا (١٧٢) للحـــقِّ ردًّا وإنفـــاذًا لحُكمهـــمِ

«راموا بها»، يعني: بهذه القواعد التي قعَّدوها في علم الكلام «عَزلَ حكمِ الله واقترحوا للحقِّ ردًّا وإنفاذًا لحُكمهمِ»؛ لأن قواعدهم لا تروج ما دامت هيبة الكتابِ والسنةِ ثابتة في نفوس المسلمين، فأرادوا أن يُبطلوا نصوص الكتاب والسنة؛ ليجدَ علمُهُمْ محلًّا في قلوب المسلمين.

يـرَوك أن تـزنِ الـوَحيين مجترئًـا (١٧٣) علـيهما بعقـولِ المُغْفِـل العجـمِ

يعني: يريدون أن يَروْك قد جعلتَ المنطق ميزانًا تزن به الوحيين، ما صححه المنطق منهما قبِلْتَه، وما لم يصحِّحْه رددتَهُ.

وأكثر من اعتنىٰ بعلمِ الكلامِ هم الأعاجم؛ فعلم الكلام لم يوجد في سلفِ هذه الأمةِ، لا في عصر الصحابة ولا التابعين.

وأن تحكِّمهـــا في كـــلِّ مُشـــتَجَر (١٧٤) إذ ليس في الوحيِ من حكمٍ لمحتَكمِ

«وأن تحكِّمها في كلِّ مُشتَجَر»، يعني: تحكِّم قواعدهم، وترجع إليها في كلِّ موضع خلاف؛ «إذ ليس في الوحيِ من حكمٍ لمحتكمِ» بينما المطلوب: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

أما الكتابُ فحرِّفْ عن مواضعِه (١٧٥) إذ ليس يُعجزك التحريفُ للكَلِمِ

«أما الكتابُ فحرِّف عن مواضعِه»، فالقرآن ليس في استطاعتهم أن يقولوا: هو آحاد، أو يقولوا: هو ظني؛ ولذا كان معولهم معه على التحريف، فبدلًا من ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥] قالوا: استولى.

«إذ ليس يُعجزك التحريفُ للكَلِمِ»، فمثلًا: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء: ١٦٤] قالوا: إنه من الكَلْمِ[١] أي: الجرح؛ يعني: جرح الله موسى بأظفارِ المحنِ ومخالبِ الفتنِ[٢]، وهذا تحريف.

كذا الأحاديثُ آحادٌ وليس بها (١٧٦) برهانُ حقٍّ ولا فصلٌ لمختَصِمِ

فالسنَّة أمرها عليهم سهل؛ إذ قالوا: إنها آحاد، والآحاد لا يُفيد إلا الظن.

وقد أبى اللهُ إلا نصرَ ما خذَلوا (١٧٧) وكَسر ما نصَروا منهم على رغَمِ

«وقد أبى الله إلا نصرَ ما خذَلوا»، فقيَّض الله للعلمِ الصحيحِ - المورثِ للخشيةِ الموصلِ إلى جناتِ الله ﷻ ومرضاتِه، وإلى النعيم المقيم - علماءَ

(١) كَلمه يكْلِمه كَلْمًا: جرَحه، فهو مَكلوم وكَليم. المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة: كلم).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري ١/ ٥٩١.

يرفعون به رؤوسهم، ويرتفعون به، ويرفعون شأنه بعنايتهم به، وتعلُّمه وتعليمه وبثه ونشره.

«وكَسر ما نصَروا منهم علىٰ رغمِ» أي: علىٰ رغمِ أنفِ مَن حاول التقليلَ من شأنِ العلمِ الشرعيِّ.

كـذا الكَهانَـةُ والتَّنجـيم إنهـما (١٧٨) كُفران قد عبَثا بالناس من قِدَمِ

«كذا الكَهانَةُ والتَّنجيم إنهما كُفران»؛ فالكاهن والمنجم الذي يدَّعي علمَ الغيب، لا شك أنهما كافران.

«قد عبَثا بالناس من قِدَمِ» فالسحر موجود من الأزمان الأولىٰ، من عهد موسىٰ عليه السلام.

إسنادُها حزبُ إبليس اللَّعين كما (١٧٩) متونُها أكذبُ المنقولِ من كَلِمِ

«إسنادُها حزبُ إبليس اللَّعين»، يعني: هذا تعلم من هذا، وهذا من ذاك، إلىٰ أن يصلوا إلىٰ إبليس اللعين.

«كما متونُها»، يعني: ما يتكلَّم به هؤلاء السحرة «أكذبُ المنقولِ من كَلِمِ»، فمُتون السحر ومصنفاته هي أكذب المنقول من كلم؛ ككتاب «شمس

المعارف»[١]، و«مجربات الدَّيْربي»[٢] فهذه كتب سحرٍ، وهذه الكتب تُباع في أقطار المسلمين بالجملة، وبعض المغفَّلين يقتنيها دون أن يدري كُنهها، وأيضًا توجد بعض الطلاسم في بعضِ كتبِ العلمِ؛ ككتب الطب وغيرها، وبعضها موجود أيضًا في كتاب «حياة الحيوان»[٣]، وهي وإن كانت موجودةً في الكتب، إلا أنها، كما يقول أهل العلم: رموز لشياطين يُستعان بها.

ما للتُّراب وما للغيبِ يُدركه (١٨٠) ما للتصرُّف والمخلوقُ من عدَمِ

يعني: فما الذي يعرفه الترابُ والحصىٰ عن الغيب حتىٰ يُضرب بالتراب وبالحصىٰ لمعرفة الغيب، فما وجه المقاربة بينهما؟!

(١) هو كتاب «شمس المعارف ولطائف العوارف» المشتهر بـ«شمس المعارف الكبرىٰ»، لأحمد بن علي بن يوسف البوني (ت٦٢٢هـ). وهو من أكثر الكتب المتعلِّقة بطريق التنجيم، بل والأمر بعمله، فهو يحدِّد ساعات فلكية تصلح لأعمال الشرِّ، ويصرِّح فيه بمعتقده بتقديس الكواكب السبع السيَّارة، كما حوىٰ الكتاب أوفاقًا قرر أن لها تأثيرًا عظيمًا في كل ما يريده كاتبها من قضاء الحاجات حتىٰ رؤية الأرواح من غير حجاب، وأعمالًا لتفريق المجتمعين ولتهييج المحبة، وغير ذلك. ينظر: الحذر من السحر (ص: ١٥٩).

(٢) هو كتاب: «فتح الملك المجيد المُؤلَّف لنفع العبيد، وقمعِ كلِّ جبارٍ عنيد»، والمشتهر بـ«مُجرّبات الدَّيْرَبي الكبير»، لأحمد بن عمر الدَّيْرَبي (ت١١٥١هـ)، وهو ستة وثلاثين بابًا في خواص الآيات والسور، وفي ذكر حجب مجرَّبة تنفع -بزعمه- لكثير مما عجز عنه الطب الحديث، وفي رقىٰ مَشهورة النفع للحيَّات والعقارب، وطرد البق والبرغوث، وجلب الحمام والسمك، وختامه شعوذة بحيلٍ لإمساكِ النارِ، وإدخال بيضة في قمقم، وغير ذلك. ينظر: الحذر من السحر؛ د. خالد الجريسي (ص: ١٦٧).

(٣) هو كتاب «حياة الحيوان الكبرىٰ» لكمال الدين محمد بن موسىٰ الدميري (ت٨٠٨هـ).

لو كانت الجنُّ تدري الغيبَ ما لبثت (١٨١) دهرًا تُعالج أصنافًا من الألمِ

«**لو كانت الجنُّ تدري الغيبَ**» فالساحر والكاهن الذي يدَّعي علمَ الغيب هو كاذب علىٰ كلِّ حال، ولو أخبرك باسم أمك وأبيك وزوجك، ولون ثوبك.. إلخ، فلا يجوز أن نقول: إنه صادق، ولو طابَق كلامُه الواقع؛ لأن هذا حكم شرعي ليس للعقل فيه مجال، ولا تُطبق فيه قواعد اللغة ولا غيرها. نظيره ما لو رأىٰ ثلاثة من الثقات الأخيار بأمِّ أعينهم شخصًا يزني، فذهبوا للحاكم وقالوا: رأينا فلانًا يزني بفلانة كالمِيل في المُكْحُلة. فهم كاذبون ولو طابق قولهم الواقع، بل ويجلدون علىٰ ذلك ثمانين جلدة؛ قال تعالىٰ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]. فلما لم يأتوا بالرابع حُكم عليهم بالكذبِ؛ لأن المسألة مسألةُ شرع، والشرع أحكامُه مُنضبطة.

فحتىٰ لو أخبرك الساحر بجميع التفاصيل فهو كاذب؛ ولذا جاء الوعيد لمن صدَّقه كما في حديث: «**من أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفَر بما أنزل علىٰ محمد**»[(١)]. وقد حدث أنْ دخل شخص حافظ للقرآن وإمام جامع علىٰ زوجته فحصل له سحر، فذهب إلىٰ ساحرٍ خارج البلاد، فقال له: أنت دخلت

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب في الكاهن (٣٩٠٤)، والترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض (١٣٥)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن إتيان الحائض (٦٣٩)، وأحمد (٩٢٩٠)، وصحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشيخين (١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحَّحه الذهبي في الكبائر (ص: ٣٢٩).

علىٰ فلانةٍ في بلد كذا، في يوم كذا، وكان عليها من الملابس كذا، فدَخلت عليكم امرأةٌ صفتها كذا فرشَّتكم بطيب. فقال له الحافظ: صدقت صدقت. وهذا الرجل الحافظ لا يخفىٰ عليه النصُّ وأننا ملزَمون شرعًا بأن نكذِّبه، لكنه فُتن بكلامه لما طابق الواقعَ، والمسألة مسألة كفر، ولا يُمكن أن يأتي شرع بتصديق كافر.

«ما لبِثتْ دهرًا تُعالج أصنافًا من الألم» كما في قصة سليمان عليه السلام؛ أنه مات وهو متكئ علىٰ مِنسأته - وهي عصاه- وظلَّ علىٰ حاله مدةً طويلة [(١)]، والجن يشتغلون في العذاب المهين طوال هذه المدة، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]؛ فهل هؤلاء يعلمون الغيب؟!

أما النُّجوم فزَين للسَّما ورُجو (١٨٢) مَا للشياطين طردًا لاستماعِهم

كما بها يَهتدي السَّاري لوِجْهتِه (١٨٣) في البرِّ والبحرِ حيث السَّير في الظلَمِ

الحكمة من خلق النجوم ثلاث:

- زين للسماء.
- رجوم للشياطين.
- هداية للسراة.

(١) ينظر: تفسير الطبري٢٠/ ٣٧١، وغرائب التفسير؛ للكرماني ٢/ ٩٣٠.

وقال بعض العلماء المعاصرين الكبار يرثي شيخًا من الشيوخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيا خيبة السَّاري إذا غاب نجمه ... ويا لوعة الصادي إذا جفَّ ماطرُ

والنَّيِّران بحُسبان وذلك تقـ (١٨٤) ـديرُ العزيزِ العليمِ المسبغِ النعَمِ

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]. وقال: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩].

فمن تأوَّل فيها غيرَ ذاك قَفا (١٨٥) ما ليس يعلَمه فهو الكذوبُ سَمِ

يعني: من جعل منازلهما دليلًا علىٰ حوادث، من خير أو شر، فسَمِّه الكذوب.

كالمُقتفين لعُبَّادِ الهياكلِ في (١٨٦) عزوِ التصرُّفِ والتأثيرِ للنَّجمِ

كالمتبعين لعباد الهياكل الذين يرون أن الهياكل هي التي تُصرِّف العالم.

والكاتبين نِظامًا في عبادَتها (١٨٧) عقدًا وكيفًا وتوقيتًا لنُسكهمِ

فالتنجيم والأنواء[1] فيها مؤلفات.

(١) جمع النَّوء، وهو النجم إذا مال للغروب. المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (مادة: نوء).

فـذا سُـعودٌ وذا نَحْـس وطلسَـمُه (١٨٨) كـذا وناسَـبه ذا كـم بخَرصِـهم

يحذر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الكهانة والتنجيم والسحر، والتعلُّق بالنجوم والهياكل، وذكر أن فيها مؤلفات، وهي موجودة بالفعل، ثم بعد ذلك حذر مما يضرُّ ولا ينفع، مما تعلَّق الناس به، وأُشربت قلوبهم حبه، واشرأبَّت نفوسهم إليه، وعلقوا الناس بالنجوم، وجعلوا منها سعدًا ومنها نحسًا، فما وقع من حدث في زمن ما سموه سعدًا تشاءموا به، وهكذا.

واحذَر مجلَّات سوءٍ في الملا نُشرت (١٨٩) تـدعو جهارًا إلى نـشرِ البَلا بهِمِ

يعني: المجلات والجرائد المشتملة علىٰ الشبهاتِ، وعلىٰ الصورِ، وعلىٰ القدحِ في الدينِ وأهلِه.

تدعو لنبذِ الهُدى والدِّين أجمعه (١٩٠) والعلمِ بل كلِّ عقلٍ كاملٍ سَلِمِ

وللرُّكـون إلى الـدُّنيا وزُخرفهـا (١٩١) والرَّتـع كـالحيوانِ السَّـائمِ البَهِمِ

وللتهتُّـك جهـرًا والخلاعَـة مـع (١٩٢) نبـذِ المـروءةِ والأخـلاقِ والشِّـيمِ

«تدعو لنبذِ الْهدىٰ والدِّين أجمعه والعلمِ»، فتزهِّد الناس في دينهم، وتسعىٰ جاهدةً لإسقاط مَن له شأن في الدينِ، وتشكيك الناس في دينهم، وعلمائهم، «بل كلِّ عقلٍ كاملٍ سَلِمِ» بل تسعىٰ جاهدة لإفساد العقول السليمة، فهل من سلامة العقل أن يُنفق الإنسان الساعات في قراءة الجرائد والمجلات حرفًا

حرفًا، مع أنه قد يأثم بقراءتها، ويترك ما يُؤجر على قراءته؟! ويُستثنى من ذلك ما لو اتفق مجموعة من طلاب العلم على قراءة هذه الصحف لتتبع هؤلاء المفسدين؛ والرد عليهم، وإبلاغ المسؤولين عن خططهم، وهذا جيد، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حماية جناب الدين.

«وللرُّكون إلى الدُّنيا وزُخرفها والرَّتع كالحيوانِ السَّائمِ البَهِمِ»، فلا يهتمون إلا بأمور الدنيا، كإعلانات البيع والشراء، وإعلانات عن أمور لا ينبغي لمسلم أن يعتني بها، ودعايات تُعلن صورًا لنساء خليعات، والأصل في الصور كلها أنها محرمة، ولو لم يكن فيها إلا التصوير، لكان الأحرى والأجدر بطالبِ العلمِ أن يجتنبها. فهل في مثل هذه الحال يجوز أن تنفق وقتك كله في مطالعة هذه الجرائد، والاستغناء بها عما ينفعك في دينك ودنياك؟!.

«وللتهتُّك جهرًا والخلاعَة مع نبذِ المروءةِ والأخلاقِ والشِّيمِ»، ففيها صور عارية للنساء، وأيضًا للرجال، فتجد فيها ما يفتن النساء بالرجال، وما يفتن الرجال بالنساء.

والاعتماد على الأسبابِ مُطلقها (١٩٣) دون المسبِّب والخلَّاق من عدَمِ

إما أن يكون هذا الكلام متعلِّقًا بما يُنشر في الجرائد والمجلات، أي: أنها تدعو للاعتماد على الأسبابِ دون المسبِّب، أو يكون الكلام مستأنفًا، يعني: احذر الاعتماد.

والكفرِ باللهِ والأملاكِ مع رسلٍ (١٩٤) والوحيِ مع قدرٍ والبعثِ للرِّمِمِ

علىٰ ما تقدم إن كان الكلام متصلًا، فالمراد من يطعن في أركانِ الإيمانِ، ويُشكِّك في حقائق الشرع، وفيما اشتمل عليه القرآن والسنة، ويدعو إلىٰ الإلحاد، وهذا موجودٌ في كثير من المجلَّات والجرائد، لا سيما ما وُجد في مصر والشام قبل مائة سنة، ففيها هذه الأمور واضحة، ولا زالت موجودة إلىٰ الآن، ويكتب فيها فجرة، وكفَّار؛ من نصارىٰ وغيرهم، فعلىٰ طالب العلم أن يحذَرها.

ولاعتناقِ الطبيعيَّات ليس لها (١٩٥) مدبِّر فاعلٌ ما شاء لم يَضِمِ

قامَت لدَيهم بلا قيُّومٍ[1] ابْدَعها (١٩٦) مسخَّرات لغاياتٍ من الحِكَمِ

يعني: فعندهم أن الطبيعة هي التي أوجدت هذه المخلوقات، وليس الله ﷻ هو الذي أوجدها.

سمَّوه مدحًا له العلمَ الجديدَ بل الـ (١٩٧) كفرُ القديمُ ومنه القولُ بالقِدَمِ

سمَّوا علم الفلك الهيئة الجديدة، وفيه مؤلَّفات للمتقدِّمين وللمعاصرين، وهناك أيضًا ردود علىٰ أصحاب الهيئة الجديدة، فالشيخ حمود التويجري[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١) «بلا قيُّومٍ ابْدَعها» بتسهيل الهمزة مراعاةً للوزن، ويمكن ترك التنوين في «قَيُّومٍ» مع قطع الهمزة.

(٢) هو: حمود بن عبد الله التويجري، عالم، قاض، كاتب، وُلد بمدينة المجمعة في السعودية. توفي سنة ١٤١٣هـ. له تصانيف منها: «إنكار التكبير الجماعي»، و«إتحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء»، و«إثبات علو الله ومباينته لخلقه»، و«الإجابة الجلية علىٰ الأسئلة الكويتية». ينظر: تكملة معجم المؤلفين؛ محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف (ص: ١٦٦).

له رد سمَّاه «الصواعق الشديدة علىٰ أتباع الهيئة الجديدة»، وله ذيل علىٰ الصواعق أكبر منه.

تقسَّموه الملاحيدُ الطُّغاةُ على (١٩٨) سهمٍ وأكثرَ لا أهلاً بذي القِسَمِ

تقسَّموا هذه الأعمال في هذه الجرائد، وصار كل واحد له عمود ثابت يكتب في هذا التخصص الذي انبرىٰ له.

وكلَّما مرَّ قرنٌ أو قرونُ أتَوا (١٩٩) به على صورةٍ أخرى لخُبثهمِ

فالشر أصله واحد، ولكل قوم وارث، والذي يختلف هو الآليات، ولكل عصر ما يُناسبه.

بعضُ الخبيثِ على بعضٍ سيرَكُمه (٢٠٠) ربي ويجعَله في النَّار للضَّرمِ

فهذه الأمور وهذا الخبث كلُّه ظلمات بعضها فوق بعض، ستُركم وتُلقىٰ في جهنم.

واعجَب لعدوانِ قومٍ حاولوا سفهًا (٢٠١) أن يجمَعوه إلى الإسلام في كممِ

كما يُقال علىٰ سبيل التمشية لبعض الأمور: هذا علىٰ الطريقةِ الإسلاميةِ، وهذا علم الفلك الإسلامي، والغناء الإسلامي، فيُلصقونه بالإسلامِ.

وكذا قولهم: الطبيب الرَّوحاني، ذلك الذي يخرج في القنوات يُعلن عن نفسه، وعنوانه، وكيفية الاتصال به، وهو في حقيقته ساحر خبيث. وكما جاء في الخمرة يشربونها ويُسمونها بغير اسمها[1]، فيسمونها: مشروبًا روحيًا.

كالنَّار في الماءِ أو طُهْرٍ على حدثٍ (٢٠٢) في وقتِه أو إخاءِ الذِّئبِ والغنَمِ

«**كالنَّار في الماءِ**» لا يمكن أن يجتمعا «**أو طُهْرٍ على حدثٍ في وقتِه**»، فلا يجتمعان كذلك؛ فإذا وُجد أحدهما ارتفع الثاني؛ لأنهما نقيضان «**أو إخاءِ الذِّئبِ والغنَمِ**»، فلا يمكن أن يُجمع بين الذئب والغنم، كما أنه لا يُجمع بين الضب والحوت.

(١) إشارة إلى ما أخرجه أبو داود (٣٦٨٨) وابن ماجه (٤٠٢٠)، من حديث أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»، وله شواهد عن أبي أمامة، وعائشة، ورجل من الصحابة رضي الله عنهم.

خاتمة في تحصيل ثمرات العلم النافعة

واجتنـاء قطوفـه الدانيـة اليانعـة

وحاصِل العلمِ ما أملي الصِّفات لـه (٢٠٣) فأصغِ سمعَك واستَنصت إلى كَلِمي

«وحاصِلُ العلمِ ما أُملي الصِّفات له فأصغِ سمعَك» فحاصل العلم، وخلاصة بابه ما تتضمَّنه هذه الوصايا، فأصغِ لها سمعك، وانتبه لها.

«واستَنصت إلىٰ كَلِمي»، أي: أنصت، وقال: «استنصت» مبالغة في طلب معنىٰ الإنصات.

وذاك لا حفظُك الفُتيا بأحرُفها (٢٠٤) ولا بتسويدِك الأوراقَ بالحممِ

«وذاك لا حفظُك الفُتيا بأحرُفها»، أي: احرص علىٰ كلامِ أهلِ العلمِ، واطلع علىٰ أقوالِ فقهاءِ الأمصارِ، إضافة إلىٰ ما عندك من علمِ الكتابِ والسنةِ، فليس الأمر هو مجرَّد حفظك للفتيا، وليس هذا ما سيُؤهلك لأن تكون عالمًا مستقلًّا؛ تستطيع أن تُنقذ من يسألك الإنقاذ من هلكةِ الجهلِ، ومن يستنير بنور علمك؛ ليخرج من ظلامِه إلىٰ نورِ العلمِ.

«ولا بتسويدِك الأوراقَ بالحممِ»، الحمم: الفحم الذي يُكتب به، والحبر الأسود يُشبهه، يعني: لا بكثرة الكتابة وحدها تنبل، ولا بحفظك للفتاوىٰ من غير تأصيلٍ وبناء متينٍ لهذا العلمِ علىٰ أصولِه عند أهلِه؛ ولذا تجدون بعضَ

الناس يُمضي الكثير من عمره في الطلب، وقد يموت بعد أن زاحَم العلماء عقودًا، ومع ذلك لا يستحق أن يُسمىٰ عالمًا، وتجدون غيره قد برز في مدَّة يسيرة، وكل ذلك مرجعه إلىٰ الاهتمام بالأصولِ والقواعدِ التي يُبنىٰ عليها علم الكتابِ والسنةِ.

ومن نعم الله ﷻ أن يُيسِّر للإنسان في أوَّل عمره من يأخذ بيده إلىٰ الطريقِ الصحيحِ، فالشباب الآن - ولله الحمد - قد يُسر لهم من العلماء المخلصين من يدلهم علىٰ الجادَّة.

ثم بعد ذلك جاء التعليم النظامي، وإن كان بعضهم ينتَقد كلمة: «نظامي»؛ لأنه يلزَم منها - علىٰ حدِّ زعمه - أن يكون تعليم المساجد فوضويًّا، وليس كذلك، بل هو منسوب إلىٰ من يُنظمه من المشرفين عليه، الموكَّلين من قبل ولي الأمر، أما دروس المساجد فهذه موكولة إلىٰ اجتهادات المشايخ، فهذا الذي من أجله يُقال: تعليم نظامي، يعني: منظم ومرتَّب علىٰ نظر من يُكلِّفه ولي الأمر بهذا.

وإلا فالتعليم في المساجد منظم، لكنه تنظيم يختلف من شَيخ إلىٰ شَيخ، ومن قُطر إلىٰ قُطر، وحتىٰ الكتب التي تُدرس تختلف، فتجد من يعتني بـ«الآجرُّومية» و«القَطر» و«الألفية»، وتجد غيرهم يعتني بـ«الكافية» لابن الحاجب[1]،

(١) هو: أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي المعروف بابن الحاجب، كان والده حاجبًا للأمير عز الدين موسك الصلاحي، برع في علوم العربية وأتقنها غاية الإتقان. توفي سنة ٦٤٦هـ. له تصانيف منها: «الكافية»، و«الشافية»، و«الأمالي النحوية»، و«مختصر الفقه». ينظر: وفيات الأعيان؛ لابن خلكان ٣/ ٢٤٨، والأعلام؛ للزركلي ٤/ ٢١١.

و«ملحة الإعراب» للحريري[١]، وتجد غير ذلك في الشام ومصر، وهكذا، فهي منظمة، لكنها تتفاوت من بلد إلىٰ بلد.

أما التعليم الرسمي الذي ترعاه الدولة، فهو منظم تنظيمًا واحدًا متسقًا لا يتفاوت ولا يتباين، ولا يختلف من بلدٍ إلىٰ بلدٍ، ولا من مستوىٰ إلىٰ مستوىٰ، فالتعليم في الحجاز هو نفس التعليم في نجد، وفي الشمال نفسه في الجنوبِ، سواء في المرحلة الابتدائية، أو المتوسطة وغير ذلك، فلا يُترك الأمر لاجتهاد أهل كلِّ قطر.

وهذا التعليم النظامي فيه أمران:

الأمر الأول: أنه قد رُتب للناس كافَّة، مع مراعاة الأضعف، وليس الأجود ولا حتىٰ المتوسط؛ لكي يسير الجميع ولا يتعثَّر أحد؛ ولذا تجد كثيرًا من طلاب الكليات الشرعية - في المستوىٰ الأخير من الجامعة، أو في الدراسات العليا - لا يعرف بدَهيات بعض العلوم، وقد تسأله عن مسائل في الأصول الثلاثة التي قد درسها وحفظها في المرحلة الأولىٰ من الابتدائية فتجده قد نسيها، وكذا مسائل في النحو في الآجرُّومية لا يعرفها، ولا اطلع عليها، وأشياء قد رُتبت للمبتدئين تخفىٰ عليه؛ وهذا لأنه قد أخذ هذا العلم علىٰ طريقةٍ سهلةٍ، ليست متينة لتربيةِ طالبِ علمٍ.

---

(١) هو: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان بن الحريري، الأديب الكبير، كان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة، نسبته إلىٰ عمل الحرير أو بيعه. توفي سنة ٥١٦هـ. له تصانيف منها: «المقامات»، و«درة الغواص في أوهام الخواص»، و«صدور زمان الفتور، وفتور زمان الصدور». ينظر: معجم الأدباء؛ للحموي ٥/ ٢٢٠٢، والأعلام؛ للزركلي ٥/ ١٧٧.

ويلاحظ أيضًا من قبل كثير من الدارسين أنه يتعلَّم من أجل أن يتوظَّف؛ فتجد كثيرًا من أوضاع طلاب العلم في الكليات الشرعية غير مرضية.

الأمر الثاني: أن العلم في مرحلة التعليم العالي في الجامعة يُعطىٰ بطريقة ناقصة، فالمناهج واحدة في الجامعات، لكن تتباين فيها أنظار المدرسين وأداؤهم للمادة، فتجد منهم مَن يُنجز المنهج في نصف المدة؛ لأنه أعطاه الطلاب بطريقة موجَزة مختَصرة، فيصبح هؤلاء الطلاب بحاجة إلىٰ شيء من التوسُّع والتأصيل لهذا العلمِ، وبالعكس تجد مدرسًا آخر لم يُنجز إلا نصف المنهج أو أقل؛ لأنه قد توسَّع في بعض أبوابه، وأفادهم فيما شرح لهم، لكن يبقىٰ أن الأبواب التي لم تُشرح فيها عَوَز كبير، فيتخرج الطالب وهو جاهل بهذه الأبوابِ.

وقد بدأ المسؤولون في الجامعات مؤخرًا بالاهتمام بقضية إتمام المنهج، وأن يُربط الطلاب بكتاب واحدٍ يكون بأيديهم، يدور عليه محور التعليم، وهذا لا شك أنه أفضل، فتربية الطلاب علىٰ كتب أهلِ العلمِ، أفضل من تربيتهم علىٰ مذكِّراتِ المدرِّسين وكتاباتِهم، أو الإحالة علىٰ كتبِ المعاصرين، كما يفعله كثير من المعلمين.

فطالب العلم في التعليم النظامي المفترض أنه بتخرُّجه في هذه الكليات الشرعية، يكون قد تهيَّأ ليتصدَّر للناس؛ ويكون معلمًا أو قاضيًا، لكنه علىٰ هذا الوجه المذكور ما زال محتاجًا إلىٰ تأصيلٍ، وتنظيرٍ للمسائل، فهو في مفترق طرقٍ، إما أن يُراجع نفسه ويُدرك أن تعليمه فيه خلل، وأنه ما زال بحاجةٍ لأن يبدأ من جديد في المتونِ الصغيرةِ، وإما أن يتكبَّر ويقول: أنا شيخ جامعي،

ومعي شهادة شرعية من كلية كذا، فأنا لست بحاجة إلىٰ كتبِ الأطفالِ. ويستمر يتدرَّج في الكتبِ الكبيرةِ، وتخفىٰ عليه بدهيات العلوم، فمثل هذا يستمر علىٰ ضعفه، مع أن دراسته للمتون الصغيرة لن تُكلفه شيئًا؛ لأن الأهلية عنده، وقد تجاوز كثيرًا من المراحل، فحفظه وفهمه لمتونِ المبتدئين، وقراءة شروحها، أو سماع ما سُجل عليها، ليس صعبًا عليه.

فهذه وصيتي لطالب العلم الذي حدث له مثل هذا القصور ولو تخرج في الجامعة - علىٰ ما يقولون - فعليه أن يرجع إلىٰ كتب المبتدئتين، وبإمكانه أن يُنجزها في شهرٍ واحدٍ، وهذا لن يضرَّه، وكذا كتب المتوسطين ينهيها في ثلاثة أشهر، ثم بعد ذلك يكون قد سدَّ الخلل الذي عنده، فيُتابع تعليمه، ويقرأ في المطوَّلات، وعند ذلك يستطيع أن يُقرئ الناس.

ويجب ألا يفرِّط طلبة العلم في وقت السَّعة، فلو حفظوا أوقاتهم في السعة، لحُفظت عليهم في أوقاتِ الحاجةِ، ولو تعرَّفوا علىٰ الله ﷻ في رخائهم لعُرفوا في شدَّتهم[1]، فالوصية لطالب العلم أن يستغلَّ أنفاسه فيما ينفعه في آخرته، ويُوصله إلىٰ مرضاة ربه، وأن يتمسَّك بالقرآنِ الذي هو عهد ربِّه، فيقرأ ما تيسَّر له، فالذي لا يعتني بكتاب ربِّه محروم من كل خير.

(١) إشارة إلىٰ ما أخرجه أحمد (٢٨٠٣)، والطبراني (١١/ رقم ١١٢٤٣)، والحاكم (٦٤٤٩) وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، وفيه: «**احفَظ الله يحفَظك، احفَظ الله تجده أمامك، تعرَّف إليه في الرَّخاء، يعرفك في الشدَّة**». وقال الحاكم: «هذا حديث كبير عال». وحسَّنه الحافظ ابن حجر في موافقة الخبر الخبر (١/ ٣٢٧)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٢٥٧).

ولا تصدر صدرَ الجمعِ محتبيًا (٢٠٥) تُمليه لم تفقَه المعنيَّ بالكلمِ

«**ولا تصدر**»، أي: وليس العلم تَصَدُّرَ «**صدرَ الجمعِ محتبيًا تُمليه**»، أي: صدور المجالس، تمليه وأنت علىٰ هيئة الكبر والغرور محتبيًا «**لم تفقَه المعني بالكلمِ**» لم تفهم حقيقة العلم، وما يراد منه.

وكذلك لا بد أن تنظر وتُراعي مستوىٰ الحضور، فإما أن تشرح بطريقةٍ سهلةٍ ميسرةٍ يفهمها كلُّ من حضر، أو تشرح بطريقةٍ متوسطةٍ؛ ترتفع لها همة المبتدئ ويستفيد منها المنتهي، أو تشرح بطريقة تتجاوز فيها عن مقدمات العلوم، وما يحتاجه المبتدئون والمتوسطون، إذا كنت تشرح للكبار المنتهين.

وقد كان معروفًا عند شيوخنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تقسيمُ الطلاب علىٰ حلقات، حلقة للمبتدئين، وحلقة للمتوسطين، وحلقة للكبار الذين يستطيعون تعليم المبتدئين، ثم يخاطب كلَّ مجموعة بما يُناسب عقولهم، وكما قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حدِّثوا الناس بما يعرفون»[(١)].

وهذه الطريقة صعبة جدًّا الآن، وخاصة مع من كثُرت عنده الجموع، وتنوَّع عنده الطلاب، بين مبتدئ، ومتوسط، ومنتهٍ ؛ فصعب أن تصرفَ المبتدئ عن دروسِ المنتهين؛ بحجَّة أنه لن يستوعبَ، فقد يكون طالبَ جامعة مع أن مستواه مستوىٰ المبتدئين، فهو لن يتنازل ويدرُس مع الصغار، كما هو صعبٌ أنْ تصرِف المنتهي عن دروسِ المبتدئين؛ بحجة أنه لن يستفيدَ، بل تشرح للجميع، فمن استفاد فلله الحمد، ومن لم يستفد فالشكوىٰ إلىٰ الله.

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (١٢٧).

والمقصود: أن على المدرِّس أن ينزلَ إلى مستوى الطلاب، فلا يأتي لطلاب صغار فيدرِّس لهم كتابًا متوسطًا، أو لطلاب في المتوسط فيدرِّس لهم أعقد كتابٍ في الفنِّ؛ فهذا تعذيب لهم، بل عليه أن ينظر في الطلَّاب ليدركَ المعنِيَّ بالخطاب، فيشرح على قدر مُستواه.

وهذا قد جرَّبناه في الدروس، ففي شرح كتابٍ كـ«المنتهى» مثلًا، أول ما بدأنا الدرس كثُر عدد الطلاب حتى ضاق عنهم المكان، فلما رأوا أن أسلوبَ الكتاب والشرح صعبٌ لا يُناسبهم - لأن معظمهم من طلَّاب العلم الصغار أو المتوسطين- نقص العدد في اليوم الثاني إلى النِّصف، ثم ما زال العدد ينقص إلى أن ألغينا الكتاب، وجعلنا بدله: «مختصر الخِرَقي»؛ لأنه أسهل.

فعلى الإنسان أن يسدِّد ويُقارب، وينظر في وجوه الطلاب وأسئلتهم، ويقدِّر مستواهم، وينزل إلى مستوى بعضهم، والبعض الآخر عليه أن يجتهد ويصعد، فلن يستطيع الشيخ أن يتعامل مع كل شخصٍ بعينه، فهذا فيه صعوبة.

ولا العِمامةَ إذ تُرخِي ذؤابتَها (٢٠٦) تصنعًا وخِضابَ الشَّيب بالكَتَمِ

فليس العلم بلبس العمامة ولا بصبغ لحيتك بالكَتَم[(١)]؛ لتظهر وقورًا قد مضى عليك في العلم زمان، وما أشبه ذلك من أفعال المتزينين المرائين، فالسن لا يكفي أبدًا لتصدُّر المجالس، إنما المعول على التأهُّل في التحصيل.

(١) الكَتَم: نبتة تنْبت في المناطق الجبلية بإفريقية والبلاد الحارَّة المعتدلة ثمَرتها تشبه الفُلفُل، وبها بِزْرَة واحدة، وكانَت تُستعمل قديمًا في الخضاب وصنع المداد. ينظر: المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (مادة: كتم).

ولا بقولك يعني دائبًا ونعَم (٢٠٧) كلا ولا حَملك الأسفارَ كالبَهَمِ

«**ولا بقولك: يعني دائبًا ونعَم**»، يعني: فلا تظن أنك قد صِرتَ كالمشايخ بمجرَّد تشبُّهك بسَمتهم وألفاظهم، وكيفية بدء الدروس، وكيفية ختمِهِ، فمعرفة هذه الأمور وحدها لا تكفي.

«**كلا ولا حَملك الأسفارَ كالبَهَمِ**»؛ فليس العلم بإنشاءِ المكتباتِ الكبيرةِ، والإكثار من اقتناءِ الكتبِ، بل هذا قد يكون صارفًا عن التحصيلِ؛ ولذا قال ابن خلدون[١] في مقدمته: «كثرة التآليف في العلوم تعوق عن التحصيلِ»[٢] وهذا شيء مجرَّب، وقد أدركنا شيوخًا مكتباتهم ثلاثة أرفف: كتابان في التفسير، وكتابان أو ثلاثة في الحديث، وكذا في العقيدة، وفي الفقه، ومرجع واحد في اللغة، مع كتابٍ من كتبِ النحو، كتب يسيرة، لكنها هُضمت وعُرف جميع ما فيها، ويوجد الآن من طلَّاب العلم من عنده خمسون ألف كتاب، تشغله بمراجعتها والعناية بها وتنظيمها، وبعضها يحول دون بعض، فإذا احتاج إلىٰ كتاب وجد الكتب مرصوصةً دونه، ومع ذلك يشتري ثانية ويزيد في الرصِّ وهكذا.

---

(١) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. توفي سنة ٨٠٨هـ. له تصانيف منها: «العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» في سبعة مجلدات، أولها «المقدمة» وهي تعد من أصول علم الاجتماع، تُرجمت هي وأجزاء منه إلىٰ الفرنسية وغيرها، و«شرح البردة»، و«كتاب في الحساب». ينظر: شجرة النور الزكية (٨٤٦)، الأعلام؛ للزكشي ٣/ ٣٣٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢/ ٣٤٤.

يقول الخطيب البغدادي[١] في «اقتضاء العلم العمل»: «وهل جامع كتبِ العلمِ إلا كجامعِ الفضةِ والذهبِ؟»[٢]. فمجرَّد جمع الكتبِ ككنزِ الفضةِ والذهبِ، فالكتب التي لا يُستفاد منها إنما تُجمع تركة لمن بعده، أو قد يبيع منها عند الحاجة، مثل ما يبيع من الذهب والفضة.

ولا يعني هذا التقليل من أهمية وشأن الكتب، فطالب العلم لا بد له من المراجع والكتب، وطالب علم دون كتابٍ كساع إلىٰ الهَيْجاء[٣] بغير سلاحٍ، فالكتب هي سلاحُ طالبِ العلمِ، لكن ينبغي أن تُؤخذ بحكمةٍ وعقلٍ، فإذا احتاج الإنسان إلىٰ كتاب، اشتراه، وقد يشتري الكتاب ليكونَ مرجعًا يرجع إليه عند الحاجة، أما كونه يشتري ما لا يحتاج إليه، ويشتري من كل طبعة نسخةً، فهذا يُعذِّب نفسه بهذه الكتبِ، كما هو الحاصل لبعض الشيوخ، فقد صارت الكتب وبالًا عليه، وصار حظُّ كثير منهم من الكتب نقلَها من مكان إلىٰ مكان، فإذا انتقل إلىٰ بيتٍ احتاج إلىٰ سنتين أو ثلاثٍ لترتيبها، وإذا سمع بأن هناك آفةً نزلت بهذه الكتب، أو اطَّلع علىٰ شيء منها في جهةٍ، ذهب ينقُلها من مكانٍ إلىٰ مكانٍ، وأخذ في التنظيفِ والعلاجِ، وهذه مسألة لا شك أنها مُتعبة،

(١) هو: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، كان من الحفاظ المتقنين العلماء المتبحرين، صنف قريبًا من مائة مصنف، منها: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، «موضح أوهام الجمع والتفريق»، «المتفق والمفترق»، توفي سنة ٤٦٣هـ. ينظر: وفيات الأعيان؛ لابن خلكان ١/ ٩٢، والأعلام؛ للزركلي ١/ ١٧٢.

(٢) اقتضاء العلم العمل؛ للخطيب البغدادي (ص: ١٦).

(٣) أي: الحرب. ينظر: جمهرة اللغة؛ للأزدي ٢/ ١٠٤٧، ومختار الصحاح؛ للرازي (ص: ٣٣٠).

ومُشغلة عن التحصيلِ، ونحن إذ نتكلَّم هنا عن هذا الموضوع، فإنما نتكلم عن تجربة وحرقة لما عانينا.

وقد يُقال: هناك مكتبات كبيرة تُغني عن اقتناءِ الكتبِ.

نقول: نعم، لكن هذه المكتبات ليست في حَوزتك؛ بحيث تُراجعها متىٰ شئت، فقد تحتاج إلىٰ مسألة والمكتبة العامة مغلقة فيفوت وقتُها.

والمقصود: أن علىٰ طالب العلم أن يتوسَّط في اقتناءِ الكتبِ، فلا يُسرف ويُكثر، ولا يترك شيئًا يحتاج إليه.

ولا بحملِ شهاداتٍ مُبهرجةٍ (٢٠٨) بزخرفِ القولِ من نثرٍ ومُنتظمِ

فقد كان طلَّاب العلم فيما مضىٰ إذا تأهَّلوا شَهد لهم شيوخهم إما بنثرٍ أو بنظمٍ؛ فيشهدون لهم أنهم قد تأهَّلوا للقضاء، أو للفتيا، أو للتعليم، أو للدعوة، ويُزاولون تلك الأعمال من خلالِ هذه الشهادات التي أُعطيت لهم من قِبل الشيوخ، أما الآن، فقد صارت الجهات الرسمية هي التي تتولَّىٰ إصدار هذه الشهادات، علىٰ طريقةِ التعليمِ الموجودةِ، فصار يحملها مَن لا يحمل العلمَ، ويتقدم بحجة أنه قد تخرَّج في كلية الشريعة، والعرفُ يدلُّ علىٰ أن من تخرَّج في كلية الشريعة، فهو شيخ، والشيخ أهل لأن يُستفتىٰ، وأن يقضي ويعلِّم، ثم إذا ابتُلي وامتحن ما وُجد عنده أدنىٰ مستوىٰ يُتوقَّع منه، وهذا حاصل، وقد حصل في كثيرٍ من الجهات، بل قد حصل من بعض خريجي قسم القرآن الذين ذهَبوا

ليعلِّموا القرآن في مدارس التحفيظِ، فكيف يكون هذا في القرآنِ الذي يُمكن ضبطه، والذي قد تفرَّغ لتعلُّمه أربع سنوات أو أكثر؟!

فطالب العلم إذا كان همُّه مجرد الشهادة لا يُدرك شيئًا، بل قد يُحرم العلم بسوءِ القصدِ.

بـل خشـيةُ اللّٰه في سرٍّ وفي علـنٍ (٢٠٩) فاعلَم هي العلمُ كـلُّ العلـمِ فـالتَزم

«**بل خشيةُ الله**» العلم خشية الله «**في سرٍّ وفي علنٍ**»، وهذا الذي يفقده كثير ممن ينتسب إلىٰ طلبِ العلمِ، والعلم الذي لا يورث الخشيةَ ليس بعلم، والذي لا يخشىٰ الله ﷻ ليس من أهل العلم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

ونجد مَن إذا تحدث بكىٰ وأبكىٰ، فإن كان في سرِّه كذلك، فهي البشرىٰ، ونجد مَن إذا خلا بكىٰ، وفي المحافل يتصبر ويتمنع، وهذا لا شك أنه من علامات الإخلاص الظاهرة، ومنهم من لا يخشع لا في سرٍّ ولا في علن، فيقرأ القرآن، ليكن سورة هود، أو الطور، فكأنه يقرأ الجرائد؛ كما هو حالنا نسأل الله ﷻ أن يُصلح الأحوالَ.

«**فاعلَم هي العلمُ كلُّ العلمِ فالتَزم**»، فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فالعلم الذي لا يُورث الخشية ليس بعلم، والعالم الذي لا يخشىٰ الله ليس بعالم.

فلتَعــرِف الله ولتــذكُر تــصرُّفه (٢١٠) ومـا عـلى علمِـه قـد خُـط بـالقلمِ

فعلمك بالله ﷻ وما يجب له، وما ثبت في حقِّه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه ﷺ؛ هو الذي يدلُّك علىٰ الطريق الصحيح، وهو الذي يورث الخشية في القلب، و«من كان بالله أعرَف، كان منه أخوف»[(١)].

وحقَّـه اعـرِف وقـم حقًّـا بموجبِـه (٢١١) ومنهجَ الحقِّ فاسلُك عنـه غـيرَ عَمـي

يعني: اسلك الطريق المستقيم الذي درَج عليه سلف هذه الأمة وأئمَّتها، واحذر الابتداعَ والخروجَ عن طريقِهم ومسلكِهم ومنهجِهم، واحذر الإيغال في هذه المستجدات، وخذ منها بقدر الحاجة، فمثلًا مكبر الصوت، فقد يُحتاج إليه عند كثرةِ الجموعِ، لكن ما الداعي لأن يستعمله إمامٌ خلفه ثلاثة أشخاص؟! فتُستعمل هذه المكبرات بقدر الحاجة إليها، ونعرف من شيوخنا من مات ولم يستعمله، فيجب الإقلال من المستجدات، والأخذ منها بقدر الضرورةِ والحاجةِ، لا سيما ما يُستعمل منها في عبادة من العبادات، ويُتقرب به إلىٰ الله ﷻ.

ومنهم من يقول: إن هذه وسائلُ لا تضر. ولا شك أن هذه المستجدات منها ما له أثر في العبادة، وفي قلبِ العابدِ، ومثل هذا يُتخفف منه، والأصل تركُه

(١) ذكره البيهقي في الشعب (٧٧٢) من كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/ ٣٥٨ من كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي.

إن تيسر، ومنها ما هو مجرد وسيلة؛ مثل النظارة التي تُستعمل الآن في قراءة القرآن؛ لأن صاحبها لا يستطيع رؤية الحروف إلا بها، فهذه وإن كانت محدَثة إلا أنها قد أصبحت وسيلةً إلىٰ عبادة، فهي عبادة، والنفقة فيها يُؤجر صاحبها عليها، لكن هناك وسائل مختلطة، فيها الحلال والحرام، والغَث والسَّمين، فهذه ولوج أهل العلم فيها لا شك أنه مُزرٍ بهم، فما فائدة عالم يشرح التفسير أو الحديث في قناة، قد تظهر فيها قبله مغنية، وبعده مسلسل، فهذا ليس بلائق، وإن كان قد اجتهد بعضُ طلاب العلم الذين جوزوا هذا، والاجتهاد يؤجَر عليه الإنسان بقدره، وبقدر ما وقَر في نيته من إخلاصٍ، وأنا أرىٰ أنه ليس لي أن أتكلَّم بكلام الله ورسوله في قناة ماجنة، ولكني لا أحجر الاجتهادَ علىٰ الآخرين، فمن رأىٰ أن ذلك ينفع، فالله يجازيه علىٰ قدر نيته.

أشقى وأسعَد مختارًا أضلَّ هدى (٢١٢) أدنى وأبعَد عدلًا منه في القسمِ

«**أشقىٰ وأسعَد مختارًا أضلَّ هدىٰ**»، فالله ﷻ قد هدىٰ النَّجدين[(١)]، فبيَّن طريق الحقِّ، وطريق الضلال، وجعل للعبد حريةً ومشيئةً واختيارًا، يختار بها ما كُتب له، فهو يختار بطوعه طريقَ السعادة، أو طريقَ الشقاء، فلا أحد يُجبره علىٰ أحد الطريقين، بل الله ﷻ قد ركَّب فيه هذا الاختيار، وهو باختياره لن يخرجَ عن إرادة الله ومشيئته وقضائه الذي قدَّره عليه، وهل هو شقي أو سعيد،

(١) أي: الطريقين، ونَجْد: طريقٌ في ارتفاع، وقال بعضهم: عنىٰ بذلك نجد الخير، ونجد الشر. ينظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٤١٥.

ومع ذلك، فليس لأحد أن يقول: لقد حاولت أن أصلي فلم أقدر. فلن يحاول أحد أن يقومَ إلىٰ المسجد ويعجز، بل المرء يترك الصلاةَ بطوعِه واختياره.

«**أدنىٰ وأبعَد**»، فمنهم القريب، ومنهم البعيد، فقد جاء في الحديث - وفيه كلام لأهل العلم - أن أقرب الناس إلىٰ الرب ﷻ في يوم المزيد أقربهم إلىٰ الإمام في الجمعة[(١)].

قُـرْب بقُـرب والمباعـد مثلـه بُعْـد ببُعـد حِكْمـةُ الـديَّانِ[(٢)]

فلو افترضنا أن الحديثَ الذي جاء في القرب والبعد حديث ضعيف، لكن ماذا عما جاء في كتابة الداخلين إلىٰ المسجد يوم الجمعة؟! والحديث في الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتَسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم**

---

(١) روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة، منهم:

١. ابن مسعود رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إن النَّاس يجلسون من الله يومَ القيامة علىٰ قدرِ رواحهم إلىٰ الجمُعات**» أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في التهجير إلىٰ الجمعة (١٠٩٤). حسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢٩٠، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٣٥٨). وأخرجه بنحوه موقوفًا: عبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٦)، وابن خزيمة في التوحيد (٦٠٢)، وابن بطة في الإبانة (٣١) وغيرهم. وصحّحه الذهبي في العرش ٢/ ١٣١.

٢. ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يَرون ربهم ﷻ في كلِّ يوم جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا أسرَعهم إليه يوم الجمعة، وأبكرهم غدوًّا**». أخرجه الآجري في الشريعة (٦١١)، وابن بطة في الإبانة (٣٠) وغيرهما. وصحَّحه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٤١٧.

٣. عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليزورون ربهم كل يوم جمعة يخوضون في رمال الكافور، فأقربهم منه مجلسًا، وأحسنهم عنده منزلة أشدهم تبكيرًا إلىٰ الجمعة، وأشدهم مواظبة عليها، وهو في الجنة يوم المزيد، يزيدهم الله من كل فضل، ومن كل كرامة**». أخرجه عبد الملك بن حبيب في وصف الفردوس (٢٢٧).

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٣٤٧).

راح، فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستَمعون الذكر»[(١)].

فمن أهل العلم مَن يدرِّس مثل هذا الكلامَ، ثم لا يأتي إلا في آخر ساعة، فهل منعه أحد من المجيء؟ لا، لم يمنعه أحدٌ، بل هو طائع مختار، فالإنسان ليس مجبورًا؛ فليس له أن يقول: لقد كُتب علي أني من أهل الشقاء؛ كما تقوله الجبرية[(٢)]، وأن الإنسان لا حريةَ له ولا اختيار، وأنه مجبور علىٰ أفعاله، وأن تحرُّكاته وتصرفاته مثل حركة الشجر[(٣)]. وهذا قول باطل، فأحدهم لو ضربه إنسان، أو سرَق ماله، فلن يقول: رضينا بالقدر، وهذا إنسانٌ مجبور، بل هذا كلام يقولونه فقط؛ ليبرروا لأنفسهم تركَ الواجبات، وانتهاك المحرمات.

«عدلًا منه في القسمِ»، ولا يظلم ربك أحدًا.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة (٨٨١)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (٨٥٠)، وأبو داود (٣٥١)، والترمذي وقال: «حسن صحيح» (٤٩٩)، والنسائي (١٣٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الجبرية: إحدىٰ الفرق الكلامية المنحرفة، تقول بأن العباد مجبورون علىٰ أعمالهم، وأن الله تعالىٰ يخلق أفعالهم علىٰ الحقيقة، وإنما تُضاف إليهم علىٰ سبيلِ المجازِ. وأوَّل من قال بهذه المقالة في الإسلام الجعد بن درهم، وأخذها عن بَيان بن سمْعانَ، وأوَّل من أظهرها تلميذه الجهم بن صفوان بمدينة ترمذ في أوائل المائة الثانية للهجرة. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٨٤.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين؛ لأبي الحسن الأشعري (ص: ٢٧٩)، بيان تلبيس الجهمية؛ لابن الجوزي ٢/ ٥٨٥.

أوحى وأرسَل وصَّى آمرًا ونهى (٢١٣) أحلَّ حرَّم شرعًا كاملَ الحكَمِ

«أوحىٰ وأرسَل»، أي: أوحىٰ إلىٰ رسله وأنبيائه، وأرسل منهم من أرسل.

«وصَّىٰ» المكلَّفين، كما في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

«آمرًا»؛ كما في قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٣٦]، «ونهىٰ»؛ كما في قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

«أحلَّ حرَّم»، فجعل ﷻ بعض الأمور، وبعض الأعيان حلالًا، وبعضها حرامًا.

«شرعًا كاملَ الحكَمِ»، فكل هذه الأمور صدرت عن حكمةٍ بالغةٍ من الله ﷻ، سواء كان منها المأمور، أو المحظور، وسواء أدركنا هذه الحكم أو لم نُدركها، فهو سبحانه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ومع ذلك، فكثير منها مُدرَك الحكمةِ.

يحبُّ الاِحْسانَ والعصيانَ يكرَهه (٢١٤) والبرَّ يرضاه مع سُخطٍ لجُرمِهمِ

بمُقتضى ذَين في الدَّارين مطَّرد (٢١٥) لا ظلم يُخشى ولا خير بمُنهضِمِ

«يحبُّ الإحسانَ والعصيانَ يكرَهه»، يحب الإحسان والمحسنين، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، وكرَّه ذلك إلىٰ عبادِه المؤمنين المخلصين.

«والبرَّ يرضاه مع سُخطٍ لجُرمِهمِ»، يعني: يحب البر، ويسخط المنكرات والجرائم.

«بمُقتضىٰ ذَين»، يعني: الهداية والإضلال، والاستقامة والفسوق والفجور، بمقتضاهما انقسم الجن والإنس إلىٰ فريقين: شقي وسعيد.

«في الدَّارين مطَّرد لا ظلم يُخشىٰ»، يعني: أهل السعير إلىٰ السعير، والأتقياء والأخيار إلىٰ دار النعيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فلا يُمكن أن يُحمَّل الإنسان غير ما تحمَّل، فليس هناك ظلم.

«ولا خير بمُنهضِمِ»، ولا يُمكن أن يُهضم، أي: يبخس ويُنقص أحد من حقه حسنةً واحدةً.

فاعمَل على وجَلٍ وادْأَب إلى أجلِ (٢١٦) واعزِل عن الله سوءَ الظنِّ والتُّهمِ

«فاعمَل» الأعمال الصالحة، واترك المحرمات «علىٰ وجَلٍ» علىٰ خوف أن يُردَّ العمل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] تقول عائشة رضي الله عنها: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصدِّيق، ولكنهم الذين يصلُّون ويصومون ويتصدَّقون، وهم يخافون ألَّا تُقبل منهم**»[1]؛ لأن الإنسانَ قد يوفَّق للعمل، لكن يتخلَّف شرطه، أو يعتريه مانع من

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون (٣١٧٥)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي علىٰ العمل (٤١٩٨)، وأحمد (٢٥٢٦٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وصحَّحه الحاكم (٣٥٣٢) ووافقه الذهبي. وأعلَّه العراقي بالانقطاع في تخريج أحاديث الإحياء (٣٨٥٨)، ونقل الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٤٠٣ انقطاعَه عن ابن عساكر في الأطراف.

موانعِ القبولِ؛ ولذا كان كثير من السلف يخاف من قول الله ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: ٤٧]، يعني: فقد يمكث الإنسانُ في تعليم الناس دهورًا، وهم يُشيرون له بالبنان: ما أجلده! ما أعلمه! ما أحذقه! ما أحلمه! وهو في النهاية من الثلاثة الذين هم أوَّل من تسعَّر بهم النار يوم القيامة، من الذين تعلَّموا ليقالَ: عالم[1]؛ كما تقدَّم في كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فينبغي أن يكون الإنسانُ على غايةِ الوجلِ من ردِّ العمل؛ وعلى حذرٍ ومراجعةٍ دائبةٍ دائمةٍ للنية، وتحسُّس للقلبِ.

«**وادْأَب إلى أجلٍ**»، فأنت تمشي دائبًا إلى أجلك، وأيَّامك مراحل، كل يوم تقطع مرحلة، وكل يوم يمضي من عمرك يَنقُص عمرُك بقدره.

«**واعزِل عن الله سوءَ الظنِّ والتُّهمِ**»، فلا بد من تحسين الظن بالله ﷻ؛ كما جاء: «**لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسن بالله الظنَّ**»[2]. وهذا لا يُعارض ما تقدم؛ فالإنسان يُحسن الظن بربه، لكنه يُسيء الظن بنفسه وعمله، فهذا الذي يجعله يعيش بين الخوف والرجاء، يخاف أن يخونه ما وقَر في قلبه، ويعرف ويجزم بأنه سوف يقدَم على رب كريم رءوف رحيم، سبقت رحمتُه غضبَه، فيرجو من الله ويؤمِّل، مع السعي الجاد في تحسينِ العملِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (٢٨٧٧)، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

للشَّرع فانقَد وسلِّم للقَضاءِ ولا (٢١٧) تُخاصِمنَّ به كالملحدِ الخَصِمِ

«للشَّرع فانقَد»، أي: اجعل قيادك وزِمامك وخطامك بيد الشرع، إذا قال لك: افعل، فافعل، وإذا قال: لا تفعل، فلا تفعل.

«وسلِّم للقَضاءِ»، فإذا نزلت بك مصيبة فارض وسلِّم.

وكن صابرًا للفقر وادَّرِع الرضا بما قدر الرحمن واشكره واحمدِ[1]

«ولا تُخاصِمنَّ به كالملحدِ الخَصِمِ»، الملحد: هو المجادِل على طريقة أهل الشرك: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فالملحد يقول: لو أراد الله لي الهداية ما ألحدت، فالعاصي قد يحتجُّ بالقدر، وليس في هذا أبدًا حجةٌ له؛ فالله ﷻ قد جعل فيه حرية الاختيار، وبيَّن له، فلم يترك له حجةً.

وبالمقاديرِ كن عبدًا لمالكِه (٢١٨) وعابدًا مخلصًا في شرعِه القيَمِ

«وبالمقاديرِ» التي قُدرت عليك «كن عبدًا لمالكِه» كن عبدًا منقادًا ذليلًا لله ﷻ، فلا اختيار لك ولا تردد مع القدر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

«وعابدًا مخلصًا في شرعِه القِيَمِ»، تُطيع الشرع؛ وتعمل بالمأمورات، وتترك المحظورات.

(١) بيت من قصيدة لابن عبد القوي رحمه الله ذكرها ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٥٦٠، وهو في منظومته.

إيَّاه فاعبد وإيَّاه استَعن فبذا (٢١٩) تصِل إليه وإلا حُرت في الظُّلَمِ

«**إيَّاه فاعبد وإيَّاه استَعن فبذا**»، قدَّم المعمول «إياه»؛ للحصر؛ كما في قوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، يعني: إياه فاعبد ولا تعبد غيره، وإياه فاستعن ولا تستعن بغيره.

ومن أراد أن يقف على أسرار ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فليقرأ في كتاب «مدارج السالكين» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

«**تصِل إليه وإلا حُرت في الظُّلَمِ**»، يعني: إذا أخلصت العبادة لله ﷻ وصرفتها له لا لغيره، وكذلك إن لم تستعن بأحدٍ من المخلوقين، وصلت إلى ربك، وإلى مرضاته.

وخُذ بالاسبابِ واستَوهِب مُسبِّبها (٢٢٠) وثِق به دونها تُفلح ولم تُضَمِ

«**وخُذ بالاسبابِ**»، فأنت مأمور بفعل الأسباب؛ وتعطيل الأسباب قدح في العقلِ، فليس لك مثلًا أن تغتسلَ في ثيابك في شدَّة البرد ثم تخرج؛ بحجَّة أن الأسباب لا قيمة لها ولا تنفع ولا تضرُّ، وأن الله ﷻ هو الواقي، وأن العبرة بالمسببِ، فهذا قدح في العقل؛ ولذلك فقول الأشعرية[1] بأن الأسباب لا قيمةَ

(١) **الأشاعرة**: فرقة كلامية تنسب لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)، ظهرت في القرن الرابع وما بعده، تميزت بالقول بالكسب، وتقديم العقل على النقل عند التعارض، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، وقولهم بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة، =

لها، ولا تأثير[١]، مناقض للعقول قبل الشرائعِ، فهم يُجيزون أن يرىٰ أعمىٰ الصين بقَّةَ[٢] الأندلس، يقولون: البصر سبب للإبصار، والإبصار يحصل عنده لا به[٣].

وقابلهم المعتزلة فقالوا: إن الأسباب مؤثِّرة بذاتها[٤]، وهذا قدح في الشرع، وإنما يكون الاعتماد علىٰ مُسببها.

أما أهل السنة والجماعة، فيرون أن الأسباب مؤثِّرة بما جعل الله ﷻ فيها من أثر، لكنها لا تستقل بالتأثير؛ لأنه قد يوجد مانع يمنع من ترتُّب الأثر.

«**واستَوهِب مُسبِّبها**»، يعني: اطلب من الله ﷻ المُسبِّب، فإذا مرضت فابذُل أسبابَ التداوي، واطلب الشفاء من الله ﷻ. وابذُل الأسباب في طلبِ العلمِ، واسأل الله ﷻ أن يفتح عليك من العلومِ بما ينفعك في دينك ودنياك.

«**وثِق به**»، يعني: اسأل الله ﷻ وأنت مُوقن بالإجابة، بعد بذلِ أسبابِ القبولِ ونفيِ الموانعِ، «**دونها**» دون الأسباب.

«**تُفلح ولم تُضَمِ**»، أي: ولا تظلم ولا تخسر.

= ولكنه كلام الله النفسي، وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة، وغير ذلك. ينظر: درء التعارض؛ لابن تيمية ٢/ ١٦- ١٨، الملل والنحل؛ للشهرستاني ١/ ٩٤.

(١) ينظر: منهاج السنة؛ لابن تيمية ٣/ ١٣.

(٢) البقة: البعوض. ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي ٢٥/ ٨٩.

(٣) ينظر: الكواكب الدراري ١/ ١٩٧، اللامع الصبيح ١٥/ ٢٩٠، منحة الباري؛ لزكريا الأنصاري ١/ ٣٤٧.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين؛ لأبي الحسن الأشعري (ص: ٤١٢، ٤١٣)، درء تعارض العقل والنقل؛ لابن تيمية ٩/ ٢٥.

بالشَّرع زِن كلَّ أمرٍ ما همَمت به (٢٢١) فإن بدا صالحًا أقدِم ولا تَجِمِ

«بالشَّرع زِن»، فالميزان لا بد أن يكونَ بالشرع، وإذا تنكَّب[١] الإنسانُ عن الشرع، ووزن أفعاله ووزن غيرَه بميزان مخالفٍ لميزان الشرع، ضلَّ واختلط وانعكَست النتائج، فلو تقدَّم مثلًا لخطبة ابنتك شخص، فوزنته بميزان الشرع - ميزان الدين، والأمانة، وحسن خلق - جاءت النتائج بإذن الله ﷻ حميدةً، ما لم يكن ثَم ابتلاء، والابتلاء يقع إما لتكفير السيئات، أو لرفع الدرجات، أما إذا وزنته بميزان مخالف لميزان الشرع - كميزان الثراء، والوجاهة، والإمارة، والوسامة - واقتصرت عليه، فستخرج النتائج عكسية.

«كلَّ أمرٍ ما همَمت به»، أي: كل عمل تُريد أن تُقدم عليه زِنه بميزان الشَّرع، فإن كان نافعًا لك في دنياك وأخراك، فأقدم عليه، وإن كان غير ذلك فأحجم.

«فإن بدا صالحًا أقدِم» بعد وزنه بميزان الشرع «ولا تَجِمِ» من الوجوم: وهو التردد والحيرة[٢].

(١) تنكَّب عن الشيء: عدل عنه وتنحى. ينظر: المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة: نكب).

(٢) ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي ٣٤/ ٣١.

أخلِصه واصدُق أصِبْ واهضِم فذي شُرطت (٢٢٢) في صالحِ السَّعي أو في طيِّب الكلِمِ

«أخلِصه واصدُق أصِبْ»، فلا بد أن يكون العمل خالصًا لوجه الله ﷻ، صوابًا على سنة نبيه ﷺ.

«واهضِم» يعني: اهضم نفسك، ولا ترَ لها حقًّا، فلا تقول: أنا أستحق كذا، وأنا أفضل من فلان؛ لأني أفعل كذا من المأمورات، وكذا من النوافل، وهو مفرّط، بل اهضم نفسك، فقد يكون عنده من العمل الخفيِّ ما لا تعرفه أنت، مما يزن جميعَ أعمالك، وإن كان ظاهرُه على خلاف ذلك.

فلا شك أن هضم النفس يقتضي الرفعة، فالتواضع هو الذي يرفع الإنسان، بخلاف العُجب والفخر، فهذا هو الذي يأكل الحسنات؛ كما تقدم من قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعجب فاحذَره إن العجبَ مُجتَرِفٌ أعمالَ صاحبِه في سيلِه العَرِمِ

«فذي شُرطت في صالحِ السَّعي أو في طيِّب الكلِمِ»، سواء أكانت في العمل، أم في القول، فكل هذه مشروطة لهما.

أخلِصْه لله واصدُق عازمًا وأصِب (٢٢٣) صراطَه واهضمنَّ النَّفس تنهَضِمِ

«أخلِصْه لله واصدُق عازمًا وأصِب صراطَه»، أي: أخلِص العلم لله ﷻ، أخلِص في تعلُّمك، أخلِص في صلاتك، أخلِص في صيامك، أخلِص في جميع أعمالِك وأقوالِك.

«واهضمنَّ النَّفس تنهَضمِ»، يعني: تعوَّد علىٰ هضم النفس تنقَد لك، أما تعويدها علىٰ العُجب، والتحدث عن النفس في المجالس ففيه أمران:

- **الأمر الأول:** أن مَن يتحدث عن نفسه، يسقط في عيون الناس ولا شك.
- **الأمر الثاني:** أن هذا يقدح في الإخلاص، فإذا أخبر عن عمله لا شك أن أجره ينقص.

لا تُعجبنَّ بـه يُحبط ولا تـرَه (٢٢٤) في جانبِ الذَّنبِ والتَّقصيرِ والنِّعمِ

«لا تُعجبنَّ به يُحبط»، أي: لا تعجبن بعملك ولا بقولك فيُحبط.

«ولا ترَه في جانبِ الذَّنبِ والتَّقصيرِ والنِّعمِ»، فاجعل عملك يضمحلُّ ويذوب ويتضاءل أمام ذنوبِك وتقصيرِك، وأمام نعم الله ﷻ عليك. فإذا جلست يومًا تقرأ القرآن ساعة، أو اجتهدت في حضور دروس العلم، فتذكر شكرَ نِعم الله ﷻ التي تترىٰ عليك، ومنها أن وفَّقك لقراءة كتابه، ويسر لك طلب العلم، فهذه نِعم، عليك أن تشكرها لله ﷻ ولا تفخر بها.

وحيث كان من النَّهي اجتَنبه وإن (٢٢٥) زلَلت تُب منه واستَغفر مع النَّدمِ

«وحيث كان من النَّهي اجتَنبه»، يعني: من غير مثنوية، كما جاء مرفوعًا: «إذا نهيتُكم عن شيء فاجتَنبوه، وإذا أمَرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استَطعتم»[(١)].

(١) شطر من حديث عن كثرة السؤال تقدم تخريجه.

«وإن زلَلت»، أي: وقعت في محظورٍ، أو تركت مأمورًا به، «تُب منه» بادر بالتوبة، فالتوبة واجبة بشروطها، قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، «واستَغفر مع النَّدمِ» ألزِم لسانك الاستغفارَ مع الندم من فعل هذه المخالفة، سواء كانت في ترك مأمورٍ أو فعل محظورٍ.

وأوقفِ النَّفس عند الأمرِ هل فعَلت (٢٢٦) والنَّهي هل نزَعت عن موجبِ النَّقَمِ

يعني بهذا: محاسبة النفس ومراقبتها، فإذا أَوَيْتَ إلىٰ فراشك، فانظر: ماذا فعلت وماذا تركت؟ فما فعلته من طاعة، فاحمد الله ﷻ علىٰ أن وفَّقك له، وما فعلت من مخالفة - سواء كانت في كلامٍ أو تقصيرٍ في فعل - فتب إلىٰ الله منه.

فبادر وحاسب نفسك قبل أن تُحاسب، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، أي: ما قدَّمت ليوم العرض علىٰ الله ﷻ.

لكن واقعنا يُثقل علينا المحاسبة؛ لأن تصرفاتنا ومخالفاتنا في يومنا وليلتنا كثيرة، فإذا أراد المرء أن يُحاسب نفسه، فلن يحيط بما قال؛ فضلًا عما فعل، فتجد المرء يتصدَّر المجالس ويُثرثر ويتكلَّم بحقٍّ وباطل، بمباح ومحظور، وفي غيبة ونميمة، وقد يقول كلمةَ حقٍّ، ثم بعد ذلك يُردفها بكلامٍ كثيرٍ مخالف، فهذا لا يُمكن أن يُحيط بكل ذلك؛ إلا بمسجلٍ يصحبه ليلَه ونهارَه، فإذا أوىٰ إلىٰ فراشه استمع لهذا التسجيل، فتكون مدةُ التسجيل أكثرَ من وقت النوم. وهذا واقع كثير من المسلمين، وهذا الذي يُثقل المراقبة.

أما سلف هذه الأمة، فكان حالهم علىٰ ما ورد: «**أن تعبد الله كأنَّك تراه**»[(١)] وهذه منزلة المراقبة؛ لأن أقوالهم قليلة، وخُلطتهم يسيرة، وأضر شيء علىٰ الإنسان الخلطة؛ فهي التي تجر عليه كثرة الكلام؛ لأنه لا يُمكن أن يُخالط الناس ساكتًا، أما لو انزوىٰ في بيته، أو في مسجده، أو في مكتبه، وجلس يقرأ القرآن، ويذكر الله ﷻ، وينظر في كتب العلم، وإذا نشط صلىٰ لله ركعتين، وما أشبه ذلك، فهذا ستكون مراقبته ومحاسبته سهلة؛ لأن الكلمات التي تكلَّم بها مع الناس يسيرة ومعدودة، ووقت الفراغ عنده - بعد شغل عمره وأنفاسه في طاعة الله - يسير، بخلاف من يقضي وقتَه كلَّه يجوب الأسواق يمينًا وشمالًا، وفي الاجتماعات والمحافل، فهذا لا شك أن المراقبة عنده صعبة؛ كمن يتصدر لمراجعةِ حساباتِ مؤسَّسة كبرىٰ متعدِّدة الأنشطة والفروع، أما مَن يقتصر علىٰ محل صغير تباع فيه أشياء يسيرة، فهذا يستطيع أن يُلمَّ بحساباته، ويُخرج خلاصةً يوميةً بنفسه، دون الحاجة إلىٰ محاسِبين.

فإن زكَت فاحمَد المولى مطهِّرها (٢٢٧) ونعمَة اللّٰه بالشُّكران فاستَدِم

«**فإن زكَت فاحمَد المولىٰ مطهِّرها**»؛ فالذي طهَّرها وزكَّاها هو الله ﷻ.

«**ونعمَة الله بالشُّكران فاستَدِم**»؛ فهو المنعم المتفضل أولًا وآخرًا،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٩)، والنسائي (٤٩٩١)، وابن ماجه (٦٤) مرفوعًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهو أهل الحمد وأهل الشكر، قال تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإن عصَت فاعْصِها واعلَم عداوَتها (٢٢٨) وحذِّرَنْها ورودَ المورِدِ الوَخِمِ

«**وإن عصَت فاعْصِها**»، يعني: فإن عصت النفس أو حاولت الوقوع في معصية فاعصها.

«**واعلَم عداوَتها**»؛ فنفس الإنسان التي بين جنبيه عدوة له، تدعوه إلىٰ ما لا يُرضي الله ﷻ، وقد قال في البردة:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهمِ[1]

فهذا البيت حقٌّ، وصحيح ومقبول، وإن كانت القصيدة فيها شرك وباطل كثير، كما هو معلوم.

«**وحذِّرَنها**» حذِّر النفس، وكن باستمرار مجاهدًا لها «**ورودَ المورِدِ**»، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فالورود مضمون، لكن الصدور من هذا الورود هو المشكوك فيه، «**الوَخِمِ**»، الوخيم، وهو الثقيل الرديء[2].

(١) بردة المديح للبوصيري (ص: ٨).

(٢) ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي٣٤/ ٣٤.

وانظُر مخازي المسيئين التي أُخذوا (٢٢٩) بها وحاذِر ذنوبًا من عِقابهِم

يعني: فالذين استحقُّوا العذاب من الأممِ السابقةِ والمعاصرةِ واللاحقةِ، إنَّما عُذبوا بذنوبهم، وبما كسبت أيديهم، فلا تفعل مثل ما فعلوا؛ لئلا تكون نتيجتك مثل نتيجتهم، والسنن الإلهية لا تتغير ولا تتبدَّل.

والزَم صِفات أولي التَّقوى الذين بها (٢٣٠) عليهم الله أثنى واقتَده بهِم

«**والزَم صِفات أولي التَّقوىٰ**»، أي: انظر إلىٰ صفات المتقين؛ لتكون منهم، والتقوىٰ هي الوسيلة الوحيدة للنجاة من عذاب الله ﷻ، وهي وصية الله تعالىٰ للأولين والآخرين.

«**الذين بها عليهم الله أثنىٰ واقتَده بهمِ**» اقتده بهؤلاء المتقين.

واقنُت وبين الرَّجا والخوف قُم أبدًا (٢٣١) تخشى الذُّنوب وترجو عفوَ ذي الكرَمِ

«**واقنُت**»، يعني: ادع ربك باستمرار أن يثبتك علىٰ صراطه المستقيم، وأن يلزمك طريق الاستقامة، وأن يجنبك طرق الزيغ والغواية.

«**وبين الرَّجا والخوف قُم أبدًا**»، يعني: لا بد أن يكون المسلم بين الخوف والرجاء، يخاف الرب ﷻ ويرجوه.

«**تخشىٰ الذُّنوب وترجو عفوَ ذي الكرَمِ**»، يخاف الرب بسبب ذنوبه، ويرجوه التماسًا لعفوه، واعتمادًا علىٰ كرمه وجُوده وإحسانه، فلا يرجوه

معتمدًا علىٰ عمله، فهو إنما يخافه بسبب عمله السيئ، والعمل لن ينجي صاحبه؛ كما جاء: «**لن ينجوَ أحد منكم بعمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمته**»(١).

فعبادة الله ﷻ من قبل المسلم لا بد أن تكون دائرة بين الخوف والرجاء والمحبة، كما يقول بعض أهل العلم: «مَن عبَد الله ﷻ بالحبِّ وحده، فهو زنديق، ومن عبده بالخوفِ وحده، فهو حَروري(٢)، ومن عبده بالرَّجاء وحده فهو مُرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»(٣).

فالخوف ما أورَث التقوى وحثَّ على (٢٣٢) مرضاةِ ربي وهجرِ الإثمِ والأَثِمِ

«**فالخوف ما أورَث التقوىٰ وحثَّ علىٰ مرضاةِ ربي**»، وهذا هو الخوف النافع، أما مَن يدَّعي أنه يخاف من الله ﷻ، ثم لا يعمل عملًا يُنجيه، فهذا خوف دعوىٰ لا قيمة له.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل (٦٤٦٣)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالىٰ (٢٨١٦)، وابن ماجه (٤٢٠١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) الحرورية: فرقة من الخوارج، وقد سمُّوا بذلك نسبة للمكانِ الذي خرج منه أسلافهم علىٰ الخليفة الراشد علي رضي الله عنه، وهو قرب الكوفة، وقد وردَت هذه التسمية في قول عائشة رضي الله عنها: «أحرورية أنت؟» للمرأة التي استشكلت قضاء الحائض الصوم دون الصلاة. ينظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٧)، التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع (ص: ٥٣).

(٣) نسبه أبو طالب المكي في قوت القلوب ٢/ ٦٧٩، لمكحول النسفي، ونسبه الغزالي في الإحياء ٤/ ١٦٦ لمكحول الدمشقي.

«وهجرِ الإثمِ»، يعني: اهجر ما يئول إلىٰ الإثم من المعاصي، والإثم أيضًا يُطلق علىٰ أنواعٍ من المعاصي؛ كالخمر مثلًا، فهو اسم من أسمائها، قال الشاعر:

شربت الإثمَ حتىٰ ضلَّ عقلي كذاك الإثم تذهَب بالعقولِ[١]

وإن كان بعضهم يُنكر إطلاق الإثم علىٰ الخمر[٢]. ومنهم: من يُطلق الإثم علىٰ القمار[٣]، وعلىٰ كل حال فالمقصود هجر كلِّ فعل يئول إلىٰ الإثم والذنب الذي لا يُرضي الله ﷻ.

«والآثِمِ» الأثيم والآثم: هو فاعل الإثم، فاجتنب العاصي واهجره.

كذا الرَّجا ما على هذا يحثُّ لتصـ (٢٣٣) ديقٍ بموعودِ ربي بالجَزا العظمِ

يعني: الجزاء العظيم، صيغة مبالغة، أي: فالرجاء المفرد - الذي يُعوَّل فيه علىٰ سَعة رحمة الله وكرمه دون عمل - لا ينفع.

(١) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور (مادة: أثم)، وتاج العروس؛ للزبيدي (باب الميم، فصل الألف ثم الثاء).

(٢) قد أنكر ابن الأنباري تسمية الخمر إثمًا، وجعله من المجاز. وقال ابن سيده: «وعندي أنه إنما سماها إثمًا؛ لأن شربها إثم». ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور (مادة: أثم)، وتاج العروس؛ للزبيدي (باب الميم، فصل الألف ثم الثاء).

(٣) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور (مادة: أثم)، وتاج العروس؛ للزبيدي (باب الميم، فصل الألف ثم الثاء).

والخوفُ إن زاد أفضى للقُنوط كما (٢٣٤) يُفضي الرَّجاء لأمنِ المكرِ والنِّقَمِ

«والخوفُ إن زاد أفضىٰ للقُنوط»، يريد أنَّ الخوف الذي لا يحثُّ علىٰ التقوىٰ هو خوف يؤدِّي إلىٰ القنوطِ وترك العملِ، واليأس من رَوْح الله، وهذا موبقة من الموبقات.

«كما يُفضي الرَّجاء لأمنِ المكرِ والنِّقَمِ»، أي: وأن الرجاء الذي لا يحث علىٰ التقوىٰ هو رجاء يؤدِّي إلىٰ الأمنِ من مكر الله، وهذا أيضًا من الموبقات. فكلا الأمرين من عظائم الأمور، بل يجب أن يكونا بالنسبة للمسلم كجناحي الطائر، لا يزيد أحدهما علىٰ الآخر، وإن كان بعض أهل العلم يستروح ويميل إلىٰ أنه في وقت الصحة يُغلَّب جانب الخوف، وفي وقت المرض يُغلَّب جانب الرجاء[1].

فلا تُفرِّط ولا تُفْرِط وكن وسطًا (٢٣٥) ومثل ما أمَر الرَّحمن فاستَقِمِ

«فلا تُفرِّط» يعني: لا تُضيع وتتساهل «ولا تُفْرِط» ولا تغلُ «وكن وسطًا»؛ علىٰ غرار قول الشاعر:

ولا تغْلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتَصد كِلا طَرفي قصدِ الأمور ذَميمُ[2]

والشيطان يدرُس نفسية الإنسان، ويعرف ما يُناسبه، قال ابن القيم: «ومن كيده العجيب: أنه يشام[3] النفس، حتىٰ يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام

(١) ينظر: تفسير ابن عرفة ٢/ ١٢٧، وفتح الباري؛ لابن حجر ١١/ ٣٠١.

(٢) البيت بلا نسبة في أكثر المصادر، ينظر: النهاية؛ لابن الأثير ٣/ ٣٨٢.

(٣) يشام: يقاربه ويرقبه. مقاييس اللغة؛ لابن فارس ٣/ ٢٣٦.

والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة، فإن رأىٰ الغالب علىٰ النفس المهانة والإحجام، أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقّله عليه، فهون عليه تركه، حتىٰ يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأىٰ الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة، أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلىٰ مبالغة وزيادة، فيقصر بالأول، ويتجاوز بالثاني.

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادىٰ التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي. والقليل منهم جدًا الثابت علىٰ الصراط الذىٰ كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه»[(١)].

وهو يُريد إضلاله علىٰ كلِّ حال، فلو استطاع لجرَّه إلىٰ الكفرِ والمعاصي وتركِ الديانة؛ ليكون مثله ومعه في السعير، وإن لم يستطع - بأن وجد عنده تمسكًا بالعبادات وتشبثًا بها- دفعه إلىٰ الزيادة والإفراط، فيقول له: أنت مُفرِّط، ولا تعمل شيئًا بجانب ما عَمل الفُضيل، وسفيان الثوري، وأمثالهما. فيجعله يزيد حتىٰ يغلو وينسلخ من الدين وهو لا يشعر؛ كما حصل من الخوارجِ الذين يمرُقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية[(٢)].

(١) إغاثة اللهفان؛ لابن القيم ١/ ١١٥-١١٦.

(٢) نص حديث أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٦٩٣٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض علىٰ قتل الخوارج (١٠٦٦)، وأبو داود (٤٧٦٧)، والنسائي (٤١٠٢)، من حديث علي رضي الله عنه. وقد جاء عن أبي سعيد الخدري، وجابر، وسهل بن حنيف، وابن مسعود، وأبي ذر، وابن عباس، وغيرهم رضي الله عنهم.

«ومثل ما أمَر الرَّحمن فاستَقِمِ»، فاستقم علىٰ مثل ما أمرك الله به ﷻ، فيجب علىٰ الإنسان أن يتمسَّك بدائرة الإسلام، فما دام فيها، فهو علىٰ خير.

سدِّد وقارِب وأبشِر واستَعن بغُدٍ (٢٣٦) وبالرَّواح وأدلِج قاصدًا ودُم

«سدِّد وقارِب»، فنفسك تتشوَّف إلىٰ الغاية ولن تصل إليها، ولن تصل إلىٰ الكمال؛ لأنك مجبول علىٰ النقص، لكن مع ذلك احرص أن يكون عملك سدادًا مصيبًا للمطلوب، فإن عجزت فقارب الكمال، وذلك علىٰ وفق ما جاء عن النبي ﷺ؛ كما قال: «**سدِّدوا وقارِبوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوةِ والروحةِ، وشيءٍ من الدُّلجةِ**»[(١)]، والدُّلجة: هي السَّير من أول الليل، وسير الليل كله.

«وأبشِر واستَعن بغُدو وبالرَّواح»، يعني: أول النهار وآخره، «وأدلِج قاصدًا» أَدْلج: سِر من أول الليل، وادَّلِج: سِرْ آخرَه[(٢)]، والمقصود: أن تستغلَّ وقتك آناء الليل وأطراف النهار.

«ودُم» علىٰ ذلك ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحِجر: ٩٩]؛ فهذه هي الغاية، فلا تستسلم للتعبِ ولا تستحسر فتنقطع.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالىٰ (٢٨١٦)، والنسائي (٥٠٣٤)، وابن ماجه (٤٢٠١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. واللفظ للبخاري، والنسائي، وهو في مسلم وابن ماجه بالاقتصار منه علىٰ «**قاربوا وسددوا**».

(٢) تهذيب اللغة؛ للأزهري ١٠/ ٣٤٥، الصحاح؛ للجوهري ١/ ٣١٥.

فمثلُ ما خانَت الكسلانَ همَّته (٢٣٧) فطالما حُرم المنبتُّ بالسأمِ

«فمثلُ ما خانَت الكسلانَ همَّته» الكسلان المفرّط هو الذي يسوِّف، كأن يقول - مثلا -: سوف أبدأ حفظ القرآن في الغد، وإذا جاء الغد خانته همَّته، وكذا إذا أحسَّ بأدنىٰ تعب ترك الرواتب، ويُسوف في صيام النوافل بحجة الحرِّ، وإذا جاء شهر الحج نوىٰ أن يحج، علىٰ أن يتفرغ للعبادة بعد الحجِّ، ثم تمضي عليه الأيام والسنون ولا يحفظ ولا يلتزم، ولا يتطوع، ولا يطلب علمًا، فالكسلان يُقصر في الواجبات ، ويتمنَّىٰ علىٰ الله الأماني.

«فطالما حُرم المنبتُّ» المقابل للكسلان، وهو الذي يُتابع السير علىٰ الدابَّة حتىٰ تسقُط وتهلك، ثم بعد ذلك يجلس من دون دابة، فهو الذي يتشدد في الأمر، ويحمِّل نفسه فوق طاقتها؛ كأن يلتزم بحفظ جزءٍ كاملٍ من القرآن كلَّ يوم، فيأوي في أول يوم إلىٰ فراشه وهو متعب، وقد أخلَّ بالواجبات، وانقطع عن بعضِ الأعمالِ؛ كواجب الوالدين، وغير ذلك مما قد أُنيط به، ونسي أنَّ: «**أحَب العملِ إلىٰ الله أدوَمه، وإن قلَّ**»(١).

«بالسأمِ»، أي: يمل ويسأم، وقد جاء: «**إن الدِّين يُسر، ولن يُشاد الدينَ أحدٌ إلا غلَبه**»(٢)، فعلىٰ الإنسان ألا يُحمِّل نفسه أكثر مما تستطيع حمله؛ لا سيما في

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل (٦٤٦٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٧٨٢)، وأبو داود (١٣٦٨)، والنسائي (٧٦٢) مرفوعًا من حديث عائشة رضي الله عنها. وقد جاء عن أبي هريرة وأم سلمة وغيرهما رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩)، والنسائي (٥٠٣٤) مرفوعًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أوَّل الأمر، فهذا وقت المجاهدةِ، ولا يصح أن تحمِّل نفسك فوق ما تحتمل وأنت ما زلت في وقتِ جهادِ النفسِ؛ فهذا يؤدِّي بك - لا محالة - إلىٰ الانقطاع، ولكن اعتمد التدرُّج - وخاصة إذا كانت حافظتك لا تُسعفك، أو كنت مرتبطًا بأعمال كثيرة - فابدأ بحفظ آيتين، وراجع عليهن أحد التفاسير؛ بحيث تفهم ما حفظت، ثم من الغد ثلاث آيات، وتستمر علىٰ ذلك أسبوعًا، ثم في الأسبوع الثاني تزيد آية، وهكذا، ثم بعد ذلك تَنْشَطُ نفسُك وهمَّتُك، وتتجدَّد حافظتك، إلىٰ أن يصل بك الحدُّ إلىٰ ما وصل إليه سلف هذه الأمة الذين قضَوا أعمارهم وأنفاسهم فيما يُرضي الله ﷻ.

فهؤلاء قد جاهدوا أنفسهم سنين، ثم تعدوا مرحلةَ المجاهدة، وبدءوا بمرحلة التلذُّذ، فتلذَّذوا أيضًا بالعبادة سنين، والنبي ﷺ كان يقوم حتىٰ تتفطَّر قدماه[1]، ومعروف أن الأقدام لن تتفطَّر في ليلةٍ واحدةٍ، ولو حاول إنسان الآن أن يفعل مثل النبي ﷺ، وقام ليلةً واحدة إلىٰ أن يسقط من التعب، فإنه لن يُوتر من الغد ولا بركعة، وهذا منبت لا ظهرًا أبقىٰ، ولا أرضًا قطع[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (٤٨٣٧)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢٨٢٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) هذا نص حديث قد رُوي عن عدد من الصحابة، منهم:

١. جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا: أخرجه البزار (كشف الأستار ٧٤)، وابن الأعرابي في المعجم (١٨٨٣)، والبيهقي في الكبير (٤٨٠٦)، وفي الشعب (٣٦٠٣) وغيرهم.

٢. عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: أخرجه البيهقي (٤٨٠٧).

٣. عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: أخرجه البيهقي في الشعب (٣٦٠٢). =

ودُم على الباقياتِ الصَّالحات وحو (٢٣٨) قِل واسأل اللّٰه رزقًا حُسن مُختَتمِ

«**ودُم علىٰ الباقياتِ الصَّالحات**»، وهي الذِّكر، من تسبيحٍ، و تحميدٍ، و تهليلٍ، و تكبيرٍ. والجنة قِيعان، وغِراسها التَّسبيح، والتَّحميد، والتَّهليل، والتَّكبير، فقد جاء في الحديث: «أن إبراهيم عليه السلام ليلة الإسراء قال للنبي ﷺ: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(١). وجاء مرفوعًا: «**لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله** ﷻ»(٢).

«**وحوقِل**»، أكثِرْ من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فلا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ من كنوز الجنة(٣)، وهذا كنز لا يُتصور ولا يخطر علىٰ بال، فالجنة

= ٤. محمد بن المنكدر مرسلًا: أخرجه ابن المبارك في الزهد (رواية المروزي ١١٧٨)، ووكيع في الزهد (٢٣٤).

وقال الدارقطني في العلل (٣٦٩٣) بعد أن استعرض طرقه: «ليس فيها حديث ثابت». ورجَّح البيهقي في الشعب (٣٦٠٢) أن الصحيح إرساله. وضعَّفه السخاوي في الأجوبة المرضية ١/ ١٠- ١٥.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات (٣٤٦٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حسن غريب». ورجَّح أبو حاتم في العلل (٢٠٠٥) أنه مرسل. وأعلَّه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٧٦ بالانقطاع وبضعف أحد رواته. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار ١/ ١٠٢ تعليقًا علىٰ تحسين الترمذي للحديث: «قلت: وحسَّنه لشواهده، ومن ثَم قيَّد الغرابة» ثم ضعَّف ابن حجر أحد رواته.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر (٣٣٧٥)، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر (٣٧٩٣)، وأحمد (١٧٦٨٠)، وصححه: ابن حبان (٨١٤)، والحاكم (١٨٤٦)، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه مرفوعًا. وقال الترمذي: «حسن غريب».

(٣) هذا نص حديث مرفوع: أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول: لا حول ولا قوة إلا بالله (٦٤٠٩)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤)، وأبو داود (١٥٢٦)، وابن ماجه (٣٨٢٤)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه. وجاء عن أبي هريرة، وأبي ذر، وزيد بن ثابت وغيرهم رضي الله عنهم.

تُرابها المسك الأذْفَر[١]، فما الذي يخفىٰ تحت هذا التراب؟! يعني: فإذا كان الناس يكنزون الذهب تحت التراب العادي، فكيف بالكنز الذي يُكنز تحت المسك؟! فهذا شيء لا يتصوَّره عقل، ولا يخطر علىٰ قلب بشر.

«واسأل الله رزقًا حُسن مُختَتمِ»، يعني: اسأل الله حسن الخاتمة، واجعل لسانك رطبًا دائمًا ملازمًا للدعوة بحسن الخاتمة؛ لأنه جاء في الحديثِ الصحيح: «**إن أحدكم ليعملَ بعملِ أهلِ الجنةِ حتىٰ لا يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها**»[٢]. وسلف هذه الأمة كانوا علىٰ وجلٍ دائمٍ، ومراقبةٍ تامةٍ لحسن الخاتمة، يلهجون بهذا في كلِّ وقت؛ خوفًا من سوء الخاتمة؛ لأن العبرة بالخواتيم[٣].

واضرَع إلى اللّٰه في التَّوفيق مُبتهلاً (٢٣٩) فهو المجيبُ وأهل المنِّ والكرَمِ

«واضرَع إلىٰ الله في التَّوفيق» أي: في أن يوفقك لما يكون سببًا في سعادتك في الدنيا والآخرة، «مُبتهلًا» داعيًا؛ «فهو المجيبُ وأهل المنِّ والكرَمِ»، وأخبت وانكسر بين يدي الله ﷻ.

(١) مسك أذفر: ذكي الريح، جيد إلىٰ الغاية. ينظر: تهذيب اللغة؛ للأزهري ١٤/ ٣٠٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٤٥٤)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٧٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وجاء عن أبي هريرة، وأنس، وسهل بن سعد وغيرهم رضي الله عنهم.

(٣) أخرج البخاري، كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم (٦٦٠٧)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «**وإنما الأعمال بالخواتيم**».

يـا رب يـا حـيُّ يـا قيـوم مغفـرةً (٢٤٠) لمـا جَنيـت مـن العصـيانِ واللَّمَـمِ

«يا رب يا حيُّ يا قيُّوم»، فلقد جاء أن هذا هو الاسم الأعظم(١)، وأنه في ثلاث آيات من القرآن، يعني: في مفتتح «آية الكرسي»، وفي مفتتح «آل عمران»، وفي «طه»: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١](٢).

«مغفرةً»، يعني: أرجوك مغفرة، وليكثر من قول: يا رب يا رب، وأولىٰ ما يُدعىٰ به الله ﷻ بهذا الاسم «يا رب»، وأهل العلم يقولون: «من قال: يا رب، يا رب، خمس مرات أُجيبت دعوته»(٣)، إذا لم يكن ثَم مانع، واستدلُّوا بما جاء في آخر آل عمران:

(١) المرة الأولىٰ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء (١٤٩٦)، والترمذي، كتاب الدعوات (٣٤٧٨)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (٣٨٥٥)، وأحمد (٢٧٦١١)، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، **وفاتحة سورة آل عمران**: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]».

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (٣٨٥٦)، والحاكم (١٨٩٠)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه، فالتمستها، فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وفي سورة آل عمران**: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]، **وفي سورة طه**: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]».

(٣) ذكره القرطبي في التفسير ٤/ ٣١٨، من قول جعفر الصادق رحمه الله.

(٢) المرة الثانية: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

(٣) المرة الثالثة: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

(٤) المرة الرابعة: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

(٥) المرة الخامسة: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

«لما جَنيت من العصيانِ واللَّمَمِ»؛ لأن هذه المعاصي رُتبت عليها عقوبات، وإن كانت تحت المشيئة، لكن لا ضمانة، فانظر إلىٰ ما رُتب عليها، وابذل السبب، فتُب إلىٰ الله ﷻ وارجُ المغفرة منه ﷻ، يمحُ أثر هذه المعاصي، سواءٌ أكانت من الذنوب الكبائر، أم من الصغائرِ اللممِ.

وامنُن علي بما يُرضيك واقضِهِ لي (٢٤١) من اعتقادٍ ومن فعلٍ ومن كلِمِ

«وامنُن علي بما يُرضيك واقضِهِ لي من اعتقادٍ»، أي: امنن علي بما يرضيك من الاعتقاد الموافق لما جاء عنك وعن رسولك ﷺ، واتفقَ عليه سلفُ هذه الأمة.

«ومن فعلٍ»، يعني: من أعمال بدنية، «ومن كلِمِ» من قول باللسان.

وأعْلِ دينَك وانـصُر ناصِريه كما (٢٤٢) وعَـدتهم ربَّنـا في أصـدقِ الكلِـمِ

«وأعْلِ دينَك وانصُر ناصِريه» يسأل الله ﷻ دائمًا أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يخذل الكفر وأهله أعداء الدين «كما وعَدتهم ربَّنا في أصدقِ الكلِمِ» في قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

واقصِم ببأسِك ربي حزبَ خاذِلِه (٢٤٣) وردَّ كيدَ الأعادي في نُحورِهِمِ

«واقصِم ببأسِك ربي حزبَ خاذِلِه»، دعاء على مَن خذَل الدين، «وردَّ كيدَ الأعادي في نُحورِهِمِ»، يعني: يدعو على من عادىٰ هذا الدين، وعادىٰ أولياء الله ﷻ.

واشدُد عليهم بزلزال ودَمْدمةٍ (٢٤٤) كما فعَلت بأهلِ الحِجْر في القدَمِ

«واشدُد عليهم بزلزال ودَمْدمةٍ»، أي: أهلكهم بالزلازل القوية المدمرة، «كما فعَلت بأهلِ الحِجْر في القدَمِ»، يعني: قوم صالح لما قتلوا الناقة دَمْدَم عليهم بلدانهم - نسأل الله السلامة والعافية-.

واجعَلهمو ربَّنا للخلقِ موعِظةً (٢٤٥) وعبرةً يا شديدَ البطشِ والنِّقمِ

«واجعَلهمو ربَّنا للخلقِ موعِظةً وعبرةً يا شديدَ البطشِ والنِّقمِ»، أي: اجعلهم للناس عبرةً وموعظةً بما حلَّ بهم من الرَّزايا، والمهلكات، والفواجع، والمَثُلات[1].

ثم الصَّلاة على المعصومِ من خطأ (٢٤٦) محمَّد خيرِ رسلِ الله كلِّهمِ

فالصلاة علىٰ النبي ﷺ في خاتمة الدعاء كالطابع له؛ ولذلك دعا، ثم ختم كلامه كله ووصيته رَحِمَهُ اللَّهُ بالصلاة علىٰ النبي ﷺ.

والآلِ والصَّحبِ ثم التابِعين لهم (٢٤٧) وتمَّ نَظمي بحمدِ الله ذي النِّعمِ

«والآلِ والصَّحبِ» جمع بينهما؛ لأن لكل من الآل والصحب حقوقًا علىٰ هذه الأمة، وقد تقدم في مطلع النظم ما يغني عن تكراره هنا.

«ثم التابِعين لهم وتمَّ نَظمي بحمدِ الله ذي النِّعمِ»، فكما ابتدأ بالحمد ختم بالحمد، والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

(١) جمع المَثُلة وهي العقوبة. ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي (باب اللام، فصل الميم ثم الثاء).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- **الجواب الباهر في زوار المقابر**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، شارك في تحقيقه: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.
- **إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلىٰ الفرائد المسموعة**، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (ت٧٦١هـ)، المحقق: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **أخلاق العلماء**، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، وعبد الله بن

عبد اللطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

- **أدب الاملاء والاستملاء**، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، (ت٥٦٢هـ)، المحقق: ماكس فايسفايلر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١/ ١٩٨١.

- **أدب الكاتب**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- **إصلاح المنطق**، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المشهور بابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

- **اقتضاء العلم العمل**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- **الإبانة الكبرى لابن بطة**، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت ٣٨٧ هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

- **الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية**، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢ هـ)، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، محمد بن مفلح الحنبلي (ت٧٦٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنَؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، أبو يعلىٰ الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (ت ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر.
- **الأصول الثلاثة وأدلتها**، وشروط الصلاة، والقواعد الأربع، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.
- **الأعلام**، خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **الأم**، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.
- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)**، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المَرْداوي (ت ٨٨٥ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.
- **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- **البدع والنهي عنها**، أبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي (ت٢٨٦هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦ هـ.
- **التاريخ الكبير**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، مصورة من الطبعة الهندية، حيدر آباد، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦م.
- **الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك**، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: طه أحمد مصلح الوعيل، إشراف: الدكتور أكرم ضياء العمري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.
- **الجامع الصغير من حديث البشير النذير**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي (ت٦٧١ هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.
- **الجامع لشعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨ هـ)، المحقق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن

حسن، عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، حمدان بن محمد الحمدان، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- **الحذر من السحر**، خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **الحلم**، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت٢٨١ هـ)، طبع ضمن الجزء السادس من موسوعة ابن أبي الدنيا، المحقق: فاضل بن خلف الحمادة الرقي، دار أطلس الخضراء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢ م.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- **الزهد والرقائق**، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المرْوزي (ت١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الزهد**، أبو سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي (ت١٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

- **السنة،** أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ (ت٢٩٠هـ)، تحقيق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
- **السنن الكبرىٰ ،** أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: مركز هجر للبحوث والدراسات، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.
- **الشريعة،** أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.
- **الضعفاء،** أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسىٰ بن حماد، العُقيلي (ت٣٢٢هـ)، المحقق: قسم التحقيق بدار التأصيل.
- **العرش،** شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **العزلة،** أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨ هـ)، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.
- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية،** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **العلل**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية سعد بن عبد الله الحميد وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.
- **العلم والحلم**، آدم بن أبىٰ إياس (ت ٢٢٠هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، البحرين، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥هـ.
- **العلم**، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت٢٣٤هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.
- **الفتاوىٰ الكبرىٰ**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- **الفوائد**، تمام بن محمد الرازي أبو القاسم (ت٤١٤هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- **الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**، المؤلف: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥ هـ)، المحقق: مازن محمد السرساوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ هـ.

- **الكبائر**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨ هـ)، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة الفرقان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، شمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولىٰ: ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، شمس الدين البرْماوي (ت٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢ م.

- **اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف**، أبو موسىٰ محمد بن أبي بكر بن أبي عيسىٰ المديني (ت٥٨١هـ)، المحقق: أبو عبد الله محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، أبو حاتم محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

- **المجموع شرح المهذب**، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار الفكر.

- **المدخل إلى علم السنن**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار اليسر - دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق ونشر: مركز البحوث بدار التأصيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: أحمد بن محمد بن عبد الله بن حميد، تنسيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق عوض الله، عبد المحسن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة.
- **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- **المعجم**، أبو سعيد بن الأعرابي (ت٣٤٠هـ)، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.
- **المغني عن حمل الأسفار**، أبو الفضل العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **المغني**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن

عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم**، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ)، المحقق: محي الدين ديب، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المعروف بشرح النووي علىٰ مسلم**، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ.
- **الموضوعات**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ)، المحقق: نور الدين شكري بوياجيلار، أضواء السلف، مكتبة التدمرية.

- **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، (ت٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **بردة المديح**، محمد بن سعيد بن حماد البوصيري (ت٦٩٦هـ)، دار التراث البوديلمي.
- **بُغية الْمُلتمس في سُباعيَّات حديث الإمام مالك بن أنس**، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي (ت٧٦١هـ)، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان الفاسي (ت ٦٢٨هـ)، المحقق: الحسين آيت سعيد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضىٰ الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- **تاريخ الرسل والملوك**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م.
- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١ هـ)، المحقق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.
- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ**، فخر الدين عثمان بن علي بن محجن الزيلعي الحنفي (ت ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الشِّلْبِيُّ (ت ١٠٢١هـ)، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، بولاق، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٣١٥ هـ.
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوريٰ (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- **تذكرة الحفاظ**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- **تعظيم قدر الصلاة**، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت٢٩٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.
- **تفسير ابن عرفة**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة (ت٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨ م.
- **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.
- **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.
- **تَكملَة مُعجم المُؤلفين**، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.
- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولىٰ، ١٣٢٥هـ.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي (ت٧٤٢هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.
- **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- **درء تعارض العقل والنقل**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **ذم الكلام وأهله**، أبو إسماعيل الهروي (ت٤٨١ هـ)، المحقق: أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.
- **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنَؤوط، عبد القادر الأرنَؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (ت ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤُوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قرة بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسىٰ بن سورة (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

- **سنن الدارقطني**، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وحسن عبد المنعم، وجمال عبد اللطيف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٤م.
- **سنن النسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرنَؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنَؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- **شرح السنة**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ/ ١٤٩٤ م.
- **شرف أصحاب الحديث**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب (ت٤٦٣هـ)، المحقق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية القاهرة، مصر، مكتبة العلم، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار طوق النجاة، بيروت، طبعة مصورة من الطبعة الأميرية ببولاق (١٣١١هـ)، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ.
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٣٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **طبقات الشافعية الكبرىٰ**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ.
- **طبقات الشافعية**، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، (ت٧٧٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- **طبقات المفسرين**، محمد بن علي بن أحمد الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، المحقق: عبد الكريم الخضير، دار المنهاج، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.
- **فرق معاصرة تنتسب إلىٰ الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م.
- **قوت القلوب في معاملة المحبوب**، أبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت٣٨٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **كتاب الزهد الكبير**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: عامر أحمد حيدر، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- **لسان العرب**، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- **لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن**، محمد بن عبد الواحد الغافقي (ت ٦١٩هـ)، المحقق: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.
- **متن القصيدة النونية**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **مجموع الفتاوىٰ**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- **مختصر العلامة خليل بن إسحاق بن موسىٰ المالكي المصري (ت٧٧٦هـ)**، المحقق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- **مختصر المختصر من المسند الصحيح**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١ هـ)، المحقق: الدكتور ماهر الفحل، دار الميمان، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **مسند الإمام أحمد**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
- **مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، (ت٢٩٢ هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلىٰ ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلىٰ ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- **مسند الشاميين**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠ هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩ م.

- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت٨٤٠هـ)، المحقق: محمد مختار حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م.
- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب)**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.
- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ)، مؤسسة الرسالة.
- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، عنىٰ بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- **مقدمة ابن خلدون**، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- **منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمىٰ «تحفة الباري»**، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت٩٢٦ هـ)، اعتنىٰ بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

- **موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.
- **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني (ت٩٥٤هـ)، المحقق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب.
- **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.
- **نظم اللآلي بالمائة العوالي**، برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخي (ت٨٠٠ هـ)، تخريج: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م.
- **وصف الفردوس**، عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت٢٣٨ هـ)، تحقيق: سعد كريم الدرعمي، دار ابن خلدون.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

فهرس أبيات المنظومة

	الأبيات		الصفحة
١.	الحمد لله ربِّ العالمين علىٰ	آلائه وهو أهلُ الحمدِ والنعمِ	٢٧
٢.	ذي المُلْكِ والملكوتِ الواحدِ الصَّمدِ الـ	ـبرِّ المهيمنِ مُبدي الخلقِ من عدمِ	٢٩
٣.	من علَّم الناس ما لا يعلَمون وبالـ	ـبيانِ أنطَقهم والخطِّ بالقلمِ	٢٩
٤.	ثم الصَّلاة علىٰ المختارِ أكرمِ مبـ	ـعوثٍ بخيرِ هُدًىٰ في أفضلِ الأممِ	٣٠
٥.	والآلِ والصحبِ والأتباعِ قاطبةً	والتابعين بإحسانٍ لنهجِهم	٣٢
٦.	ما لاح نجمٌ وما شمسُ الضُّحىٰ طلَعتْ	وعدَّ أنفاسِ ما في الكونِ من نَسَمِ	٣٥
٧.	وبعدُ مَنْ يُردِ الله العظيمُ به	خيرًا يُفقِّهْه في دينِه القِيَمِ	٣٧
٨.	وحثَّ ربي وحضَّ المؤمنين علىٰ	تفقُّه الدين مَعْ إنذارِ قومِهم	٣٩
٩.	وامتنَّ ربي علىٰ كلِّ العبادِ وكلْـ	ـلِّ الرُّسل بالعلمِ؛ فاذكرْ أكبرَ النِّعمِ	٤٠
١٠.	يكفيك في ذاك أُولىٰ سورةٍ نزَلت	علىٰ نبيِّك أعني سورةَ القلمِ	٤٠
١١.	كذاك في عَدِّه الآلاءَ قدَّمه	ذكرًا وقدَّمه في سورةِ النَّعَمِ	٤١
١٢.	وميَّز الله حتىٰ في الجوارحِ ما	منها يُعلَّم عن باغٍ ومُغْتشِمِ	٤٢
١٣.	وذمَّ ربي تعالىٰ الجاهلين به	أشدَّ ذمٍّ فهم أدنىٰ من البَهَمِ	٤٣
١٤.	وليس غِبطةٌ الا في اثنتين هما الـ	إحسانُ في المالِ أو في العلمِ والحكمِ	٤٣
١٥.	ومن صفاتِ أولي الإيمانِ نَهْمَتُهم	في العلم حتىٰ اللِّقىٰ أغبِط بذي النَّهَمِ	٤٤

١٦.	العلمُ أعلىٰ وأحلىٰ ما له استَمَعتْ	أذْنٌ وأعرَب عنه ناطقٌ بفمِ	٤٥
١٧.	العلم غايتُه القصوىٰ ورتبتُه الـ	ـعَلياءُ؛ فاسعَوا إليه يا أولي الهِمَمِ	٤٧
١٨.	العلمُ أشرفُ مطلوبٍ وطالبُه	لله أكرمُ من يمشي علىٰ قدمِ	٤٨
١٩.	العلمُ نورٌ مبينٌ يستضيء به	أهلُ السعادةِ والجهَّالُ في الظُّلَمِ	٤٨
٢٠.	العلمُ أعلىٰ حياةٍ للعباد كما	أهلُ الجهالَة أمواتٌ بجَهلِهِمِ	٤٩
٢١.	لا سمعَ لا عقلَ بل لا يُبصرون وفي السْـ	ـسَعير معْتَرف كلٌّ بذَنبهمِ	٥٠
٢٢.	فالجهلُ أصلُ ضلالِ الخلقِ قاطبةً	وأصلُ شِقْوتهم طرًّا وظُلْمهمِ	٥٠
٢٣.	والعلمُ أصلُ هداهم مَعْ سعادَتهم	فلا يضلُّ ولا يَشقىٰ ذوو الحِكَمِ	٥٢
٢٤.	والخوفُ بالجهلِ والحزنُ الطويلُ به	وعن أولي العلم مَنفيَّانِ فاعتصمِ	٥٢
٢٥.	العلمُ والله ميراثُ النبوَّة لا	ميراثَ يُشبِهه طوبىٰ لمقتَسمِ	٥٣
٢٦.	لأنه إرثُ حقٍّ دائمٍ أبدًا	وما سواه إلىٰ الإفناءِ والعدمِ	٥٤
٢٧.	ومنه إرثُ سليمانَ النبوَّةَ والـ	ـفضلَ المبينَ فما أَوْلاه بالنِّعمِ	٥٥
٢٨.	كذا دعا زكريَّا ربَّه بوليّ	الآلِ خوفَ الموالي مِن ورائهمِ	٥٥
٢٩.	العلمُ ميزانُ شرع الله حيثُ به	قِوامُه، وبدونِ العلمِ لم يقُمِ	٥٦
٣٠.	وكلما ذُكر السلطانُ في حججٍ	فالعلمُ، لا سلطةُ الأيدي لمُحْتكمِ	٥٧
٣١.	فسلطةُ اليدِ بالأبدانِ قاصرةٌ	تكون بالعدلِ أو بالظلمِ والغَشمِ	٥٧
٣٢.	وسلطةُ العلمِ تنقاد القلوبُ لها	إلىٰ الهدىٰ وإلىٰ مَرضاة ربِّهمِ	٥٨
٣٣.	ويذهب الدِّين والدُّنيا إذا ذهب الـ	ـعلمُ الذي فيه مَنجاةٌ لمعتَصمِ	٥٨
٣٤.	العلمُ يا صاحِ يستَغفرْ لصاحبِه	أهلُ السَّماوات والأرضين من لَمَمِ	٥٩

٣٥.	كـذاك تسـتَغفرُ الحيتـانُ في لُجـجٍ	مـن البحـارِ لـه في الضـوءِ والظلَـمِ	٦٠
٣٦.	وخـارجٌ في طِـلاب العلـمِ محتسـبًا	مجاهـدٌ في سـبيلِ الله أيُّ كَمِـي	٦١
٣٧.	وإنَّ أجنِحـةَ الأمـلاكِ تبسُـطها	لطالبيـه رضًـا مـنهم بصُـنعهمِ	٦٢
٣٨.	والسَّـالكون طريـقَ العلـمِ يُسْـلِكُهُمْ	إلـىٰ الجنـان طريقًـا بـارئُ النَّسـمِ	٦٤
٣٩.	والسَّـامعُ العلـمَ والـواعي ليَحفظـه	مؤديًـا ناشـرًا إيَّـاه في الأمـمِ	٦٤
٤٠.	فيـا نضـارَته إذ كـان متَّصـفًا	بـذا؛ بـدعوةِ خيـرِ الخلـقِ كلِّهـمِ	٦٥
٤١.	كفَـاك في فَضـلِ أهـلِ العلـمِ أن رُفعـوا	مـن أجلِـه درجـاتٍ فـوق غيـرِهمِ	٦٥
٤٢.	وكـان فضـلُ أبينـا في القـديمِ علـىٰ الـ	أمـلاكِ بـالعلمِ مـن تعلـيمِ ربِّهـمِ	٦٦
٤٣.	كـذاك يوسـفُ لـم تظهَـر فضـيلتُه	للعـالمين بغيـرِ العلـمِ والحكَـمِ	٦٦
٤٤.	ومـا اتِّبـاع كلـيمِ الله للخَـضِر الـ	ـمعروفِ إلا لعلـمٍ عنـه مُنْـبهمِ	٦٧
٤٥.	مَـعْ فضـلِه برسـالاتِ الإلـه لـه	وموعـدٍ وسـماعٍ منـه للكَلـمِ	٦٨
٤٦.	وقـدَّم المصـطفىٰ بـالعلمِ حامِلَـه	أَعْظِـمْ بـذلك تقـديمًا لـذي قـدمِ	٦٨
٤٧.	كفـاهمو أن غـدَوا للـوحي أوعيـةً	وأضـحَتِ الآيُ منـه في صـدورهمِ	٦٩
٤٨.	وأن غـدَوا وُكـلاءَ في القيـامِ بـه	قـولًا وفعـلًا وتعليمًـا لغيـرهمِ	٦٩
٤٩.	وخصَّـهم ربُّنـا قصـرًا بخشـيَته	وعَقـل أمثالِـه في أصـدقِ الكلـمِ	٧٠
٥٠.	ومـعْ شـهادَته جـاءت شـهادَتهم	حيث استجابوا وأهلُ الجهلِ في صَمَمِ	٧١
٥١.	ويشـهدون علـىٰ أهـلِ الجهالـةِ بالـ	ـمولىٰ إذا اجتَمعـوا في يـومِ حشـرِهم	٧١
٥٢.	والعـالِمون علـىٰ العبّـادِ فَضـلُهمُ	كالبـدر فضـلًا علـىٰ الـدُّرِّيِّ؛ فـاغتنمِ	٧٢
٥٣.	وعـالم مـن أولـي التَّقـوىٰ أشـدُّ علـىٰ الـ	ـشَّيطان مـن ألـفِ عبَّـاد بجمعهـمِ	٧٣

٥٤.	وموتُ قومٍ كثيري العدِّ أيسرُ مِنْ	حَبرٍ يموت مُصابٌ واسعُ الألمِ	٧٤
٥٥.	كما منافِعُه في العالم اتَّسعت	وللشَّياطين أفراحٌ بمَوتهمِ	٧٤
٥٦.	تالله لو عَلموا شيئًا لما فرِحوا	لأنَّ ذلك من أعلامِ حتفِهمِ	٧٦
٥٧.	هم الرُّجوم بحقٍّ كلَّ مُسترقٍ	سمعًا كشُهب السَّما أَعْظِمْ بشُهبهمِ	٧٦
٥٨.	لأنهم لكلا الجِنسين صائبةٌ	شيطانَ إنسٍ وجنٍّ دون بَعضهمِ	٧٦
٥٩.	هم الهُداة إلىٰ أهدىٰ السَّبيل وأهـ	ـلُ الجهلِ عن هديهم ضلُّوا؛ لجَهلهمِ	٧٧
٦٠.	وفضلُهم جاء في نصِّ الكتابِ وفي الـ	ـحديثِ أشهَر من نارٍ علىٰ علمِ	٧٧
٦١.	يا طالبَ العلمِ لا تبغي به بدلًا	فقد ظَفِرت وربِّ اللَّوح والقلمِ	٧٩
٦٢.	وقدِّسِ العلمَ واعرِفْ قدرَ حرمَتِهِ	في القولِ والفعلِ والآداب؛ فالتَزِم	٨٠
٦٣.	واجهَدْ بعزمٍ قويٍّ لا انثِناءَ لهُ	لو يعلَمُ المرءُ قدرَ العلمِ لم ينَمِ	٨٢
٦٤.	والنُّصح فابذُله للطُّلَّابِ محتسبًا	في السِّرِّ والجهرِ، والأستاذَ فاحترمِ	٨٢
٦٥.	ومرحبًا قُل لمن يأتيك يطلُبه	وفيهم احفَظ وصايا المصطفىٰ بهمِ	٨٥
٦٦.	والنيَّةَ اجعَلْ لوجه الله خالصةً	إنَّ البناءَ بدون الأصلِ لم يقُمِ	٨٦
٦٧.	ومن يكن ليقولَ النَّاسُ يطلُبه	أخسِرْ بصفقَته في موقفِ النَّدمِ	٨٦
٦٨.	ومَن به يَبتغي الدُّنيا فليس له	يومَ القيامةِ من حظٍّ ولا قسَمِ	٨٦
٦٩.	كفىٰ بـ﴿مَن كَانَ﴾ في شُورىٰ وهودٍ وفي الـ	ـإسراءِ مَوعظة للحاذقِ الفَهِمِ	٨٧
٧٠.	إيَّاك واحذَر مماراةَ السَّفيه به	كذا مُباهاة أهلِ العلمِ لا تَرُمِ	٨٨
٧١.	فإن أبغضَ كلِّ الخلقِ أجمعهم	إلىٰ الإله ألدُّ الناس في الخِصَمِ	٨٨
٧٢.	والعُجبَ فاحذَره إن العجبَ مُجتَرِفٌ	أعمالَ صاحبِه في سيلِه العَرِمِ	٨٩

٧٣.	وبـــالمهمِّ المهـــمِّ ابـــدأ لتُدركَـــه	وقـــدِّمِ الـــنصَّ، والآراءَ فـــاتَّهمِ	٨٩
٧٤.	قـــدِّم وجوبًـــا علـــومَ الـــدِّين إنَّ بهـــا	يَبـين نهـجُ الهـدىٰ مـن موجِـب الـتِّقمِ	٩٢
٧٥.	وكـــلُّ كســـرِ الفتـــىٰ فالـــدِّين جـــابرُه	والكسـرُ في الـدِّين صـعبٌ غيـر مُلتـئمِ	٩٤
٧٦.	دع عنـك مـا قالَـه العصـريُّ منـتحلًا	وبـــالعتيقِ تمسَّـــكْ قـــطُّ واعتصِـــمِ	٩٥
٧٧.	مـــا العلـــمُ إلا كتـــابُ الله، أو أثـــرٌ	يجلـــو بنـــورِ هُـــداه كـــلَّ مُنـــبهمِ	٩٧
٧٨.	مـا ثَـم علـمٌ سـوىٰ الـوَحي المبـينِ ومـا	منـــه اســـتُمدَّ، ألا طـــوبىٰ لمُغتـــنمِ	١٠٣
٧٩.	والكـــتمَ للعلـــمِ فاحـــذَرْ إنَّ كاتمَـــه	في لعنـــةِ الله والأقـــوامِ كلِّهـــمِ	١٠٣
٨٠.	ومـــن عُقوبتـــه أنْ في المَعـــادِ لـــه	مـن الجحـيمِ لجامًـا لـيس كـاللُّجُمِ	١٠٤
٨١.	وصـائنُ العلـمِ عمَّـن لـيس يحملُـه	مـا ذا بكتمـانِ، بـل صـونٌ؛ فـلا تَلُـمِ	١٠٥
٨٢.	وإنمـــا الكـــتمُ منـــعُ العلـــمِ طالبَـــه	مـــن مســـتحقٍّ لـــه؛ فـــافهَم ولا تَهِـــمِ	١٠٦
٨٣.	وأتبِـــعِ العلـــمَ بالأعمـــالِ وادعُ إلـــىٰ	ســـبيلِ ربِّـــك بالتِّبيـــانِ والحِكَـــمِ	١٠٦
٨٤.	واصـبر علـىٰ لاحـقٍ مـن فتنـةٍ وأذىٰ	فيـه وفي الرُّسـل ذكـرىٰ؛ فاقْتَـدِه بهـمِ	١٠٧
٨٥.	لَواحِـــدٌ بـــك يهديـــه الإلـــهُ لَـــذا	خيـرٌ غـدًا لـك مـن حُمْـرٍ مـن النَّعَـمِ	١٠٨
٨٦.	واسـلُك سـواءَ الـصِّراط المستقيمِ، ولا	تعـدِلْ وقـل: ربـيَ الـرَّحمنُ واسـتَقمِ	١٠٩
٨٧.	وبالتـــدبُّر والترتيـــلِ فاتـــلُ كتـــا	ـــب الله لا سـيما في حِنْـدِسِ الظلَـمِ	١١١
٨٨.	حكِّـــم براهينَـــه واعمَـــل بمُحكمِـــه	حِـلًّا وحظـرًا ومـا قـد حَـدَّه أقِـمِ	١١٨
٨٩.	واطلـب معانيـه بالنقـلِ الـصَّريحِ، ولا	تخُـض برأيـك واحـذَر بطـشَ منـتَقمِ	١١٩
٩٠.	فمـا علِمـت بمحـضِ النقـلِ منـه فقـل	وكِـلْ إلـىٰ الله معنـىٰ كـلِّ مُنـبَهمِ	١٢٠
٩١.	ثـم اِلمـرا فيـه كفـرٌ؛ فاحذَرَنْـه ولا	يســـتهوينَّك أقـــوامٌ بـــزَيغهم	١٢٢

٩٢.	وعن مناهيه كُن يا صاح منزجرًا	والأمرُ منه بلا تَرددَ فالتَزِم	١٢٢
٩٣.	وما تشابَه فوِّض للإله ولا	تخُض، فخوضُك فيه موجبُ النِّقِم	١٢٣
٩٤.	ولا تُطع قولَ ذي زَيغ يُزخرفه	من كلِّ مبتدعٍ في الدِّين متَّهِم	١٢٤
٩٥.	حَيرانَ ضلَّ عن الحقِّ المبينِ فلا	ينفكُّ منحرفًا مُعوجَّ لم يَقُم	١٢٤
٩٦.	هو الكتابُ الذي من قامَ يقرَؤه	كأنما خاطَب الرَّحمنَ بالكلِم	١٢٥
٩٧.	هو الصِّراط هو الحبلُ المتينُ هو الـ	ميزانُ والعروةُ الوُثقىٰ لمعتَصِم	١٢٥
٩٨.	هو البيانُ هو الذِّكر الحكيم هو الثْـ	تَفصيلُ؛ فاقْنَع به في كلِّ مُنبهِم	١٢٦
٩٩.	هو البصائرُ والذِّكرىٰ لمدَّكر	هو المواعظُ والبُشرىٰ لغير عَمي	١٢٦
١٠٠.	هو المنزَّل نورًا بينًا وهدًىٰ	وهو الشِّفاء لما في القلبِ من سَقَمِ	١٢٧
١٠١.	لكنَّه لأولي الإيمانِ إذْ عمِلوا	بما أتىٰ فيه من علمٍ ومن حِكَمِ	١٢٧
١٠٢.	أما علىٰ مَن تولَّىٰ عنه فهو عمًىٰ	لكونه عن هُداه المستنيرِ عَمِي	١٢٧
١٠٣.	فمَن يُقِمْه يكن يومَ المَعاد له	خيرَ الإمامِ إلىٰ الفِردوسِ والنِّعَمِ	١٢٧
١٠٤.	كما يَسوق أولي الإعراضِ عنه إلىٰ	دارِ المقامعِ والأنكالِ والألَمِ	١٢٨
١٠٥.	وقد أتىٰ النصُّ في الطُّولَين أنهما	ظلٌّ لتاليهما في موقفِ الغَمَمِ	١٢٨
١٠٦.	وأنَّه في غدٍ يأتي لصاحِبه	مبشرًا وحَجيجًا عنه إن يَقُم	١٢٩
١٠٧.	والملكَ والخلدَ يُعطيه ويُلبسه	تاجَ الوقارِ الإلهُ الحقُّ ذو الكرمِ	١٢٩
١٠٨.	يقال: اقرأ ورتِّل وارقَ في غرفِ الـ	جنَّات؛ كي تنتهي للمَنزلِ النَّعِمِ	١٣٠
١٠٩.	وحلَّتان من الفردوسِ قد كُسيت	لوالدَيه لها الأكوانُ لم تَقُمِ	١٣١
١١٠.	قالا: بماذا كُسيناها؟ فقيل: بما	أقرأتما ابنكما؛ فاشكُر لذي النِّعَمِ	١٣١

١١١.	كفــىٰ وحســبُك بــالقرآنِ معجــزةً	دامــت لــدينا دوامًــا غيــرَ مُنــصرمِ	١٣٢
١١٢.	لــم يَعْتــرِهْ قــطُّ تبــديلٌ ولا غِيَــرٌ	وجــلَّ في كثــرةِ التَّــردادِ عــن سـأمِ	١٣٤
١١٣.	مهيمنًــا عربيًّــا غيــرَ ذي عــوجٍ	مصــدقًا جــاء في التَّنزيــل في القِــدَمِ	١٣٦
١١٤.	فيــه التَّفاصــيل للأحكــامِ مَــعْ نبــأ	عمــا سـيأتي وعــن مــاضٍ مــن الأمــمِ	١٣٦
١١٥.	فــانظُر قــوارعَ آيــاتِ المعــادِ بــه	وانظـر لمـا قـصَّ عـن عـادٍ وعـن إرَمِ	١٣٧
١١٦.	وانظـر بـه شـرحَ أحكـامِ الشـريعةِ هـل	تــرىٰ بهــا مــن عــويصٍ غيــرِ مُنفصــمِ	١٣٧
١١٧.	أم مــن صــلاحٍ ولــم يهــدِ الأنــامَ لــه	أم بــاب هُلــك ولــم يزجُــر ولــم يَلُــمِ	١٣٨
١١٨.	أم كــان يُغنــي نقيــرًا عــن هِدايتــه	جميع ما عند أهلِ الأرضِ من نُظُمِ؟	١٣٨
١١٩.	أخبــارُه عظــةٌ، أمثالُــه عِبــرٌ	وكلُّــه عجــبٌ، ســحقًا لــذي صــمَمِ	١٣٨
١٢٠.	لــم تلبَــث الجــنُّ إذ أصــغَت لتســمَعَه	أن بــادروا نُــذُرًا مــنهم لقــومِهم	١٣٨
١٢١.	الله أكبــرُ، مــا قــد حــازَ مــن عبــرٍ	ومــن بيــانٍ وإعجــازٍ ومــن حكــمِ	١٣٩
١٢٢.	والله أكبــــرُ، إذ أعْيَــــتْ بلاغتُــــه	وحســنُ تركيبِــه لِلْعُــرْبِ والعجــمِ	١٣٩
١٢٣.	كــم ملحــدٍ رام أن يُبــدي معارضــةً	فعــاد بالــذلِّ والخســرانِ والــرَّغَمِ	١٣٩
١٢٤.	هيهـات ! بُعْـدًا لما راموا وما قصَـدوا	ومــا تمنَّــوا، لقــد بــاءوا بــذُلهمِ	١٣٩
١٢٥.	خابَــتْ أمــانيهمُ شــاهَتْ وجــوهُهمُ	زاغَــتْ قلــوبُهم عــن هَديــه القِــيَمِ	١٤٠
١٢٦.	كــم قــد تحــدَّىٰ قريشًــا في القــديمِ وهــم	أهــلُ البلاغــة بــين الخلــقِ كلِّهــمِ	١٤٠
١٢٧.	بمثلــــه وبعَــــشرٍ ثــــم واحــــدةٍ	فلــم يرُومــوه؛ إذْ ذَا الأمــرُ لــم يُــرَمِ	١٤١
١٢٨.	الجــنُّ والإنــسُ لــم يــأتوا لــو اجتَمعــوا	بمثلــــه ولــــو انضــــمُّوا لمــــثلِهم	١٤١
١٢٩.	أنَّــىٰ وكيــف وربُّ العــرشِ قائلُــه	ســبحانه جــلَّ عــن شِــبْهٍ لــه وسَــمِي	١٤٢

١٣٠.	مـا كـان خلقًـا ولا فيضًـا تصـوَّرَه	نبيُّنـا، لا ولا تَعبيـر ذي نَسَـمِ	١٤٢
١٣١.	بـل قالـه ربُّنـا قـولًا وأنزَلـه	وحيًـا علـىٰ قلبِـه المستيقظِ الفَهِـمِ	١٤٣
١٣٢.	واللهُ يشـهَدُ والأمـلاكُ شـاهدةٌ	والرُّسْـلُ مع مُؤمني العُربان والعجمِ	١٤٣
١٣٣.	اِروِ الحـديثَ ولازِمْ أهلَـه فهـمُ النْـ	ـنَاجون نصًّـا صـريحًا للرسـول نُمـي	١٤٦
١٣٤.	سـامِتْ منـابرَهم واحمِـلْ محـابرَهم	والـزَم أكـابرَهم في كـلِّ مـزدَحَم	١٤٨
١٣٥.	اُسـلك منـارَهمو، والـزَم شِـعارَهمُ	واحطُـط رِحالـك إن تنـزِل بسُـوحِهم	١٥٠
١٣٦.	هـمُ العـدولُ لحملِ العلـمِ كيـف وهـمْ	أولـو المكـارمِ والأخـلاقِ والشِّـيَمِ	١٥٠
١٣٧.	هـمُ الأفاضـلُ حـازوا خيـرَ مَنقبـةٍ	هـمُ الأُولىٰ بهم الدِّينُ الحنيفُ حُمي	١٥١
١٣٨.	هـمُ الجهابِـذةُ الأعـلامُ تعـرِفهم	بـين الأنـام بسـيماهم ووَسْـمهمِ	١٥٢
١٣٩.	هـمْ ناصـرو الـدِّين والحـامون حَوزتَـه	مـن العـدوِّ بجـيشٍ غيـرِ مُنهـزِمِ	١٥٤
١٤٠.	هـمُ البـدورُ ولكـن لا أُقـولَ لهـم	بـل الشُّـموسُ وقـد فـاقوا بنـورِهم	١٥٤
١٤١.	لـم يبـق للشَّـمس مـن نـورٍ إذا أفلَـت	ونـورُهمْ مـشرقٌ مـن بعـد رَمْسِـهمِ	١٥٤
١٤٢.	لهـم مقـامٌ رفيـعٌ لـيس يُدركـه	مـن العبـاد سـوىٰ السَّـاعي كسَـعيهمِ	١٥٥
١٤٣.	أبْلِـغْ بحجَّـتهم أرجِـحْ بكِفَّـتهم	في الفضـلِ إن قِسـتَهم وزنًـا بغَيـرهمِ	١٥٥
١٤٤.	كفـاهُمو شـرفًا أن أصـبَحوا خلفًـا	لسـيِّد الحُنَفَـا في دينِـه القِـيَمِ	١٥٦
١٤٥.	يحيـون سـنَّته مـن بعـده، فلهُـم	أولـىٰ بـه مـن جميـعِ الخلـقِ كلِّهـمِ	١٥٦
١٤٦.	يـروون عنـه أحاديـثَ الـشريعةِ لا	يـألون حفظًـا لهـا بالصـدرِ والقلـمِ	١٥٧
١٤٧.	ينفـون عنهـا انتحـالَ المبطِلـين وتحـ	ـريفَ الغـلاةِ وتأويـلَ الغَـويْ اللَّـئِمِ	١٥٧
١٤٨.	أدَّوا مقالتَـه نُصـحًا لأمَّتـه	صـانوا رِوايتهـا عـن كـلِّ مـتَّهمِ	١٥٨

١٤٩.	لـم يُلههـم قـطُّ مـن مـالٍ ولا خَـولٍ	ولا ابتيـاعٍ ولا حـرثٍ ولا نعَـمِ	١٥٩
١٥٠.	هـذا هـو المجـدُ لا ملـكٌ ولا نسَـبٌ	كـلا ولا الجمـعُ للأمـوالِ والخـدمِ	١٦٠
١٥١.	فكـلُّ مجـدٍ وضـيعٌ عنـد مجـدِهِمو	وكـلُّ ملـكٍ فخَـدَّامٌ لمُلكهـمِ	١٦١
١٥٢.	والأمـنُ والنـورُ والفـوزُ العظـيمُ لهـم	يـومَ القيامـةِ والبُـشرىٰ لحـزبِهم	١٦٢
١٥٣.	فـإن أردت رُقيًّـا نحـو رُتبـتهم	ورُمـت مجـدًا رفيعًـا مثـل مجـدِهمِ	١٦٢
١٥٤.	فاعمـدْ إلىٰ سلَّم التَّقـوىٰ الـذي نصَـبوا	واصـعَد بعـزمٍ وجِـدٍّ مِثـل جِـدِّهمِ	١٦٣
١٥٥.	واعكُف علىٰ السنَّة المثلىٰ كما عكَفوا	حفظًا مَعَ الكشفِ عـن تفسيرِها ودُم	١٦٤
١٥٦.	واقـرأ كتابًـا يُفيـد الاصـطلاح بـه	تدري الصَّحيح من الموصوفِ بالسَّقَمِ	١٦٥
١٥٧.	فهـي المحجَّـة فاسـلُك غيـر منحـرفٍ	وهـي الحنيفيَّـة السَّـمحاءُ فاعتَصـمِ	١٦٥
١٥٨.	وحـيٌ مـن الله كـالقرآنِ شـاهدُه	في سـورةِ الـنجمِ؛ فاحفَظـه ولا تهـمِ	١٦٦
١٥٩.	خيـرُ الكـلامِ ومـن خيـرِ الأنـامِ بـدا	مـن خيـرِ قلـبٍ بـه قـد فـاه خيـرُ فـمِ	١٦٦
١٦٠.	وهـي البيـانُ لأسـرارِ الكتـابِ فبالـ	إعـراضِ عـن حكمِهـا كـن غيـرَ متَّسـمِ	١٦٦
١٦١.	حكِّـم نبيَّـك وانْقَـدْ وارضَ سـنَّته	مـع اليقـينِ وحـولَ الشـكِّ لا تَحُـمِ	١٦٧
١٦٢.	واعضُـض عليهـا وجانِـبْ كـلَّ محدَثـةٍ	وقـل لـذي بدعـةٍ يـدعوك: لا نَعَـمِ	١٦٨
١٦٣.	فمـا لـذي رِيبـة في نفسِـه حـرجٌ	ممـا قـضىٰ قـطُّ في الإيمـانِ مـن قِسَـمِ	١٦٩
١٦٤.	﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أقـوىٰ زاجـرًا لأُولـي الـ	ألبـابِ، والملحـدُ الزِّنـديقُ في صَـمَمِ	١٦٩
١٦٥.	وبـالفرائضِ نصـفِ العلـمِ فـاعْنَ كمـا	أوصـىٰ الإلـهُ وخيـرُ الرُّسـل كلِّهـمِ	١٧١
١٦٦.	مـن فضـلِها أنْ تـولَّىٰ اللهُ قِسـمَتها	ولـم يكِلْهـا إلـىٰ عُـرْبٍ ولا عجَـمِ	١٧٣
١٦٧.	﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ مَـعْ مـا بعـدَها اتَّصـلت	وفي الكلالَـةِ أخـرىٰ؛ فـادنُ واغتَـنِمِ	١٧٤

١٦٨.	وخُذ إذا شِئت ما قد تستَعين به	من آلةٍ تُلْفِها حلًّا لمنبَهِمِ	١٧٤
١٦٩.	كالنَّحوِ والصرفِ والتجويدِ مَعْ لغةٍ	يُدرىٰ بها حلُّ ما يخفىٰ من الكلِمِ	١٧٥
١٧٠.	واحذَر قوانين أربابِ الكلامِ فما	بها من العلمِ غير الشكِّ والتُّهمِ	١٧٥
١٧١.	قاموس فلسفةٍ مِفتاحُ زندَقةٍ	كم من ملمٍّ به قد باء بالنَّدمِ	١٧٧
١٧٢.	راموا بها عَزل حكمِ الله واقترحوا	للحقِّ ردًّا وإنفاذًا لحُكمهمِ	١٧٨
١٧٣.	يرَوك إن تزنِ الوَحيين مجترئًا	عليهما بعقولِ المُغْفِلِ العَجِمِ	١٧٨
١٧٤.	وأن تحكِّمها في كلِّ مُشتَجَر	إذ ليس في الوحيِ من حكمٍ لمحتكمِ	١٧٨
١٧٥.	أما الكتابُ فحرِّفْ عن مواضعِه	إذ ليس يُعجزك التحريفُ للكَلِمِ	١٧٩
١٧٦.	كذا الأحاديثُ آحادٌ وليس بها	برهانُ حقٍّ ولا فصلٌ لمختَصمِ	١٧٩
١٧٧.	وقد أبىٰ الله إلا نصرَ ما خذَلوا	وكَسر ما نصَروا منهم علىٰ رغَمِ	١٧٩
١٧٨.	كذا الكَهانَةُ والتَّنجيم إنهما	كُفران قد عبَثا بالناس من قِدَمِ	١٨٠
١٧٩.	إسنادُها حزبُ إبليس اللَّعين كما	متونُها أكذبُ المنقولِ من كَلِمِ	١٨٠
١٨٠.	ما للتُّراب وما للغيبِ يُدرِكه	ما للتصرُّف والمخلوقُ من عدَمِ	١٨١
١٨١.	لو كانت الجنُّ تدري الغيبَ ما لبثت	دهرًا تُعالج أصنافًا من الألمِ	١٨٢
١٨٢.	أما النُّجوم فزَين للسَّما و{رُجو	مًا للشياطين} طردًا لاستماعِهمِ	١٨٣
١٨٣.	كما بها يَهتدي السَّاريْ لوِجْهتِه	في البرِّ والبحرِ حيث السَّير في الظلَمِ	١٨٣
١٨٤.	والنَّيِّران بحُسبان وذلك تقـ	ـديرُ العزيزِ العليمِ المسبغِ النعَمِ	١٨٤
١٨٥.	فمن تأوَّل فيها غيرَ ذاك قَفا	ما ليس يعلَمه فهو الكذوبُ سُمِ	١٨٤
١٨٦.	كالمُقتفين لعُبَّادِ الهياكلِ في	عزوِ التصرُّفِ والتأثيرِ للنُّجمِ	١٨٤

١٨٧.	والكـــاتبين نِظامًـــا في عبادَتهـــا	عقـــدًا وكيفًـــا وتوقيتًـــا لنُســـكهمِ	١٨٤
١٨٨.	فـــذا سُـــعودٌ وذا نَحْـــس وطلسَـــمُه	كـــذا، وناسَـــبه ذا كـــم بخَرصِـــهم	١٨٥
١٨٩.	واحذَر مجلَّات سوءٍ في الملا نُشرت	تـدعو جهـارًا إلـىٰ نـشرِ الـبَلا بهـمِ	١٨٥
١٩٠.	تـدعو لنبـذِ الُهـدىٰ والـدِّين أجمعـه	والعلـمِ، بـل كـلِّ عقـلٍ كامـلٍ سَـلِمِ	١٨٥
١٩١.	وللرُّكـــون إلـــىٰ الـــدُّنيا وزُخرفهـــا	والرَّتـــع كـــالحيوانِ السَّـــائمِ الـــبَهِمِ	١٨٥
١٩٢.	وللتهتُّـــك جهـــرًا والخلاعَـــة مَـــعْ	نبـــذِ المـــروءةِ والأخـــلاقِ والشِّـــيمِ	١٨٥
١٩٣.	والاعتمـــاد علـــىٰ الأســـبابِ مُطلقهـــا	دون المسـبِّب والخـلَّاق مـن عـدَمِ	١٨٦
١٩٤.	والكفـــرِ بـــالله والأمـــلاكِ مـــع رســـلٍ	والـــوحيِ مـــع قـــدرٍ والبعـــثِ للـــرِّمم	١٨٧
١٩٥.	ولاعتنـــاقِ الطبيعيَّـــات لـــيس لهـــا	مـــدبِّر فاعـــلٌ مـــا شـــاء لـــم يَضِـــمِ	١٨٧
١٩٦.	قامَـــت لـــدَيهم بـــلا قيُّـــوم ابـــدَعها	مســـخَّرات لغايـــاتٍ مـــن الحِكَـــمِ	١٨٧
١٩٧.	سمَّوه -مدحًا له- العلمَ الجديدَ، بل الـ	كفـــرُ القـــديمُ ومنـــه القـــولُ بالقِـــدَمِ	١٨٧
١٩٨.	تقسَّـــموه الملاحيـــدُ الطُّغـــاةُ علـــىٰ	ســـهمٍ وأكثـــرَ لا أهـــلًا بـــذي القِسَـــمِ	١٨٨
١٩٩.	وكلَّمـــا مـــرَّ قـــرنٌ أو قـــرونٌ أتَـــوا	بـــه علـــىٰ صـــورةٍ أخـــرىٰ لخُبـــثهمِ	١٨٨
٢٠٠.	بعـضُ الخبيـثِ علـىٰ بعـضٍ سيَركُمه	ربـــي ويجعَلـــه في النَّـــار للـــضَّرمِ	١٨٨
٢٠١.	واعجَـب لعـدوانِ قـومٍ حـاولوا سـفهًا	أن يجمَعـــوه إلـــىٰ الإســـلام في كمـــمِ	١٨٨
٢٠٢.	كالنَّـار في المـاءِ أو طُهْـرٍ علـىٰ حـدثٍ	في وقتِـــه أو إخـــاءِ الـــذِّئبِ والغـــنَمِ	١٨٩
٢٠٣.	وحاصِـل العلـمِ مـا أملـي الصِّـفات لـه	فأصـغِ سـمعَك واستَنصـت إلـىٰ كَلِمـي	١٩١
٢٠٤.	وذاك لا حفظُـــك الفُتيـــا بأحرُفهـــا	ولا بتســـويدِك الأوراقَ بـــالحممِ	١٩١
٢٠٥.	ولا تصـــدُّر صَـــدْرَ الجمـــعِ محتبيًـــا	تُمليـــه لـــم تفقَـــهِ المَعْنِـــيَّ بـــالكلمِ	١٩٦

٢٠٦.	ولا العِمامـــة إذ تُرخِـــي ذؤابتَهـــا	تصـــنعًا وخِضـــاب الشَّـــيب بـــالكَتَمِ	١٩٧
٢٠٧.	ولا بقولـــك: يعنـــي - دائبًـــا - ونعَـــم	كـــلا ولا حَملـــك الأســـفارَ كـــالبَهَمِ	١٩٨
٢٠٨.	ولا بحمـــــلِ شـــــهاداتٍ مُبهرجـــــةٍ	بزخـــرفِ القـــولِ مـــن نثـــرٍ ومُنـــتظمِ	٢٠٠
٢٠٩.	بـــل خشـــيةُ الله في ســـرٍّ وفي علـــنٍ	فـــاعلَم هـــي العلـــمُ كـــلُّ العلـــمِ فـــالتَزم	٢٠١
٢١٠.	فلتَعـــــرِف اللهَ ولتـــــذكُرْ تـــــصرُّفه	ومـــا علـــىٰ علمِـــه قـــد خُـــط بـــالقلمِ	٢٠٢
٢١١.	وحقِّـــه اعـــرِف وقـــم حقًّـــا بموجبِـــه	ومـنهجَ الحـقِّ فاسـلُك عنـه غيـرَ عَمـي	٢٠٢
٢١٢.	أشـــقىٰ وأســـعَد مختـــارًا أضـــلَّ هـــدىٰ	أدنـــىٰ وأبعَـــد عـــدلًا منـــه في القســـمِ	٢٠٣
٢١٣.	أوحـــىٰ وأرسَـــل وصَّـــىٰ آمـــرًا ونهـــىٰ	أحـــلَّ حـــرَّم شـــرعًا كامـــلَ الحكَـــمِ	٢٠٦
٢١٤.	يحـــبُّ الإحْســـانَ، والعصـــيانَ يكرَهـــه	والبـــرَّ يرضـــاه مـــع سُـــخطٍ لجُـــرمِهم	٢٠٦
٢١٥.	بمُقـــتضىٰ ذَيـــن في الـــدَّارين مطَّـــرد	لا ظلـــم يُخشـــىٰ ولا خيـــر بمُنهضِـــمِ	٢٠٦
٢١٦.	فاعمَـل علـىٰ وجَـلٍ، واذْأَب إلـىٰ أجـلٍ	واعـــزِل عـــن الله ســـوءَ الظـــنِّ والـــتُّهمِ	٢٠٧
٢١٧.	للـــشَّرع فانقَـــد وســـلِّم للقَضـــاءِ ولا	تُخاصِـــمنَّ بـــه كالملحـــدِ الخَصِـــمِ	٢٠٩
٢١٨.	وبالمقـــاديرِ كـــن عبـــدًا لمالكِـــه	وعابـــدًا مخلصًـــا في شـــرعِه القِـــيَمِ	٢٠٩
٢١٩.	إيَّـــاه فاعبـــد وإيَّـــاه اســـتَعن فبـــذا	تصِـــل إليـــه وإلا خُـــرْتَ في الظُّلـــمِ	٢١٠
٢٢٠.	وخُـــذ بالاســـبابِ واســـتَوهِب مُســـبِّبها	وثِـــق بـــه دونهـــا تُفلـــح ولـــم تُضَـــمِ	٢١٠
٢٢١.	بالـــشَّرع زِن كـــلَّ أمـــرٍ مـــا همَمـــتَ بـــه	فـــإن بـــدا صـــالحًا أقـــدِمْ ولا تَجِـــمِ	٢١٢
٢٢٢.	أخلِصه واصدُق أصِبْ واهضِم فذي شُرطتْ	في صـــالحِ السَّـــعي أو في طيِّـــب الكلِـــمِ	٢١٣
٢٢٣.	أخلِصْـــه لله واصـــدُق عازمًـــا وأصِـــب	صـــراطَه واهضـــمنَّ الـــنَّفس تنهَضـــمِ	٢١٣
٢٢٤.	لا تُعجـــبنَّ بـــه يُحـــبط ولا تـــرَه	في جانـــبِ الـــذَّنبِ والتَّقصـــيرِ والـــنِّعمِ	٢١٤

٢٢٥.	وحيث كان من النَّهي اجتَنبه وإن	زلَلت تُب منه واستَغفر مع النَّدمِ	٢١٤
٢٢٦.	وأوقفِ النَّفس عند الأمرِ هل فعَلت	والنَّهي هل نزَعت عن موجبِ النِّقَمِ	٢١٥
٢٢٧.	فإن زكَت فاحمَد المولىٰ مطهِّرَها	ونعمَة الله بالشُّكران فاستَدِمِ	٢١٦
٢٢٨.	وإن عصَت فاعْصِها واعلَم عداوَتها	وحذِّرَنْها ورودَ الموردِ الوَخمِ	٢١٧
٢٢٩.	وانظُر مخازيْ المسيئين التي أُخذوا	بها وحاذِر ذنوبًا من عِقابهمِ	٢١٨
٢٣٠.	والزَم صِفات أولي التَّقوىٰ الذين بها	عليهم الله أثنىٰ واقتَده بهمِ	٢١٨
٢٣١.	واقنُت وبين الرَّجا والخوف قُم أبدًا	تخشىٰ الذُّنوب وترجو عفوَ ذي الكرَمِ	٢١٨
٢٣٢.	فالخوف ما أورَث التقوىٰ وحثَّ علىٰ	مرضاةِ ربي وهجرِ الإثمِ والأَثِمِ	٢١٩
٢٣٣.	كذا الرَّجا ما علىٰ هذا يحثُّ لتصـ	ـديقٍ بموعودِ ربي بالجَزا العظمِ	٢٢٠
٢٣٤.	والخوفُ إن زاد أفضىٰ للقُنوط كما	يُفضي الرَّجاء لأمنِ المكرِ والنِّقَمِ	٢٢١
٢٣٥.	فلا تُفرِّط ولا تُفْرِط وكن وسطًا	ومثل ما أمَر الرَّحمن فاستَقِمِ	٢٢١
٢٣٦.	سدِّد وقارِب وأبشِر واستَعن بغُدٍ	وبالرَّواح وأدلِج قاصدًا ودُم	٢٢٣
٢٣٧.	فمثلُ ما خانَت الكسلانَ همَّته	فطالما حُرم المنبتُّ بالسأمِ	٢٢٤
٢٣٨.	ودُم علىٰ الباقياتِ الصَّالحات وحو	قِل واسأل الله رزقًا حُسن مُختَتمِ	٢٢٦
٢٣٩.	واضرَع إلىٰ الله في التَّوفيق مُبتهلًا	فهو المجيبُ وأهل المنِّ والكرَمِ	٢٢٧
٢٤٠.	يا رب يا حيُّ يا قيوم مغفرةً	لما جَنيت من العصيانِ واللَّمَمِ	٢٢٨
٢٤١.	وامنُن علي بما يُرضيك واقْضِهِ لي	من اعتقادٍ ومن فعلٍ ومن كلِمِ	٢٢٩
٢٤٢.	وأعْلِ دينَك وانصُر ناصِريه كما	وعَدتهم ربَّنا في أصدقِ الكلِمِ	٢٣٠
٢٤٣.	واقصِم ببأسِك ربي حزبَ خاذِلِه	وردَّ كيدَ الأعادي في نُحورِهمِ	٢٣٠

٢٤٤.	واشـــدُد علـــيهم بزلـــزال ودَمْدمـــةٍ	كمـا فعَلـت بأهـلِ الحِجْـر في القـدَمِ	٢٣٠
٢٤٥.	واجعَلهمـــو ربَّنـــا للخلـــقِ موعِظـــةً	وعبـــرةً يـــا شـــديدَ الـــبطشِ والـــنِّقمِ	٢٣١
٢٤٦.	ثـم الصَّـلاة علـىٰ المعصـومِ مـن خطـأ	محمَّـــد خيـــرِ رســـلِ الله كلِّهـــمِ	٢٣١
٢٤٧.	والآلِ والصَّـــحبِ ثـــم التـــابِعين لهـــم	وتـــمَّ نَظمـــي بحمـــدِ الله ذي الـــنِّعمِ	٢٣١

الفِهرِس

تَقْدِيم معالي الشيخ عبد الكريم الخضير ٥

كلمة مؤسَّسة معالم السنن ٧

متن المنظومة الميمية للعلامة حافظ حكمي ١١

مُقَدِّمَة ٢٧

نبذة في وصية طالب العلم ٧٩

الوصية بكتاب الله ﷻ ١١١

الوصية بالسنّة ١٤٥

في الفرائض والآلة والتحذير من العلوم المبتدعة ١٧١

خاتمة في تحصيل ثمرات العلم النافعة واجتناء قطوفه الدانية اليانعة ... ١٩١

المصادر والمراجع ٢٣٣

فهرس أبيات المنظومة ٢٥٧

الفِهرِس ٢٧١